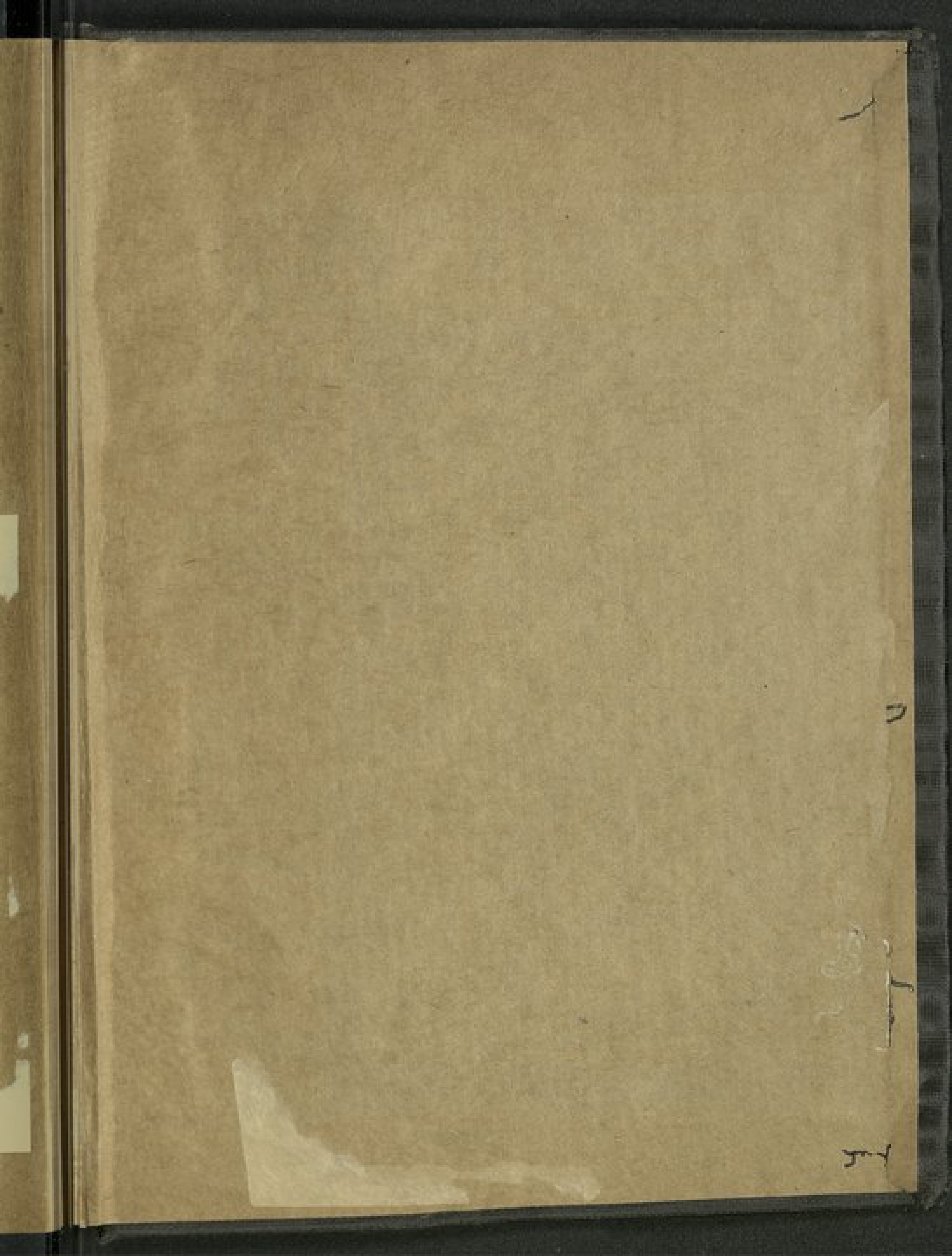
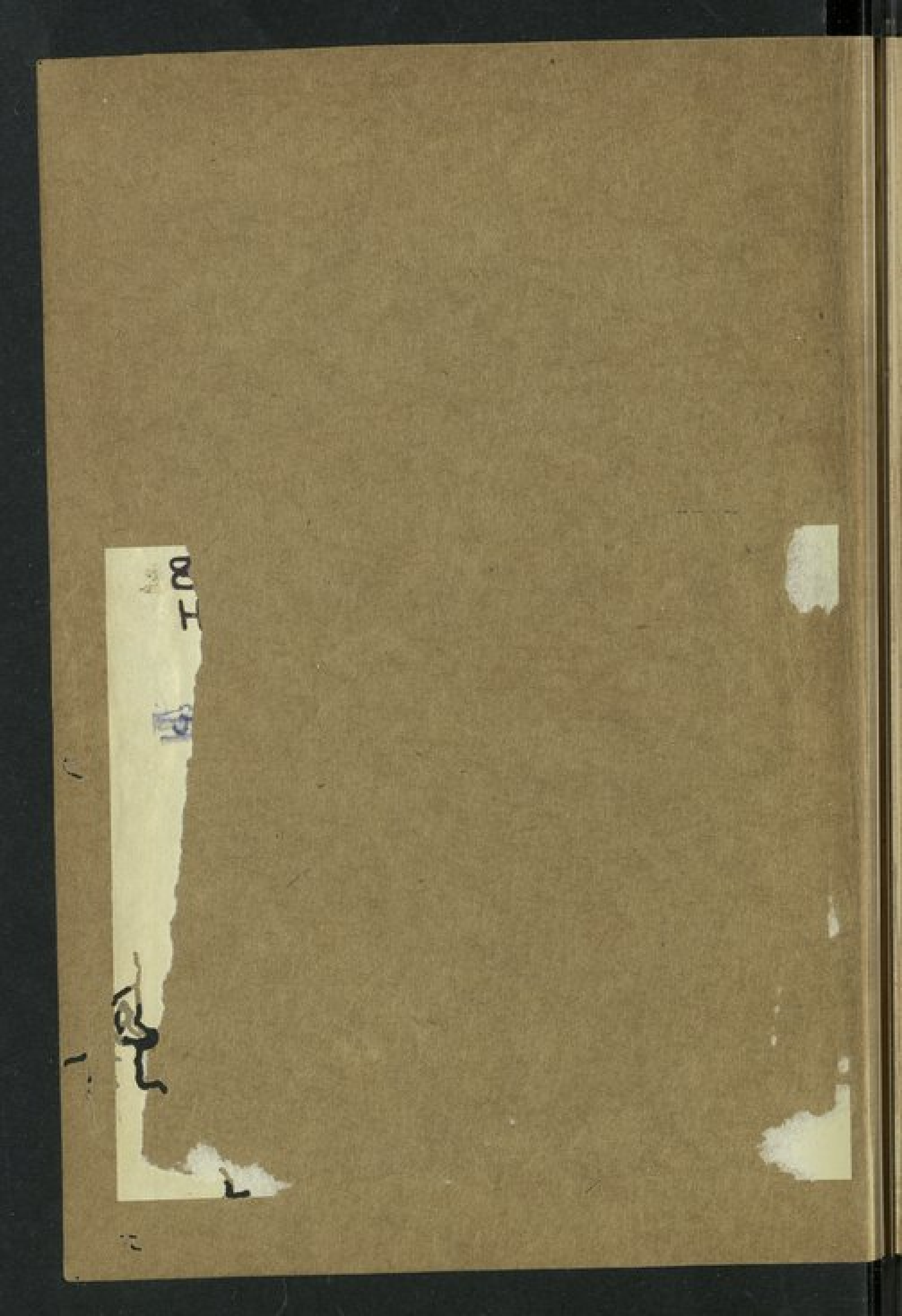
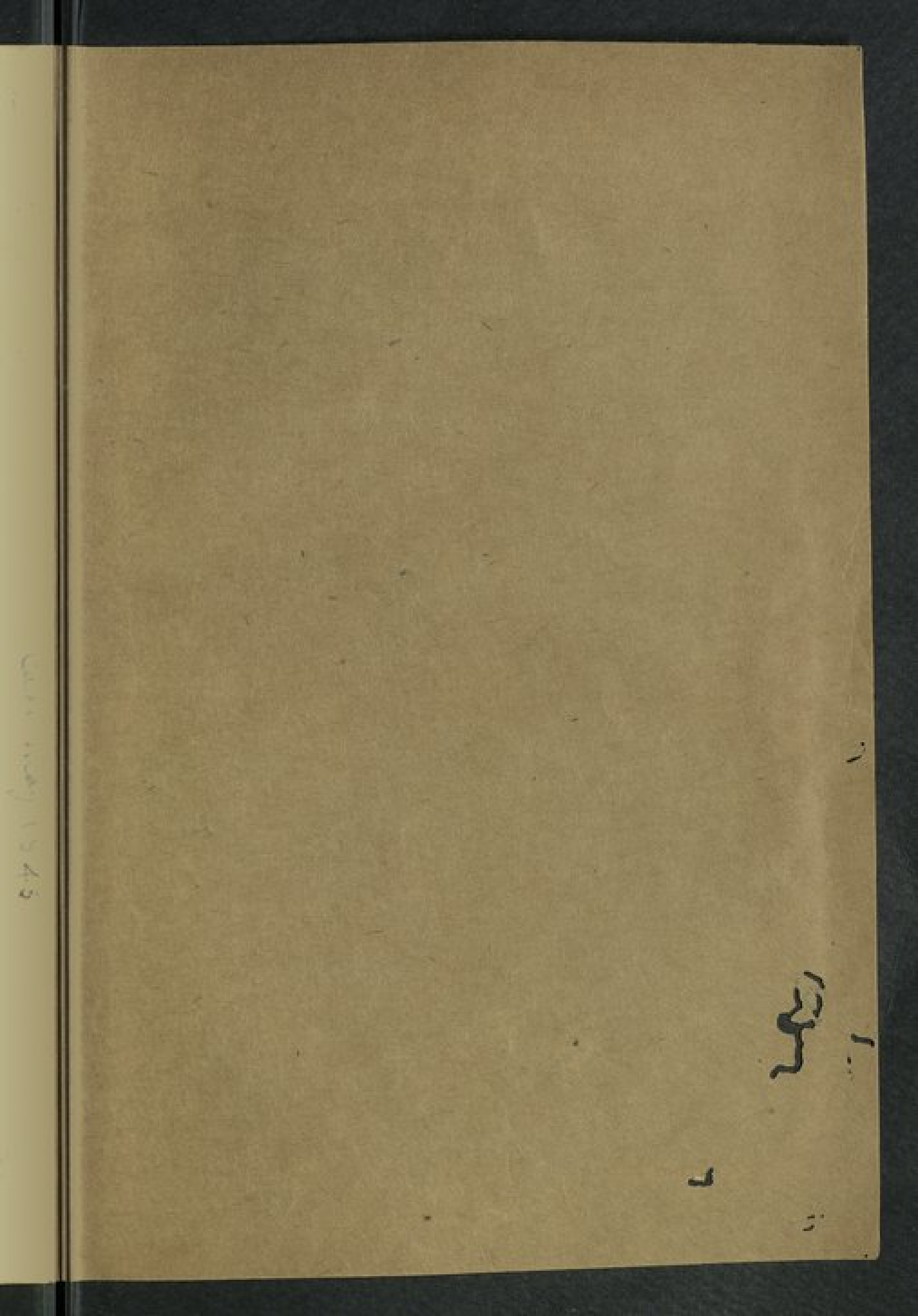




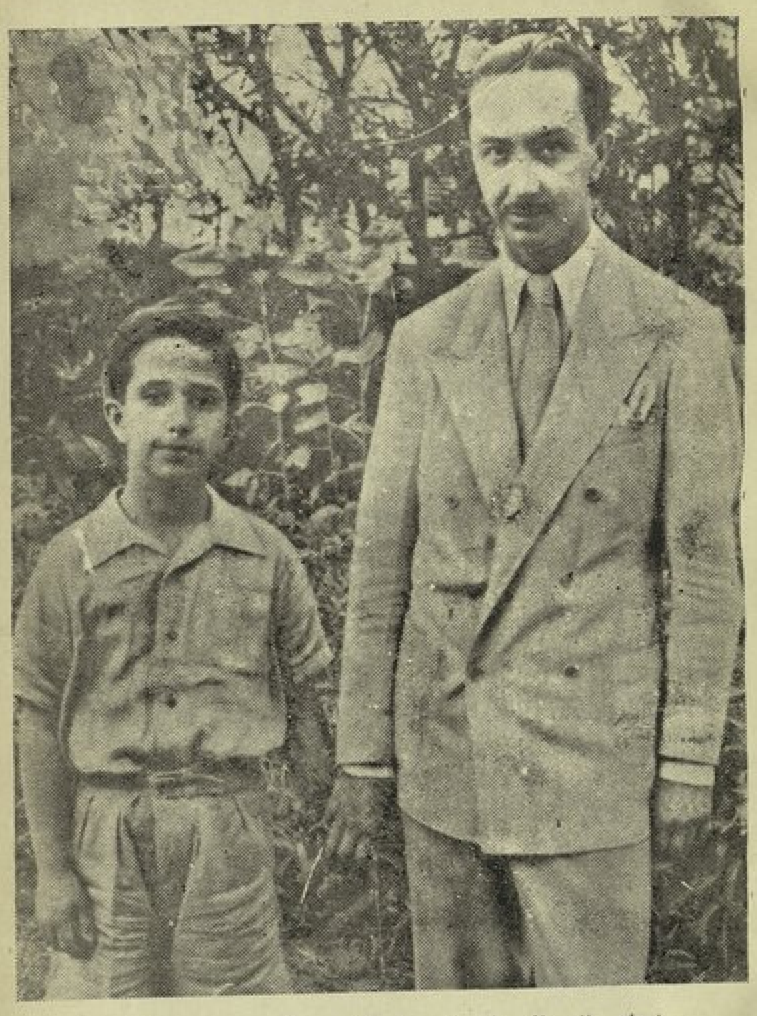


١٠

وحي الرافدين

الجزء الاول

الحوماني



جلالة ملك العراق فيصل الثـــاني وسمو الوصي
الامير عبد الاله بن علي

الاهداء

الى رمز العروبة ومجدها الخالد شبلي الحسين بن علي باعث النهضة العربية من مرقدها الاخير ، الى هذين العاهلين جلالة فيصل الثاني ملك العراق وسمو الوصي الامير عبد الاله اقدم كتابي هذا ...

الحوماني

صاحب « العروبة »

امام الكتاب

لم آخذ على نفسي في كتابي هـذا تاريخ العراق ولا تفريعه ، ولكنه كما يرمز باسمه ، مجموعة افكار بعثها في قلبي جمال الرافدين وعبقرية الطبيعة فيهما ، ودماثة الخلق العربي المطبوع على ضفافهما .

هذه المجموعة من الافكار المستوحاة من جمال العراق وجلاله في المجالس التي ضمتني ونفراً من اعيانه واعلامـه ، ابرزتها للذكرى ، واعترافاً بجميل اخوان كنت فيهم اسير لطف وعطف ، ثم بعثتها للاجيال في كتاب اسميته « وحي الرافدين »

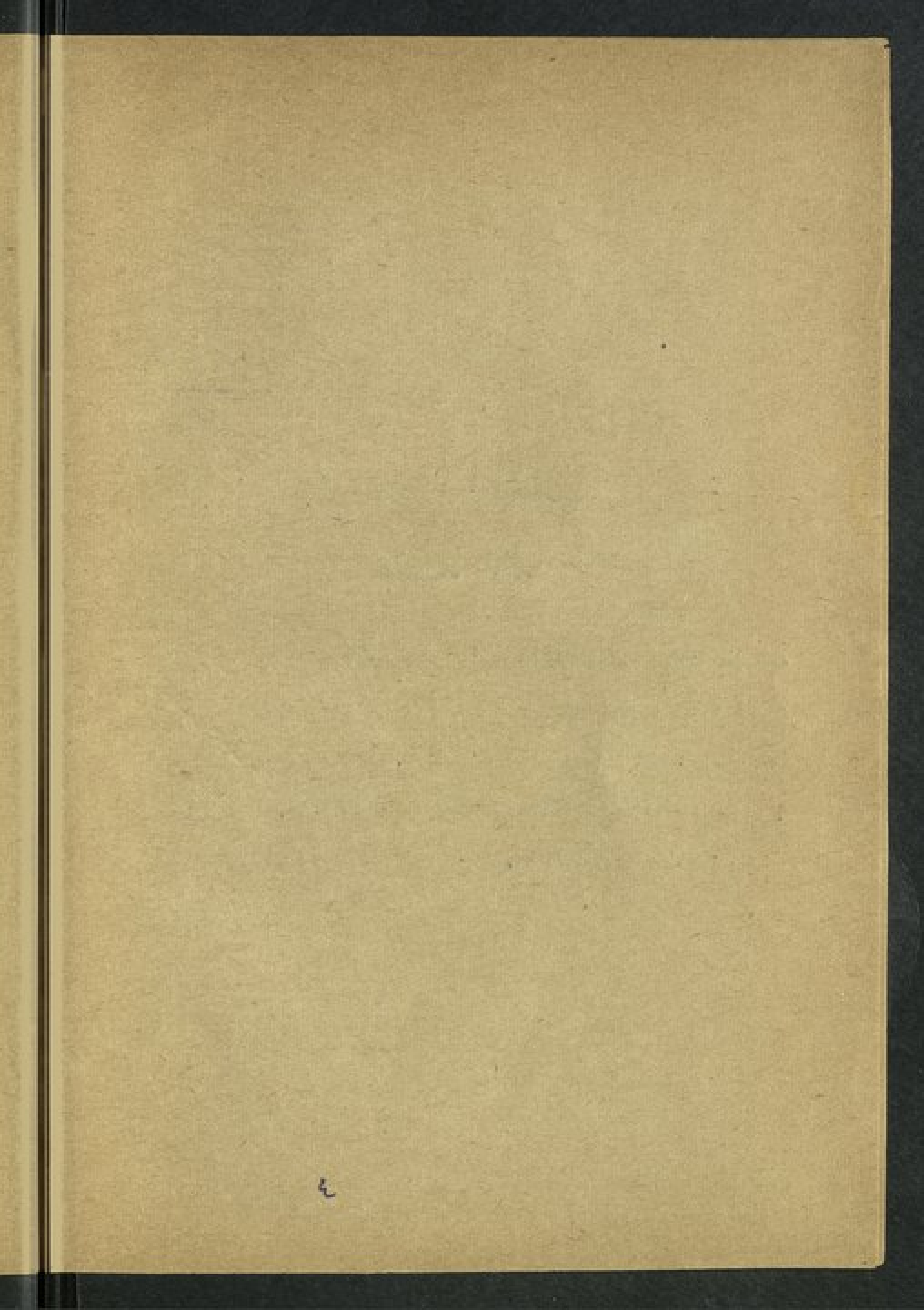
محمد علي الحوماني

الرسالة الاولى

وصي الملك

عبــد الاله

سمو الامير عبد الاله وخليفة صاحب الجلالة المغفور له ملك الحجاز علي بن الحسين . ولد في الحجاز ونشأ في بغداد واقيم وصياً على جلالة مليك العراق فيصل الثاني ، يتمتع بثقة العرب عامة والعراقيين خاصة ، ثقافة واخلاصاً وحزماً ، ولا يزال في العقد الثالث من عمره ، امد الله ببقائه العرب .



سيدي صاحب السمو

ليس لي ان اقول عن شخصك المحبوب الا انه رمز العروبة المنشودة، وإلا أن ما يتدفق من ديباجته، وعلى عينيه، وبين شفتيه من حياء قان وهدوء شامل وتأمل عميق، هو كل ما يتطلبه المجد في شخص الامير العاهل والزعيم الحق.

تواضع للزائر وسمو عن كل ما يشير الى الشرف الدعي والنجار المستحدث، من صلف وجفاء وزهو وخيلاء، حتى كأن جليسك انت وكأنك انت الزائر، فما عدوت اذ ذاك قصد الشاعر حيث يقول :

يُغضي حياء ويُغضى من مهابته فما يُكلَّم الا وهو يبتسم

لقد قرأت الحزم بين عينيك ايها الامير الشاب الجذع ؟ والحزم في الرجل هو مرقاة الرئاسة الاولى من سلم المجد، فاذا اقترن بالعزم كان السلم وطيداً للصعود الى الذروة والاشراف على الحياة

عزم يلهب الارادة بالدم الفائر، وحزم يوجهها الى حيث تعمل فتحكم العمل، وهل الرجل كل الرجل، الا ارادة ماضية لايشوبها تردد، وعقل يُحكم توجيهها في مجال القول او الفعل ؟؟

ولقد دلني اصغاؤك التام الي وانا اتحدث بين يديك عن النهضة الحسينية واثرها في العروبة والاخطار التي تتهددها والعيون الخزر المنبثة حول منارها المشرق ، والايدي الاثيمة الممتدة الى سياجها الحصين ، والاعناق المشرئبة الى شرفاتها السامية ، دلني هذا الاصغاء وتلك النظرات الملتهبة بدم الشباب المتحمس ،على ان الحسين لم يمت وان فيصلا لايزال :

يقول للعلم الخفاق في يده في من الارض ما تختار يا علم

لقد كان حديثي عن العروبة بين يديك موجزاً ، واوجز منه الجمل التي كانت تُضفي على الحديث شيئاً من الصراحة في القول والاخلاص في الرأي ، وكاني كنت أُجمل الحديث بالامس واوجزه على مسامع مليكي لافصله اليوم باسهاب في رسالتي هذه التي تعرب عما اكنه للبيت الهاشمي من حب يحملني على الصدق في القول والاخلاص في العمل

العروبة يا سيدي هي الشجرة التي غرسها جدك الادنى من جديد بعد ن يبست غرسة جدك الاقصى بما نالها من هرم كان وليد انهيار الامة العربية بتردّيها في حضيض الذل والعبودية .

هذه الشجرة الجديدة التي غرسها جدك وسقاها ابوك واعمامك من دمائهم وبقيت انت وابناء عمومتك تتعهدونها بالغذاء الصالح من ادمغتكم والسنتكم وايديكم ، هذه الغرسة لا تزال في دور صباها الاول ولا يزال ثمرها اعجر ، يحتاج لوقت يساعدها على النضج ثم يؤهل لقطفها وجوها لوحتها شمس الرمال المحرقة ، وعيونا حسرها لمع الاسنة في الجهاد ، وايديا دقت

سواعدها السيوف والاقلام ، وظهوراً قوسها الركوع بين يدي علم العروبة الخفاق . وهذه الوجوه والعيون والايدي والظهور لم تتوفر في الامة مادام رجالها يتنكرون لليد التي غرست تلك الشجرة والدم الذي سقاها فارتوت والادمغة التي تتعهدها بالغذاء الصالح .

العروبة مجد لا يسود الامة الا بحسين واسرة حسين ، والعرب امة لا تنهض فتعز فتسمو الا بامجاد فيصل وآل فيصل ، فلن يثبت فينا مجد ، ولن تسود لنا امة ، ولن يعز فينا علم ، الا بارادة حسين واخلاق علي وحسام فيصل .

لقد مر بالعروبة خمسة اعوام حافلة بالظروف المهيبة بها ، تصرخ في وجه كل عربي وتندبه للجهاد في سبيل عروبته ، والعرب لاهون بين مستسلم للحوادث وبين متحفز يهم ويحاذر ان يخفق ، وبين متربص للوثوب في وجه من يعمل ليتبنى عمله ويقف حجر عثرة في سبيل تقدمه ، اما من يضع فكره بين عينيه ، وقلبه على يديه فيستظهر شخصه ويستقبل امته ، اما هذا فلم تظفر به العروبة بعد ، الا ان يكون ، معقول اللسان مغلول اليد مأخوذا عليه ان يقول ويفعل الا من وراء حجاب .

سيدي الوصي .

يعمل للعروبة اليوم اناس تقلدوا الحكم وبودي لو يعمل غيرهم من معتزليه لئلا يلهم العامل وحي لم تتنزل به العروبة من سماء الجزيرة ، فلو تألف

حزب من الامة العربية لم يضطلع باعباء الحكم فكان في تفكيره وعمله واخلاصه حراً ويُظاهره من وراء ذلك رجال الحكومات فينا ، لكان ذلك اقرب الى الغاية التي نستهدفها منذ عشرات السنين ، وفي سبيلها هدرت دماء زكية من رجالنا الاحرار .

فالعروبة اليوم تحتاج الى تفكير مصر واخلاص سوريا وشجاعة العراق وليس معنى ذلك ان مصر عارية عن الاخلاص والشجاعة ولا ان سوريا مجردة من الشجاعة والتفكير او ان العراق لا تفكير فيه ولا اخلاص ، ولكني اردت ان اقول ان ابرز صفات العمل في مصر التفكير ، واظهر ميزة تتجلى في رجال سوريا الاخلاص وامثل ما يعتصم به العراق الشجاعة ففي مصر تفكير واخلاص وشجاعة وفي سوريا اخلاص وشجاعة وتفكير ، وفي العراق شجاعة وتفكير واخلاص ،

فلينهض للعمل نفر صالح من هذه الاقطار يجمعون الى النشاط والقوة والثبات والحرية ، تفكيراً صحيحاً واخلاصاً متينا وشجاعة تذهب بالانفس رخيصة في سبيل المجد العربي وتحريره الغالي .

فاذا قيض الله للعراق رجلا كفيصل ثابت الاخلاص حصيف الرأي ثاقب الفكر كان العراق خليقاً بان يتزعم الامة العربية فيوحد شعوبها ، ويجمع شتيتها ، ويلم شعثها وتصبح الدولة المأهولة بالفكر والشجاعة والاخلاص ولن تعدو المدنية هذه الخلال في الشعب العريق، الى ابعد حدود العراقة ،في النبل والامجاد .

ولعل هذا الرجل الذي اتمنى ان يقيضه الله للعراق لعله كائن في شخص مليكه الصغير وعلى راسه انت ياسيدي ، فانكم من اسرة لايزال الدم العربي الصحيح يغلي في عروقها منذ هبت في وجهها ريح نكباء زعزع أثارتها عجمية لاتزال منذ اجيال تعمل باسم الاسلام على محو العروبة التي قضت على امجادهم وبنت للمجد العربي صرحاً لم يزل قائماً على الحمية والاباء والشمم في وجه امم الارض التي تضافرت على استرقاق العرب واستعبادهم

فانهض باعباء الزعامة العربية فان فيك من جدك الحسين ارادة حديدية ، ومن ابيك علي خلقاً سامياً وطيد الاركان ، ومن عمك فيصل قلباً ذكياً وفكراً صائباً وهمة شماء وصدراً يضيق عنه الكون بأسره ، وان فيك من عبقرية الحياء والتأمل العميق والشخصية الجذابة ما يضمن لك تعزيز تلك الخلال وتذليل ما يحول بينك وبين المثل الاعلى في الحياة .

ارى ان يكون العراق مصدر الحركة في التوحيد العربي وان تكون هذه الحركة اسرع مما نرى وان يقوم عليها رجال احرار « اي معتزلي الحكم » وتظاهرهم الحكومات العربية بما تستطيع من مال وتفكير ، وان يعقد المؤتمر جلسته الاولى في بغداد ثم يواليها في سائر البقاع

ويرى معي هذا الرأي الزعيم الحر احسان الجابري الا في حصر العمل خارج الحكم ، كما يوافقني عليه الاديب الكبير ابراهيم النجار الا في قصر العمل على العراق ابتداء

فليتناد منذ اليوم في العراق ، رجال فكروا ملياً في القضية العربية

واخلصوا لها وكانت لهم في العالم العربي قيمة الاخلاص والتفكير الذي يؤهلهم لهذا التنادي ثم لتلبية الامة دعوتهم المتيدة

وليعقدوا مؤتمراً اول يشهده امثالهم من رجال الاقطار العربية وليضعوا بنودهم الاساسية لتنظيم الوحدة المنشودة ثم يقرروا المكان والزمن القريب الذي يعقد به المؤتمر ثانياً لتعزيز تلك البنود والتعليق عليها ، وليشهد المؤتمرات مستشار واحد من كل حكومة عربيـــة ليس له الا ان يجيب اذا سئل وان يقترح بما ينخل من رأي ثم ليس له ان يفرض جوابه او رأيه على المؤتمر

ان حلفاؤنا اليوم يعقدون مؤتمراتهم فيسنون الانظمـــة ويقررون مناهج الاعمال خلال ايام معدودة ولعل تلك الانظمة وهذه المناهج تنتظم العالم بعد الحرب ، فما بالنا وقد مر عامان ونحن نتغنى باسم الوحدة العربية ونعد لها العدة وندعو ممثلي الحكومات العربية ونكثر من الكنى والاستعارات والتلميح والتعريض لمكان المؤتمر وزمانه ؟

ولعل الحرب اقرب اجلا من هذا المؤتمر فاذا كانت قـد اوشكت ان تضع اوزارها ولم يتألف هذا المجلس ولا تقرر مكان تأليفه او زمان انعقاده فمتى يكون ذلك ؟؟؟ أبعد ان يكون الطاهي قد انضج طبخه وامتـدت الايدي القوية الجشعة لازدراد الشعوب الضعيفة كما رأينا بعد الحرب الماضية؟ . .

ان الامة العربية في امس الحاجات اليوم بل الساعة لعقد مؤتمر من خيرة احرارها العزل ووضع مقررات تعمل على تثبيتها في مجالس التمثيل الاجنبي الحليف خلال الحرب ، ثم تسير على ضوئها بعد الحرب ، لان الشعوب العربية

اليوم تساهم مع الحلفاء لا بمالها واقتصادياتها فحسب بل برجالهـا ايضاً الذين رووا بدمائهم رمـال طرابلس وتونس والجزائر وسيروون تراب فرنسا « المقدسة » دفاعاً عن مملكة شارلمان التي حفظت للعروبة حق جهادها الحليف أمس واليوم ...

فالجزائر وتونس ومراكش التي آوت فرنسا المحاربة واقامت من سواعد رجالها دعائم يقوم عليها البيت الذي يؤويهم ، هذه بلاد قد رفع سماءها شارلمان وبسط ارضها فرانسو الاول ثم عقد لواء العروبة فيها نابوليون الفاتح الجبار .

لقد آن للعرب يا سيدي ان يروا بقلوبهم ويفكروا بايديهم فان الحياة قلب نابض ويد توقع الحان هذا القلب على وتر العروبة الحساس ، ولقد آن لهم ان يتخذوا من تشرشل وروزفلت وستالين اليوم ، ومن حيدر والفاروق وخالد وطـارق قبل اليوم ، مثلا صالحـاً في الاخلاص لامتهم والتضحية في سبيل يقظتها وبعثها في المستقبل القريب امـة ذات كيان مستقل وقوة تعصمها من الظلم والهضم

لا انكر يا سيدي ان في الامة العربية رجالا يعملون لاعدائها بدافع الخيانة والرق المتأصل في نفوسهم من شعوبية ينحـدرون اليها منذ زمن او ازمان ، ولكن فيها رجالا لايزالون يغسلون اعينهم بالدمع كلما ابصرت صنما من هذه الاصنـام يعلو منصباً او يجلس على كرسي في معرض الحكم والتشريع .

هؤلاء نفر لاتخلو منهم امة قبل تحريرها وبعده في الغرب والشرق ولو

شئت لعددت لك مئات من اعلام الشعوب الغابرة والحاضرة كانوا يساومون اعداء بلادهم على بيعها واضطهادهـا ، لو شئت ذلك لفعلت ولكن علمك بهم ، وهو فوق علمي ، وقف بي عند هذا الحد من العرض والاستعراض

والدعوة الهاشمية يا سيدي ؟؟ افلا يكون لها حظ من هذه الرسالة التي ابعث اليك بقسط وافر من عواطفي بين حروفها وتحت الجمل الملتهبة فيها ؟؟

بلى يا سيدي ولعلي اذا قلت هاشمية فانما اعني العروبة الحقة لان هاشماً هو منجب السيد الاعظم الذي خلق من العرب شعبـاً لايزال العالم باسره يهتز لذكره ويمشي على ضوء الحضارة التي كانت ثمرة فتحه وتمدينه

والهاشمية لم تترك في العالم اثراً يشير الى بطش في قوة او بذخ في حياة كالآثار التي خلفها الفراعنة في مصر والامويون في الشـام ، ولكنها تركت ناموساً يدين به مئات الملايين من البشر وعلى اسسه القوية بنى الفاطميون جامعتهم في الازهر وشاد العلويون جامعتهم في النجف فلـن ترى اليوم في مشارق الارض ومغاربها علماً يحمل الثقافة العربية في لغتها وبيانها وادبها وفنها الا وهو مدين بهذه الثقافة لاحدى هاتين الجامعتين

فهاشمية فاطم شادت الازهر وها هو يلفظ على رأس كل سنة مآت من من اعلام العرب في شتى العلوم والآداب ، وهاشمية علي شادت النجف وها هو يلفظ كذلك علماء وادباء تتغلغل في الاقطـار الاسلامية حاملة مشعال النور ، ولئن كان بعض هؤلاء من ينقم على الجـديد ويريد ان يجمـد فان كثيراً من خريجي هذين المعهدين يرجع اليهم القول الفصل في العلم الحديث

والادب الطارف ، فاعلام الادب والفن في مصر وسائر البلاد العربية اليوم وقبل اليوم يرجعون في كل ما ينتجونه الى هاتين الجامعتين

اذن فالهاشمية هي العربية لغــة وديناً وسياسة فلن يتخلى العربي عن هاشميته كما لن يتخلى عن عروبته ، فالعالم العربي ، الا الدخيل من ابنائه ، ينظر اليوم الى نهضتكم واليقظة التي تهيب بالامة على ايديكم ، والعالم العربي الا الخونة من رجاله ، يستهدف بيتكم لايوائه وتفكيركم لبعثه ، وجهادكم لاسترجاع حقه ، واخــلاصكم لتحريره وانبثاقه مرة اخرى في سماء الحضارة التي تفيء اليها الامم وهي تتخبط في ظلام الجهل القاتم

يا سمو الوصي :

ان لكم في كل قلب ينبض به عرق عربي ، لواء يضم عليه جوانحه ، وان لكم في كل صدر عربي قلباً يهتف بكم ويخفق بالمحبة لكم ، فلا تيأسوا من يوم تنكشف ظلمــة ليله عن وجوه تشرق بولائكم وتطفح بالامــل السامي بين ايديكم فان الغد قريب والحق كاشف .

اما ما ترون من بضعة نفر قد خولتهم اهواؤهم وامراض نفوسهم مناصب يركضون وراءها من بلد الى بلد ، ويسعون مجدين في تدعيمها وصيانتها من افق الى افق ، فيتهالكون على ايدي أناس وارجل آخرين ، اما هؤلاء الذين يفرون من حظيرتكم ابقاء على الشهوات التي يستقبلونها ويتركون وراءهم الموت يحدق بامتهم ، فهم بقية لمامة غشيت العروبة من هنا وهناك واندست بين قبائلها لتعمل على تصديع ابناء أحكمت وضعه يد تحدرت من هــاشم

فكلت ايديها ، و دقت سواعدها ثم خبت من وراء ذلك الهمم وشاهت الوجوه وغاضت الاعين .

الامة الامة ، والشعب الشعب ، لا بد وان تسود الامة العربية ويسيطر الشعب العربي آخر الامر ويتخلى الدخيل عن الحكم ليرجع الحق الى نصابه وتسود الفصحى ويحكم العربي الاصيل تحت لواء العدالة التي دانت شعوب العالم بها لاجدادك وآبائك الذين سنوا مكارم الاخلاق وشرعوا ناموس العدل ودانوا لله بالحق ،تهيمن عليهم العزة وتحدق بهم القوة ويخدمهم السلطان .

الحكم للشعب آخر الامر يا سيدي فلم تكن لتسيطر هذه الطغمة من ادعياء العروبة الا بما يفسح لها مجال السيطرة من خسة وخيانة ويظاهرها من ورائها عدو الد يطعن الامة بالامة ويحارب الشعب بالشعب ليستقيم له السلطان في ارض لم يزرع أكلها ولم يغرس شجرها ولا كانت له يد في خلق النفوس التي يحاول استعبادها من وراء قوته الجبارة وبطشه الجائر .

قد يقولون : انا لا نستطيع خدمة الامة الا اذا مد القوي الحليف لنا يدا نعزز بها ايدينا في بناء مجدنا وصون كرامتنا ، وهذه كلمة حق يراد بها باطل فان القوي لا يحترم غير القوي والقوة فينا ليست قاصرة على المدفع والدبابة والمنطاد ، وانما هي في الانفس اقوى منها في النار والحديد ، وهل الحديد والنار الا عبيد مسخرة للهمم الجبارة والبأس الحديد ؟.

لنخلص في صداقتنا لكل قوي يشاطرنا هذا الاخلاص ولنشعره أننا انما نخلص له من اجل قضيتنا التي ارقنا في سبيلها الدماء والدموع من اجل

حريتنا الغالية التي تعيد الينا عزتنا ومجدنا المفقود، مجدنا الذي فقدناه منذ خلعنا تلك الوجوه المشرقة بين يدي شمس العروبة الضاحية ، ولبسنا هذه الوجوه الكالحة التي تلوح على اسرتها الوان شتى من الخيانة والمكر، وجوه للشعوبية في قسماتها خطوط تملي على العربي الحساس كثيراً من الغدر والرياء والتدجيل.

يا سمو الوصي !!

لا تؤاخذني ان اكثرت من ذم هؤلاء ولعلي اوقرت سمعك بما قلت ، على انها نفثات بعثتها على لساني ذكراك ، وقد قرأت العروبة بين عينيك حافلة بالنور فعادت بي هذه الذكرى الى الخدمات الجلى التي اداها جدك وعمك وابوك في سبيل هذه الامة ، وترى كثيرا ممن يأخذون بزمامها اليوم يجحدون اياديكم ويتنكرون لفضلكم واحلهم يترامون على اقدام الخصم اللدود لعروبتكم ثم يجلسون على العروش والمناصب التي خلقتموها بتفانيكم لهم ، وكأنهم هم الذين قادوا الجيوش وافترشوا الرمال وتوسدوا الصخور في سبيل هذه المناصب ، او كأنهم هم الذين ضحوا بنفوسهم الغالية على مذبح الحرية التي يتغنون بها تحت ظل العلم العربي الخفاق

انهض يا سيدي لتوحيد امتك ، فالك العراق كله ، والعراق معقل العروبة منذ كان ، ولك في سوريا حزب الشعب القائم على دعائم تنتظم البأس والنجدة والاخلاص، ولك في لبنان جبل عامل الاشم وسهل البقاع المكتظ بالاسود وهذان كل الشعب اللبناني نجدة وحمية وعروبة ، ولك كل الحجاز مهبط الروح الامين على جدك وابيك ، انهض فالعروبة انما تحلم

وتهتف من ابنائها ، بالشباب والعمل ، والتضحية والاخلاص وهذه مـن خلالك لا خلالك كلها

ان آمال الامة العربية تنعقد اليوم على العراق موئلا تلجأ اليه من عضة الدهر ، وعلى الاسرة الهاشمية مفزعـاً تعتصم به من صولة العدو الغاشم ، ودعامـة ترفع سمك البيت القائم على المجد الاثيل والشرف البـاذخ والحسب الصراح

فما في العرب اليوم اسرة خليقة برعاية الامة وجديرة بالهيمنة على الشعب كالاسرة الهاشمية ، تصعد بسلسلتها الذهبية الى محمد باعث العرب لسيادة العالم بالامس ، ثم تنحدر الى الحسين جدك ، موقظ العرب اليوم لتحرير الجزيرة العربية وبعثها مـن جديد ، امة ذات بأس عاصم و كيان قائم

عـلى اسرتك تعول العرب والى البلاد التي يهيمن عليها فيصل تحت وصايتك ، اليها تفزع العروبة وتهوى افئدة العرب ...

الاصفهاني

السيد الشريف ابو الحسن ينتهي نسبه الى الامام موسى الكاظم ، نشأ في اصفهان ثم هاجر منها الى النجف منذ خمسين سنة ، وهو اليوم فيها مرجع الشيعة الامامية الاول ، يتخرج على يده اكثر العلماء الاعلام ، ينفق على طلبة العلم في جامعة النجف عشرين الف دينار كل شهر ثم لا يملك غير دار يسكنها ، اما طعامه ولباسه فمما يطعم ويلبس تلامذته وهو في العقد التاسع من سني حياته .

سيدي ابا الحسن

لو كان لله عين لكانت احدى عينيك ولو كان له قلب لكنت انت ذاك القلب . لقد كنت مأخوذاً بسحر عينيك اذ طلعت علي وانا ارقب طلوعك في مكتبك الخاص ، هذا المكتب الذي كاد يملي عليّ صدق ما تلقيته عنك في الكاظمية وانا اجتازها اليك .

فماذا رأيت في مكتبك ؟؟

وماذا سمعت في الكاظمية ؟؟

رأيت في مكتبك المتواضع مئات الكتب والرسائل مبعثرة هنا وهناك وعلى غير نظام . ورأيت الفراش والنمارق والمخادع لم ينتظمها فن وحتى لباسك والعمة التي تتوج رأسك الشريف كانت تملي علي الفوضى التي تنسب اليك .

كل ذلك لفتني الى كلمة صدعت سمعي من ثقة يحمل زيك وينتسب الى مدرستك ويجلس الى حلقة من طلاب الفقه يحدقون به فيروي عن الصادق شريعة جدك . تلك الكلمة التي ينسبها اليك هي قولك : العلم اذا انتظم تبعثر واذا تبعثر انتظم . نقلها الي عنك واكد صدقها ذلك الحبر ولكنه ابى عليّ ان انقلها عنه لانه لم يسمعها منك ولكنه سمعها ممن يثق به ويجله عن الكذب في النقل .

كنت وانا احدق بالفوضى السائدة في مكتبك ، اقابل بها الجملة التي سمعتها عنك في الكاظمية والتي بقيت تحز في نفسي حتى طلعت عليّ ونظرت الي بتينيك العينين النافذتين في صميم الحق ، رجعت اهمس في روعي : ما اسرع ما يصرع الحق الباطل !!!

دعني امعن في تأثير عينيك علي وانت تجيلها في وجهي ، فما احوجني الى هذا البحث وما اشد تأثير الحق في نفسي !!

لا أنكر يا سيدي اني كثير الفضول في كثير مما اقول ، فقد اتوهم أو اتخيل او ابالغ ، وقد اخطىء عن غير عمد ولكني الى ان انكر ضوء الشمس وهي بعيني ، اقرب مني الى ان اكذب او اتعمد خطأ او اعمد الى فضيلة فاجحدها او حق فاحيله الى باطل .

ان نظرتك هذه التي نفذت بها الى اعماق نفسي صرفتني عن كثير مما كنت اظن وعلمتني من جديد ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » .

كدت اصعق اذ نظرت الي بعينيك الهادئتين وخشيت ان افتضح وانت تجيلها في صميم كياني فتشرف بها على مخزون ما تضمره هذه النفس الامارة بالسوء وما يكنه هذا الطبع البشري الحافل بالآثام المتحدرة اليه من صدور الامهات واصلاب الآباء والاجداد .

ولكني اذ رأيت الطهر الكامن في اعماق نفسك يفيض من عينيك ويموج على شفتيك امنت الفضيحة وعلمت ان لله مثالا على الارض يغفر الذنب ويقبل التوب ويستر على القبيح .

ايها السيد السند

لشد ما كنت مأخوذاً بلطفك وعطفك ، ولشد ما كنت حريصاً على رضاك عن ظنون خامرت نفسي اذ سمعت بالفوضى في النجف وانت مصدر الحركة القائمة فيه ، كنت أعد كثيراً من القول الجريء اسري به عن نفسي الحافلة بالآلام ، وازحزح به عن صدري كابوساً ثقيل العبء شديد الوطء ، ولكني اذ رأيتك تطلع علي وتنظر الي ، دلتني بعينيك ان الحق لا يستره رجم بالغيب ، ولا يحول دون ظهوره تخرّص او إرجاف .

بين يدي من كان يخضع هؤلاء النفر من اعيان الامة ونوابها اذ دخلت علينا المكتب وهم معي يرقبون طلوعك عليهم ?? واذ تهالكنا جميعاً على لثم انامك المقدسة وشفتاك تهمس بكلمات يرن وقعها بين جنبي كل منا فيتردد صداها بين الشفاه والاعين دموعاً وابتساماً ، بين يدي من كنا نخضع ??

وبين يدي من يخضع هؤلاء وهم زعماء الامة ، جاثين على الركب مطرقين الى الارض حتى تقول ، فاذا هم شاخصون اليك يتلقفون ما تنبس به شفتاك كانما هو تنزيل من وحي الله ??

أبين يدي امير ساد الامة بعزمه وحزمه فدانت له الرقاب ولهجت به الالسن ?! ام بين يدي ملك توجه الشعب فجلس على عرشه يستقبل رجاله والصولجان في يده والعلم يخفق فوق رأسه ?? ابين واحد من هذين كنا خاشعين وانت تفرّق في وجوهنا الشاخصة اليك ، نظرات يعصف الحق وراءها بالباطل ويهتك التواضع الكبر ويذهب اليقين بالشك ???

كلا لم يكن خضوعنا ذاك بين يدي امـير ولا ملك ولكنه بين يدي سلطان الله المتجلي في ذاتك ، بين يدي امام يخرس الباطل على يديه ويفصح الحق بين شفتيه . أفما كنت انت يا سيدي مهوى افئدة الملايين من الناس يكلأونك بارواحهم ويحفظونك بقلوبهم ان قلت قالوا : صدق الله ورسوله، وان فعلت عمدوا الى فعلك فاتخذوه سنة يشب عليها صغيرهم ويهرم كبيرهم ؟؟

أفلست انت اليوم بقية السلف الصالح الذين بنوا من ورعهم وزهدهم في الحياة ، سداً حاجزاً بين نفوسهم وبين الشهوات ، فاذلوها ليعزوا في جنب الله واجاعوها ليشبعوا من روحه ، ثم عمدوا الى جفونهم فقرحوهـا بالسهد ، والى ظهورهم فقوسوها بالركوع ، والى جباههم فعفروها بالسجود ليصعدوا بارواحهم الى ملكوت الله ، فيشرفوا منه على الخلد حيث الري الذي لا ظمأ بعده والسرور الذي لا حزن معه والصفو الذي لا كدر فيه ؟؟

سيدي ابا الحسن .

لا تؤاخذني ان اسهبت في بث ما انطوت عليه نفسي من اثر تركته عيناك يجول في صدري فلا يستقر حتى اعود اليك والثم يديك ، ثم اسألك : لم تفعل العين في نفس الشاعر الحساس اضعاف ما يفعله لسان الخطيب المفوه وقلم الكاتب المبدع ؟؟

ألكل عين تنظر أثر يجول في نفس الشاعر ، ولكل نفس شاعرة مرآة ينطبع فيها ذلك الاثر ؟؟ ام هي عينك تلك ونفسي هذه ؟؟ عفواً سيدي ! لقد انطقتني بلغة «زرادشت» وما كنت لاحلم بكلمة واحدة منها تجري على

لساني ، حتى نظرت اليَّ نظرتك تلك ، علمتني كيف ينطق العي ويفقه البليد ويفصح الاعجم ؟؟؟

انا لا اصدق يا سيدي انك انت القائل : العلم اذا انتظم تبعثر ، واذا تبعثر انتظم . وفي صميم النظام عملك جله او كله ، أفلست انت باعث « منتدى النشر » وهو المؤسسة الاولى للعلم المنظم في النجف ؟؟ وها هي فروعه تجتاز الغريَّ الى كربلا فالكاظمية يغذيها فكرك بالنظام ويداك بالسخاء وحكمتك بمكارم الاخلاق ؟؟؟

أفلست انت منظم الارساليات الى المدن والقرى فما امرّ بقرية الا ولك فيها وليّ مرشد ، ولا انزل في مدينة الا ولك في احيائها رسل يقيمون الصلاة ويدعون الى كتاب الله والعمل بما فيه ؟؟

أوَ ليس من النظام ان توزع الخبز سحابة كل يوم على آلاف الطلبة والفقراء في النجف وكربلاء والكاظم وسامراء ؟؟؟

أوَ ليس من النظام ان يتقاضى آلاف الطلبة من خزينتك على رأس كل شهر رواتبهم من ثلاثة الى عشرين ديناراً مضافة الى الخبز واجرة السكن ؟

فأي ملك ينفق من مال الله المعهود اليه به الف دينار كل يوم فاذا امسى نفض كفيه كأن لم يصنع شيئاً وجلس يحاسب نفسه بين طعامه الجشب ولباسه الخشن : أكان وفياً لله بما عهد اليه به من صدق وعده واداء أمانته ؟؟؟

اوَ ليس من النظام ان ترد حقوق الله عليك من بلاد الهند والصين

وتركيا وفارس سنة بعد سنة ضمن قانون لا يتعدى حدوده ، يميز الخمس عن الزكاة ، ويفصل بين النقد والمال ثم ينوع المال الى بر ونعم ، وفي كل ذلك لله حق ينتظمه الشرع ويقره الدين؟؟

أو َ ليس من النظام بحثك الفقه اصيل كل يوم وفي ساعة معينة على آلاف الطلاب وفي مكان معين ، وهو علم مطرد الاصول والفصول ينتظم كليه جزئيه ، ويشتمل عمومه على خصوصه ويوضح تفصيله اجماله ومحكمه المتشابه منه ؟؟؟

أو ليس من النظام ايها السيد ان تفرغ كلما فتق سمعك الاذان الى لقاء الله في وقت معين والى جهة معينة تأتم بك آلاف المصلين ، يستقبلون ما تستقبل ويقولون بما تقول فينتظمهم بين يدي الخالق ركوع كركوعك وسجود كسجودك ؟؟؟

وبعد اوليس من النظام خشوعك بين يدي الله واطمئنانك الى رحمته ، وهدوؤك بيننا وفي كل مجتمع تسوده سكينتك ، ويهيمن عليه وقارك ، حتى كانك امين الله يتنزل بالوحي على رسله ، او احد هذه الرسل يهبط عليه الروح الامين بوحي الله مؤيداً بروح من عنده ؟ ؟

اوليس هذا من النظام يا سيدي اذا اعتبرنا ان الفوضى نقيضه ، وانها ثورة لا يستقر معها الفوضوي حتى ينتظمه سلطان من حكومة او دين ، وحتى يخلد الى نظام يملي عليه الطمأنينة والهدوء . فينظر بمثل عينيك ويشير بمثل يديك ؟ ؟

ان هذا كله من النظـام وهو في صميم قولك وعملك فكيف يعزون اليك ضده ويتهمونك بما انت منه براء. فيفترون عليك بكلمة لا يسيغها شرع ولا يقرها عقل ؟ ؟ تزعم تلك الكلمة ان العلم اذا انتظم تبعـثر ، واذا تبعثر انتظم .

وكيف يتبعثر العلم اذا انتظم؟؟ أفما هذبت الالسنَ علوم اللغـة بفضل ما سادها من تنظيم ، وهذب الفكرَ علم البيان، وسدد العقلَ علم الحكمة ، بما ينتظمها من نظام شامل يحول بينهمـا وبين الفوضى ان تتسرب اليهما ، فيعجز الفكر عن البيان، والمنطق عن البرهان، ويعود الانسان الى جهله فأمّيته ثم الى وحشيته التي لا تميزه عن الحيوان فلا يصدق عليه انه انسان ???

فمن ينقل عنك ذلك انما يفتري عليك ولعله يحسب ان النظام قاصر على الشكل الذي تفعله الحكومات من تأسيس معاهد وتشييد معابد فيحسبون غيره فوضى ثم يجهلون ان النظام وليد الحكمة والحكمة ضالة المؤمن وانك مصدر الايمان ، فيريدون اذ ينسبون اليك الفوضى والاعتداد بها والنهي عن النظام ، يريدون ان يجحفوا بحكمتك ويسيئوا الى عملك الجبار .

واسمح لي يا سيدي ان اخاطب هؤلاء في عرض حديثي اليك ومثولي بين يديك بشيء مما ينزله مبدع الكون على الفكر العبقري :

قد يحسب المهندس او العالم او الفنان انه يبدع ما لم يكن ، اذ يروعنا بجمال ما تفتق العبقرية على يديه ، وهو في الحقيقة يشير الى جمال ثابت في قلب الطبيعة التي انبتته وجعلت في نفسه افقـاً تطبـع اسرارها عليه وترسم

اشكالها فيه .

فانت اذا بحثت حبة البرد المتساقط من السحاب وجدت فيها شكلا هندسياً يقف الانسان بين يديه حائر اللب ، واذا اصغيت الى بعض الطيور وهو يوقع الحانه على افنان الشجر ، زهدت بكل ما تسمع من عبقرية الفن واذا امعنت في صنع النحل وادراك النمل تركت العقل وراءك ، وظلت تتلمس اليد التي ترشد النحل الى صنعه وتقف النمل على ادراكه .

فالمهندس اذ يبدع شكلا ما يستهوينا به ، فانما يشير به الى شكل اوسع قام عليه الكون وانطبع مصغراً على مرآة نفسه فصورها في الخارج ، كماينطبع القصر او الدوحة مصغرة في عدسة العين او زجاجة المصور ثم يبرزها الى الخارج ضئيلة تشير الى اصلها الفاره .

والفنان اذ يبدع لحنا او شعراً يستغوينا به فانما يشير به الى لحن وفكر اوسع قائمين في قلب الطبيعة لا يحدهما الفكر الانساني ولا يحيط بهما ادراكه وانما ينطبع فيه ذلك الفكر مصغرا فيبرزه الى الخارج كما نسمع ونقرأ .

فالطبيعة بمجموعها او الكون باسره . كالفرد بذاته له تفكيره القائم فيه ، ولحنه الصادر عنه ، يعكسهما في نفوسنا او في من هو اصغر منا حجماً واحقر شأناً فيولدان فيما بيننا الاعجاب بما نأتيه ونغفل عن مصدره الاول .

قد يحار الغبي في كنه الموسيقى وروعتها في النفس ثم يعجب ان قلت له انها لغة الطبيعة الشائعة في الوجود نسمعها في كل لحظة ثم لا نطرب لها طربنا لموسيقى الفنان ، ذلك لانا نسمع مقطعاً واحداً من لحنها واما المقاطع الاخرى

ففي جهة لا يتصل لنا بها سمع ، ولا يحيط بها منا افق ، وانما يطرب لها عالم اوسع افقاً من عالمنا .

فقد يكون المقطع الذي نسمع في لبنان على لسان الطير والبحر ، يقابله مقطع آخر على شاطيء الفرات ، ويقابلها مقاطع اخرى على ساحل بحر اللؤلؤ ثم لا يكون الطرب الناشيء عن هـذه الموسيقى متوفرا لغير السمع الذي يعي هذه المقاطع جمعاء ، ولتنعم الطبيعة طفلها بجمال هذا اللحن تبعثه في نفسه مصغر الحجم يستطيع الاحاطة به فيحار في كنهه ويجهل مصدره .

وقد يحار هذا الغبي في كنه الشعر واثره في النفس الحساسة ثم يعجب كل العجب ان قلت له : انما هو صورة والشاعر مصور لما يجول في قلب امه الطبيعة من فكر ينتظمه وزن ولحن هما كل ما في شعره من جمال .

ولذا كلما انحط الانسان كان الفن معه منحطاً حتى اذا صعد في عالم الفكر صعد الفن معه ، فالانسان الادنى لا تطربه موسيقى الانسان الاعلى ولعله لا يدرك الجمال الذي قامت عليه ، وهكذا نجد الانسان الاعلى لا يطرب للموسيقى الدنيا القائمة على مقاطع ضيقة الافق .

وكذلك نجد الشعر في عالم الانسان الجاهل يسير الفكرة تافه اللون حتى اذا استوت مداركه ونضج معقوله واتسع افق الحيـاة الحافلة به ، دق احساسه ورق شعوره فكان الشعر معه جليل الفكرة عبقري الروح .

فالنظام يا سيدي هو قوام الطبيعة وتتقوم به الحياة ، فاذا اختل تلاشت وخبا نورها في الكون ، من اجل ذلك لا ينبغي للعقل ان يقطع بوجوب

الفوضى في نظام الطبيعة وانما هو تقدير نسبي كالجمال والقبح ، فالفوضى نظام لا نصل الى كنهه كما ان القبح جمال غفلنا عن ادراكه ، او انا اطلقنا عليه لفظ القبح لنقابل به الجمال المصطلح عليه ، ووصفنا النظام الخفي بالفوضى لنقابل به النظام البين .

قد ادرك ان النظام قوام الحياة ففي حركاتها نظام لا تتعداه ، وفي سكونها نظام لا تحيد عنه ، في دقيقها وجليلها ، ظاهرها وخفيها ، عاليها وسافلها ، حيوانها وجمادها ، زمانها ومكانها ، في كل ذلك ناموس ينتظم الوجود لايشذ عنه جزئي ، من كليه الثابت ، فاذا تسرب الخلل الى هذا النظام فسد الوجود وانهار الكون وتلاشت الحياة .

اما الانظمة الجزئية التي ندركها في انفسنا وفي المجتمع الذي يحدق بنا ، والتي هي من ولائد افكارنا فلن تتوقف على استقامتها حياتنا العامة ، اي حياة التسلسل وبقاء النوع ، وانما يمسكها من ان تتلاشى ، نظام الحياة العام الذي يسنه مبدع الكون ، وهذا النظام خالد لا يدب فيه خلل .

واما النظام الخاص الذي يفتقه الفكر البشري فانما هو صورة ممسوخة عن النظام العام ، لذلك يضمن لنا الخلود على قدر خلوده في الحياة لانه جزئي من النظام الكلي كما ان المجتمع الذي يسنه جزئي من الوجود الذي هو كلي عام .

والخلود انما يتمشى في الكليات لا في جزئياتها ، فالانسان خالد ويضمن له الخلود ناموس الطبيعة ، واما زيد الذي هو جزئي منه فيفنى فيه لان نظامه

الخاص يندرج في ذلك الناموس فيستحيل فيه ، على انا لو بنينا حركاتنا وسكوننا في الحياة على نظام تسنه لنا حكمة العباقرة منا لضمن لنا هذا النظام خلوداً حتى في الاجساد التي ينكر العلم خلودها .

ان تصورنا الخلود الذي تعدنا به الاديان في الحياة الاخرى لا تتخلى عنه الحقيقة ، فخلود الروح الذي اثبته العلم متقلباً في الوان هذه الاجسام واشكالها ليس باقرب الى الايمان من خلود الجسم متلبساً ذلك الروح ، واذا اثبت العلم خلود الجسم بالتحنيط عارياً عن الحياة كما نشعر فبالطريق الاولى يجرؤ العلم على اثبات خلوده مع الحياة وهي خالدة بناموسها العام .

وادراكنا الذي لا نشك في نقصه ، ان الجسم يستحيل خلوده بروحه التي سلخته عن الكلي فكان بها جزئياً ، هذا الادراك لا يقوم دليلاً على استحالة خلود الجزئي ، لاعترافنا بان العلم وتطور الفكر قد اثبتا نقص هذا الادراك وتطوره ، فما يمنعنا من ان نصل يوماً ما بفضل هذا النمو الفكري الى نظام يضمن لنا الخلود بالروح والجسد شخصياً كما وصل المبدع الاول الى وضع نظام عام ضمن به خلود الكون واستقامة الوجود ؟؟؟

على اني أرى يا سيدي ان الخلود امر نسبي ، فبقاء الكون كليا اذا قيس ببقاء اجرامه جزئياً هو خلود واما خلوده اذا قيس ببقاء المبدع الذي يهيمن عليه كان زوالا ، وهكذا يتمشى الفكر على هذه النسبة بين حلق السلسلة التي تنتظم الكون صاعداً ومنحدراً .

واذا ثبت لدينا بالبداهة ان النظام الخاص يحفظ حياتنا ولو الى حين ،

ورأينا ان خلله يستلزم فساد هذه الحياة ، فلماذا لا يضمن لنا الخلود اذا احكمنا وضعه وخضعنا لحكمه واستحلنا فيه حتى كنا اياه ؟؟ فان الحياة والوجود والكون ليست كما اظن معارض انظمة وانما هي الانظمة بذاتها .

وعجيب ان نرى العلم يرمز الى الحقيقة رمزاً اول ما يكشف عنها ، ثم يشير اليها اشارة ثم يبعثها خلقاً محسوساً كأنها احدى بديهيات الوجود ، ثم نرى ان النظام يلمسنا لمساً هيمنته على حياتنا الخاصة وتأثيره في طولها وقصرها ، ولا نثق بانه زعيم بان يضمن لنا الخلود اذا عززناه بالحكمة كما ضمن لنا العلم كشف الحقائق المستورة اذ عززناه بالتفكير .

فقد نصل بفضل النظام اذا احكمنا وضعه واتباعه ، الى البقاء الذي نطلق عليه بالنسبة الى بقائنا الراهن أنه خلود وان استمر زوالا بالنسبة الى خلود الكون او المهيمن عليه .

والنظام في اصل الوضع حكمة يُلمس بها سر الوجود ويُدرك بها جماله ، كالحكمة التي يدرك بها جمال اللؤلؤ وهو عقد وجمال الكلم وهو شعر .

افلا ترى ان الموسيقى التي هي صوت الحق في عالم الفن ، انما تروع النفس وتهز المشاعر بالكلم الموزون المقفى؟؟ وان الشاعر لما يظهر على غيره في هذا العالم اي عالم الفن ، بفضل قدرته على تلمس الجمال وابرازه وهو مقيد بنظام القافية والوزن ???

ذلك مما يبرهن لنا على ان الجمال كنز في قلب الطبيعة لا يستخرج الا بجهد ، وان الفكر البشري مسربل بقيود المادة لا يشرف على الجمال الا من

خلال ظلها الكثيف ، ولن يلمسه ثم يجوزه الا بعد تحطيم تلك القيود ، وهذا التحطيم يستلزم في الشاعر قلبا جبارا يشتمل على الكون بأسره

فاذا كان نظم الكلم او الدر مظهرا لجمال الحياة في طبيعة الدر او الكلم ، وكان ابقى عليهـا في معرض الحوادث التي تحمل الى الاحياء رسالة الفناء ، كان الناموس الطبيعي او الاجتماعي الذي نطلق عليه اسم النظام او القانون والذي ينتظم الحكم ، دقيقها وجليلها ، كان مظهرا لجمـال الحياة في طبيعة العوالم ظاهرة وخفية ، وكان ابقى عليها في معرض ما يحدق بهـا من خطر الزوال . »

ذلك فصل من فصول العبقرية في النظام عرضته بين يدي سيدي الحجة موجهاً الى اولئك النفر الذين ينسبون اليه الفوضى وهو في حـيز النظام او لعله النظام بذاته .

ايها السيد الجليل .

ما كنت لاماري فيما اقول او افعل وانا اتوجه اليك بعد نظرتك العميقة الي ، تلك النظرة التي ردتني بعد الضلال الى الرشد ولو فيما اكتب اليك او انطق بين يديك . ما كنت لأماري والله او اكذب خوفاً منك او طمعـاً فيك ، ولكن شيئاً بعثته عيناك في نفسي وانت تحيابها في وجهي ، شيئاً لا استطيع تفسيره الا بالوحي الذي يحملني على الجد بعد الهزل والصدق بعـد الكذب والرجاء بعد اليأس وتلمس الحق بعد الغواية في البـاطـل ، شيئاً لا افهمه الا بان امسك القلم واكتب اليك هذه الرسالة مسلوخة من يقيني ،

قائلة بما اقول وشاعرة بما اشعر ، ثم لا اقصد من وراء تحبيرها الا وجه الحق المتجلي في كلماتها كلمة كلمة وبين حروف هذه الكلم حرفاً حرفاً فان صدقت بها فذاك والا فالمسؤول عما اكتب انما هو عيناك .

لقد اكبرت عملك وان لم أسمع قولك ، واجلات شخصك وان لم تضخم جثتك وعلمت ان الشاعر انما يعنيك حيث يقول :

اذا سمنت همة في الضلوع فـآيتها البدن النـاحل

كيف لا اكبر رجلا يجمع على حبه واكباره والتفـاني في سبيل رضاه قلوب ستين مليوناً من شيعته واتباعه ؟ ؟ وكيف لا اقدس نفساً يعضهـا الكرب فتلجأ الى الصبر ويعوزها الصبر فتفزع الى الله فاذا هي بين يدي ربها اصغر ما في الوجود واذا هي في الكون اكبر من الكون ؟؟

كيف لا اخضع امام يد هزيلة مرتعشة تنفق في كل شهر من عشرين الى ثلاثين الفاً من الدنانير على الوف من طلاب العلم وهواة الفن وبناة الاخلاق وبؤساء ؟؟ الحياة ولعل هذه اليد تلفعك بالاطمار البالية وتطعمك لخبز الغميس بالخل او الادام التافه .

يا صاحب العظمة المتجلية في حقارة ما يأكل ويشرب ويسكن ويلبس ، ايها المطرق وهو يمشي تواضعاً وعظة ، والصامت بين يدي ربـه تضرعاً وخشية .

ايها الباذل ما في يده وهو جائع ، والكاسي عراة الامة وهو عريان ، والمفرج عنهم الكرب وهو المفجوع باعز ما لديه ولكنه صابر محتسب .

افلا يأخذ عنك ملوك الارض دروساً في استعباد القلوب واسترقاق الانفس فتعلمهم كيف تخضع لهم الرعايا بدون سلطان وتساق اليهم الاموال بغير جباة ، وتقدسهم الالسن دونما خوف او طمع ؟؟ فيكونوا في امن من ثورة المظلوم وغدر الظالم لا يحجبهم الحرس ولا تبطرهم النعمة ولا يقلقهم الجزع ولا يظمأون الى قطرة من سلسبيل الامن في يومهم والنجاة في الغد القريب منهم ؟؟؟

افلا تعلمهم يا سيدي كيف يلفظون الدنيا فتقبل عليهم وهم يطلبونها فتعرض عنهم ؟؟

الا تعلمهم كيف يزهدون بالمال فيترامى على اقدامهم ، ويمقتون الرئاسة فتتهالك على ابوابهم وينفرون من السلطان فينقاد لهم ويتصاغر بين ايديهم ؟؟

علمهم يا سيدي ان الخلود في الحياة والحياة في العز والعز في البطولة والبطولة في العمل والعمل في الاخلاص والاخلاص بالتجرد من الانانية والفناء في ذات الله . علمهم يا سيدي كيف يصعد الرجل حتى يكون افضل من الملائكة وكيف يهبط حتى يكون ارذل من الحيوان ؟؟؟

يتهمونك يا سيدي بانك تحاذر الغوغاء اذ حرمت حادث يوم عاشوراء الفظيع برسالتك الى الفرس وسكت عنه في رسالتك الى العرب ، وهو حادث يتكرر في كل عام وكل منا يراه بدعة لا يقرها شرع ولا يسيغها عقل ، افلا يكفيهم انك حرمته في احدى رسائلك عربية كانت او عجمية

حتى يعرضوك الى سخط تعرض له جدك قبلك فناله منهم ما تخشى ان ينالك ؟؟

ان هؤلاء الذين يتهمونك بالخوف من الغوغاء لم يجرؤا على اتهام النبي في « دعوته الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة » ولا في تأليف قلوب الجهلة من قومه ، ثم لم يصلوا بفقههم « الصحيح » الى ان سكوتك عن الحكم بالحرمة مع السلام اقوم واحكم من جهرك به مع تعرضك لهوى الظلمة وسفه الرعاع من الناس .

والعجب من هؤلاء اذ يريدون النجف الذي هو مهبط وحيك ومصدر علمك ، يريدونه ان يصعد بك الى مستوى المدينة الفاضلة التي تخيلها افلاطون ولم يحققها بعده نبي او وصي .

لم يكفهم ان النجف مثال الانسان الكامل الجامع بين الملاك والحيوان ففيه الصاعد حتى يحول فيه الحق والهابط حتى يستحيل في الباطل وهكذا الانسان منذ وجد ، مزيج من الخير والشر الا ان يكون معصوماً عن الشر والعصمة جائزة الا فيمن جمع الله بين الاضداد في نفسه فكان متميزا هو عنه بالخير المحض لئلا يكون له شريك من خلقه .

ويقولون : « النظافة من الايمان والصحة شرط في العبادة » وهذه النجف ذات الازقة المظلمة القذرة والحياض العفنة والحمامات المليئة بجراثيم الاوباء ، لا يشيع فيها للامام فتوى بحرمة استعمال هذه الحياض ودخول تلك الحمامات ، كأنهم لا يفهمون او لا يريدون ان يفهموا ان وظيفة الشارع غير

وظيفة الحاكم ، وان المدنية انما يلدها الدين اذ يسود الامة سلطان يستمد نفوذه من كتاب الله وسنة رسوله ، ويقوم على تنفيذ احكامه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار .

اما انا يا سيدي ؛ ولعلي اجهر وحدي بهذه الشكاة اليك ؛ ولعل ورائي من يشايعني عليها ويقتفي اثري بها ، ولكنه لا يجرؤ على الجهر بها جرأتي ولعله يجرؤ ولكنه لا يخلص في بثها اليك اخلاصي ولا يستهدف الغاية التي من اجلها يشكو هذا البث ويبث هذه الشكوى .

اشكو اليك يا سيدي اموراً لا احمد اليك السهو عنها والتواني في العمل على استئصال الداء الذي يفضي اليها ، « عنيت سهوي انا وتوانيّ عن ان ابثها اياك » .

من هذه الامور : جمود الدرس على نوع واحد من التصنيف ، فانا لا نسمع منذ قرون عدة ان طالباً ورد النجف الا وكان حتما عليه ان يتلقى منهاج الدراسة على هذا الشكل : الاجرومية فقطر الندى ، فألفية بن مالك فمطول العلامة التفتازاني ، فالحاشية ، فالشمسية ، فالمعالم ، فالقوانين مثلاً الى اخر ما هنالك من الكتب التقليدية .

فلا نجد من علمائنا الاعلام من يتخصص لاختيار الكتب السهلة المأخذ التي تماشي الزمن والطالب معاً ، والتي توفر على التلميذ المعلم وقتاً يفرغ معه الى العمل بما يعلم ،فان خمس عشرة الى عشرين سنة كثيرة جداً على من يريد

ان يجتزىء من العلم ، ولعل اكثر من يحملون توقيعكم في الاجتهاد من هذا النوع ، وفي يقيني ان بضع سنوات للدارس المخلص المجد اذا انتظمت دراسته واختيرت او هذبت الكتب التي يدرسها ، هذه السنوات القليلة كفيلة بايصاله الى ما وصل اليه هؤلاء الذين تبعثون بهم او ينبعثون هم من تلقاء انفسهم الى الاقطار ليعملوا .

سيدي المعتمد الاكبر .

اسمح لي ، وانا اقل تلامذتك ، ان اجرأ على اقتراح لعله الاول من نوعه ، هو ان تعتمدوا نفراً من العلماء الاعلام الذين اوتوا براعة التجديد فينصرفوا الى اختيار الكتب المفيدة باختصارها وسهولتها ثم اعدادها للطبع باحرف جديدة وفن محكم ، لتساعد الطالب باختصارها على ربح الزمن ، وبسهولة فهمها على تهذيب الفكر ، وبإحكام طبعها على انعام النظر وايناس الروح ومن ورائها تسديد المنطق .

فليس عسيراً يا سيدي ان تخصصوا قليلا من كثير ما تنفقونه في سبيل اختيار الكتب او اختصارها ثم طبعها واعدادها لدراسة جديدة انجع واسرع من الدراسة التي نعهدها والتي نخشى ان يناهضها الزمن ونحن ابناؤه .

اجل ليس من العسير يا سيدي ان تتبنوا احدى مطابع النجف وتعززوها بحروف جديدة وتقيموا عليها نفراً قيماً من لدنكم فيخرجوا لنا كتباً جديدة للطلاب لا تقل إحكاماً واتقاناً عن الكتب التي تخرجها لنا مطابع مصر ولبنان .

ومن هـــذه الامور التي نشكوها اليك : الفوضى في المتخرجين عـــلى مدرستك فقد نجد احدهم علامة عصره والاخر لا ينطوي على يسير من العلم وكلاهما يحمل توقيعك وزيك على السواء ، ثم لا يتنـــازل الادنى للاعلى عن منصة الحكم في معرض الفتوى ولا يعترف له بالافضليـــة ثم لا يتورع عن هضمه وهو يعلم انه ظالم له ، ولا اشك في انه يستند اذ يهضم ويظلم الى ما في يده من صك يحمل اسمك المقدس ، وما يعلوه من زي يمت به الى العلم والدين ، ولولا ذلك لما حدثته نفسه او تحدث اليه جهله بان يجرأ عـــلى العلم وينتهك حرمة الدين .

فلو عمد سيدي الى نفر من خاصة العلماء وعهد اليهم باختبار المتخرج وبحث نفسه فلا يضع اسمه الا حيث ينفع ، لكفانا مؤونة كثير ممن يرتادون النجف فيعدون اياماً واعواماً ليحملوا تلك الشهادة لا ليقتبسوا من نور الله فيكشفوا به الظلمة عن امتهم وبلادهم .

ومن هذه الامور : عدم الحكمة من بعض رسلك في دعوة الشباب الى الحق وردعهم عن الباطل ، والشباب هم رجال الغد وعليهم معول الامـــة في الحياة ، وقد الجأهم الدهر او الجأنا الى تهذيبهم على الشكل الذي لا يتلاءم وحياتنا الراهنة لوقوفنا في الطريق حتى الجمود خشية ان نضل ، وسير القوم حتى الركض خشية ان يجمدوا .

مر رسلك يا سيدي ان يقفوا من المتشابه والمختلف فيه عند الممكن للشباب الذين نخشى ضياعهم لو حملناهم على المستحيل في الحكم الممكن

للنجفي دون من قضت عليه الظروف ان يحيي في شاطئ العاج او على ضفاف النهر الفضي ، وليس من الجأناه الى ان يدرس في معهد يسوع يستطيع ان يحيي حياة من يعيش في كنفك وتحت اشرافك .

فما علينا يا سيدي ، والزمن يناهضنا ان نناهض الزمن فنعمد الى اسهل الاحكام المختلف فيها فنطبقها على المدنية ونخضعها للزمن ، ونقف عند المتفق عليه فنطبق المدنية عليه ونخضع الزمن له ؟؟ ونفتح احضاننا للشباب الذين اضطروا الى التخرج على ايد بعيدة عنا فنغمره بالخلق المحمدي وندعوه الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى يشعر من نفسه وتمتلئ هذه النفس الحساسة شعوراً بعظمة محمد وورثته فيرعوي في يومه او يفيء الى خلق ابيه السامي في غده ؟؟

أو ليس في هذا يا سيدي غنى لنا عن ان نوغر صدر الشاب الملتهب دماً وعاطفة بالتكفير والتفسيق حتى يتربى في نفسه اعتقاد يريه ان الخير في ان يلتمس نهجاً يفضي به الى حياة هي اسمى من الحياة التي جمد عليها ابوه ودرج في اكفانها جده ؟؟؟

ومن هذه الامور : نكوصنا عن التصرف في احكام تنطق بضرورة تصرفنا فيها ، أفليس اجماعنا على عدم صحة تقليد الميت برهاناً على ضرورة تصرفنا واظهاراً لفضل الاجتهاد على التقليد ؟؟ فاذا اجمعنا على وجوب تقليد الحي ورأينا ان الميت افقه بحياتنا من هذا الحي فما هو فضل الحي على الميت ، وكيف نماشي الزمن ونحن ابناؤه ؟؟

ومن هذه الامور يا سيدي : الجنائز التي تحمل الى النجف وهي جيف تنبعث منها روائح تضر بالحي وتحط من كرامـة الميت بينما الشرع يامرنا بمظاهر التجلة لهذا الجسد بعد فراقه الروح اشعارا بعظمة المكان للكائن ، أفما ينكر الدين حمل هذه الجنائز على هذا الشكل ؟؟

انا ادري انك تنكر هذا كما انكرت الشبيه يوم عاشوراء وانكارك اياه دليل على ان الشرع براء منه ولكن الغوغاء من العامة لا يقنعها الانكار حتى تفهم بلغة القوة التي تهيمن عليها ان هذا ليس من الدين وان الدين يعاقب عليه ، وفي يقيني انكم اذا تضافرتم واقررتم نظـام التنفيذ في الحكم ، واخـذتم على انفسكم الامر بالمعروف حتى يسود والنهي عن المنكر حتى يضمحل ، لوصلتم الى درء كثير مما شاع وهو منكر وتحاماه المصلح خشية ان يهان او يخفق .

ومن هذه الامور التي اشكوها اليك : الحمامات العمومية ، فما رأيت في شرق الارض ولا غربها اقذر منها عندنا ولماذا ؟؟

اسمح لي يا سيدي ان احمل على هذه الحمامات التي يكبر العقل بله الشرع عن ان يسيغ الدخول اليها لما يسود افقها من الجرة تحمل اخبث ريح ، ولما يطفو على مياهها من اقذار يضيق بها صدر المؤمن ، ويتسع لها قلب كل غبي لا يفقه الشرع .

افما ورد في السنة استجباب شربك من ماء الحمام قبل ان تستحم به ؟؟ أو ليس في هـذا دليل على ان الماء لا يسوغ الاستحمام به حتى يكون

صالحاً للشرب ؟؟

هل وُجد الحمام للجزارين يفرغون اليه بعد ان يصبحوا كالعلق من دم المسلخ واوضاره ؟؟ ام وجد المصابين بحصر البول والسيلان ليستشفوا به ؟؟ ام وجد للمجذومين يكشطون عن ايديهم وارجلهم ما يتكاثف عليها من جراثيم ؟؟

ان حماماتنا وجدت لهؤلاء اولا ولنا ثانياً واخيراً، والمصيبة كل المصيبة ان مياه هذه الحمامات راكدة لا جارية وحياضها لا تترح اكثر من مرة في الشهر فهل هذا من الشرع يا سيدي ؟؟ وهل تغير ريح الحمام ولونه وطعمه من غير النجس الذي يتركه الجزار والقصاب والحصير والمجذوم من اقذار واوضار ؟؟

انحن وحدنا نريد ان نطبق الزمن على الدين بحذافيره والعالم كله يجتهد في تطبيق الدين على الزمن وتكييفه به ثم نرانا عبيداً لهذا العالم لا نستطيع الانفكاك عنه بما اوتينا من ذل وضعف ؟؟ فلم لا نطبق ما نستطيع تطبيقه ونكل ما نعجز عنه الى الزمن نفسه او الى تفكيرنا الحر السامي في القيد الذي حطمه ديننا المقدس وساعده على ذلك الاجتهاد الذي نتمسك به .

ومثلاً على ذلك : لم لم نقل بجرمة القذارة ولو لم تكن نجاسة تقليدية وبوجوب النظافة ولو لم تكن طهارة كذلك ؟؟ الم يقل نبينا : النظافة من الايمان ؟؟ افلا ينتج منا ان القذارة نقص فيه ؟ ومن يشك بجرمة النقص في الايمان ؟؟

ولو لم ينشأ عن القذارة الا احتقار النظيف للقذر وازدراؤه لكان ذلك كافياً في تحريمه ؟؟ وقـد يفضي احتقار الشخص الى احتقار دينه ومذهبه لضرورة التلازم بين الدين والحياة .

ومثلا آخر : الكر ، فلم لا نقول بتنجسه اذا تغير ريحـه كما نراه ، اما للقذارة واما لاثبات ان تغير ريحه ناشيء عن النجس بدليل انا لم نستعمله الا لتطهير المتنجس على الغالب ، وازالة النجس عن المتنجس كاللحم والنعل والآنية والاستنجاء ، هو الذي يسبب تغير ريحه ، وتثبيت ذلـك : انا لو ملأنا حوضين واستعملنا احدهما لتعفن المستعمل دون المهمل ، اذن فالحوض اذا تغيرت رائحته تنجس لان هذا التغير مسبب عن النجس الذي يستقر فيه من المتنجس .

ولكم يؤلمني جدا ان ارى في بعض الدور التي لا تزال تشتمل على هذا الحوض ، بعض اهلها يغسلون اقدامهم ثم يطأطئون فيغمسون بهـا ايديهم وافواههم ثم يتطهرون للصلاة ، ذلك ما جر علينا انتقاد الكاتب الريحـاني لحوض الكر ونسبته اخس التقـاليد واخطها للطائفة والصاقها بالمذهب آخر الامر .

اتقدم اليك يا سيدي ان توجه عنايتك لحظة ما الى الصحة العامـة في النجف التي هي عاصمة ستين مليونا من الخاضعين لك ، وان توجه نداء عاماً للاهلين عـلى السنة الخطباء والمرشدين بالحث على النظافة التي هي حرز الابدان من الاوباء ليستقيم العقل سليما في البدن الصحيح .

وبعد فماذا اكبر فيك ايها السيد المكلوء بعين الحق ؟؟

أأكبر عقلك الذي تهيمن به على ملايين من العقول لولاك لكان لها وللحيرة شأن في الحياة ؟ ؟

ام أكبر عملك الذي يسع رقعة العالم وانت في سرداب مظلم تهبط فيه الى حيث لا تسمع الا صوتك ولا تبصر الا شخصك ، وتكاد تسمع همس الكائن الخفي وتبصر الحق في ملكوته ؟ ؟

ام أكبر عمامتك وهو يعجز الملوك ان تزحزح تحت عبئه ؟؟ ملايين من البشر تخضع لك فتؤدي حقوق الله على يديك ثم تنفق هذه الحقوق على آلاف الموظفين في دائرتك العليا دونما قوة تدعم سلطانك او جند يحرسك وينفذ اوامرك ، الا كلمة الله العليا التي رسمت على جبينك فجراً ينفذ نوره الى القلوب فيغرس فيها المحبة لك والخضوع بين يديك .

ولعلي أكبر قلبك فقط ، ذلك القلب الذي لم يجزع لنكبات الدهر وقد توالت عليك ستين عاماً ثم لم تفجره المصيبة يوم ذبح نجلك وهو بعينك ترى دمه يسيل على بلاط الصحن العلوي وانت تحتسبه عند الله فما يجري على لسانك الا قوله : انا لله وانا اليه راجعون .

هذا القلب الجبار الذي يسع كونا من الافواه والايدي تزدحم على بابك ولا هم لها الا ان تزودك بما يرهق من الطلب فتصطدم منك بصخرة تصمد للدهر حتى يتحطم قرنه ويخور عزمه فاذا هي تلك الصفاة الصلبة التي لم تخدش ، واذا هو ذلك الثور الخائر الاجم .

هذا القلب الذي يضيق عن مثل حبة خردل يريد الشيطان ان يقذفها فيه ، ثم هو يتسع لستين مليوناً يردون عليه ظمأى ويصدرون عنه ملأى ، ظمأى الى العلم ينير بصائرهم والى الدين ينقي ضمائرهم ، فالوف الفتاوى تردهم منك ، والوف المرشدين تصدر اليهم عنك .

هذا القلب الذي لم تقو الايام على خدشه بالنكبات ، يدميه حنين الفصيل الى امه الثاكل ، ودمعة الايم على وحيدها المفقود ، ويجرحه حتى السويداء هم البائس ، ورنين المعول ، ونشيج الباكي ، وعبرة المعدم ، وصراخ المظلوم .

هذا القلب هو الذي أكبره فيك قبل كل جارحة اخضعتها لله فهي في طاعته ساكنة ومتحركة ، وعلى ذكر منه ناطقة وساكتة .

القلب يا سيدي هو كل الانسان صلح ام فسد ، خبث او طاب ، وكبر ام صغر ، وعزّ او ذلّ ، فالقلب هو الصالح وهو الفاسد ، هو الخبيث وهو الطيب ، وبعد فهو الصغير والكبير والعزيز والذليل ، أفما علمنا جدك ان في الجسد بضعة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد كله الا وهي القلب . أوَ ما قال الله عزّ من قائل : ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ؟؟ سلمت للحق تعلي مناره ، وللدين ترفع لواءه ، وللامة تكلأها من التردي في الغي .

الرسالة الثالثة

كاشف الغطاء

الشيخ محمد الحسين من اسرة عربية عريقة في المجد اشتهرت بكتاب الفه جده واسماه « كاشف الغطاء » وهو اليوم احد مراجع الشيعة الامامية ومؤسس المدرسة الحديثة في الفقه وفيها مكتبته التي يرجع اليها اكثر طلبة العلم في جامعة النجف . وله كثير من المؤلفات القيمة في العلم والادب وهو في العقد الثامن من سني حياته .

اما انت يا أبا عبد الحليم فما أدرى مـا الذي يبعثني على مناجاتك ؟ ؟ اجهادك الاول وانت تجوب الاقطار من بلد الى بلد ومن افق الى افق ، ام جهادك الاخير وانت تقبع في زاوية مكتبك والكتاب في يدك فـلا تغادره الا الى الصلاة او الدرس ؟ ؟

اذكر ، وانا في عالم الصبا ، ان كاشف الغطاء ورد مصر واعتـلا منبر الازهر وحاضر في كثير من العلوم ، وانه اجتمع الى اقطاب العلم والفن من الغرب والشرق وجادلهم بالتي هي احسن ، وانه هناك انشأ كتابه في خدمة الاسلام واسماه « التوضيح في من هو المسيح » .

واذكر أني ، قبل ان ابلغ ويشتد عضلي ، قرأت ورودك سوريا ولبنان ومناظرتك علماء القطرين وادباءهم ، واحتفاء المؤسسات بك علمية ودينية ، واخراجك كتاب « الدين والاسلام » والمراجعات الريحانية على أثره فكانت لهما ضجة بلغت حد الاعجاب في الاوساط الاجتماعية .

فمنذ ثلاثين سنة كنت الخطيب المحاضر والمؤلف والشاعر والمنـاظر ، فماذا انت الان وماذا ستكون بعد سنين مد الله بحياة الامة فيهـا على يدك ايها السيد الجليل ؟؟

ان علماءنا الاعلام من اقرانك في امس الحاجات الى رحـلاتك تلك ،

والى مواقفك العلمية والادبية فيها ، ليضيفوا الادب الى العلم ، وسيكون لهم من سعة السمع والبصر تفكير ننشط بـه من حضيض الجمود الى ذروة التجديد .

فلست أشك في ان ملكة العلوم آلية ونظرية ، متوفرة في كثير من من اعلامنا ، ولكن صقل هذه الملكة بجديد ما يتطور من العلم والفن ، لا يزال يعوز الكثير منهم ، وهذا الصقل شرط اساسي في الدين على ما أرى لان الدين مصدر الناموس الاول لطبيعة الانسان ومجتمعه ، لذلك توخى شرعنا الاسمى قواعد واسساً دينية تتسع للتطور والتجديد .

فليكون الدين صالحاً للحياة يجب ان يتطور بجزئياته لا كلياته مع الزمن كما يتطور الانسان الذي هو موضوع هذا الدين وبه يتقوم وعليـه تقوم حياته ، ولنجدد فيه ينبغي لنا ، ونحن بناته ، ان نلم بحوادث الزمن وتقلبات العصور وتطور الانسان فيها ، ولنلم هذا الالمام يجب علينا ان ندرس الشعوب وتطورات الامم ، والوان المدنية في الاقاليم غربية وشرقية ، ولنتوفر على هذا الدرس يجب علينا ان نفعل فعلك مقيما وراحلا ، تدرس الحيـاة وانت تتقلب في الشعوب ، وتضطلع بها وانت تشرف عليها من مكتبتك بـين الصحف والمجلات والكتب حديثة وقديمة .

ها هو جهادك الاول في رحلاتك ونقاشك مناظريك ، واطلاعك على كثير مما نجهل ، قد أثر في جهادك الاخير نضجاً في الرأي وجـدة في الروح وسمواً في التفكير ، ثم اعتدالا في الحكم المستنبط من روح الشرع لايشذ

عنه قديم ولا ينفر منه جديد ٠

ومثلا على ذلك بحث الغناء والموسيقى الذي أثرته في أندية النجف ايام وجودي بينكم واكثرت من الجدل فيه بغية وقوفي على مصدر تحريمه فلم يقنعني دليل واضح على حرمته لذاته ، ولم افهم السر في بعدي عن الله ان غنيت زوجتي او غنتني فآنس كلانا صاحبه دون ان يشرك بالله او يضر غيره او يسيء الى نفسه او يلهيه الغناء عن عمل يسد به خلته او يتوجه الى الله به ، وكم يكون غبناً على الدين ان ننسب الغناء والموسيقى الى الشيطان وهما دعامة الفن الذي عليه تقوم الحياة ٠

والسنة تدل بوضوح على ان الحرمة لا تنال كنه الغناء وانما تنال وصفه بدليل قول الامام لسائله : الرجل تغنيه زوجه او جاريته هل في ذلك باس ، فاجابه الامام : لا إلا ان يسمعها اجنبي ، وبدليل : ان الغناء يحل في الاعراس كل ذلك يدل على ان الغناء لا يحرم لذاته ولكن لأثره كتهتك السامع الاجنبي ، واستخفاف الطرب السامع الى حد يخرجه عن كماله ، واللهو الذي ينشأ عن الغناء فيحول بين السامع وبين واجبه في الحياة ٠

ما أروع يدك يا سيدي وانت تمدها ، اذ سألتك عن الغناء ، الى مخدع يجاورك فتتناول بها رسالتك الغراء وتفتح جلديها عن فصل الغناء ثم تقرأ ما ملخصه : « الغناء سواء رافقته آلات الطرب « الموسيقى » ام لا ، مباح مالم يستخف السامع الى حد يخرج معه عن الكمال فهو اذ ذاك غير مشروع » ٠

لقد عمدت يا سيدي بهذا الحكم الى صميم الحياة وابرهت به عن انا قوم

لا تدين بما يحجر علينا متع الحياة ما كانت هذه المتع ضمن الاداب لا تطغى بها عاطفة ولا يستكين تحتها عقل .

لقد نزهتنا برأيك هذا عن كل وصمة تعترض شخوصنا الى معارج العز ، وما هو الغناء. ثم ما هي الموسيقى يا سيدي ؟؟

أفليس منها ترتيل القرآن وانشاد الشعر ؟؟ أو ليس منها تعديد الحزين وترديد الثاكل ؟؟ ثم أليس من الغناء والموسيقى كرة البلبل ، وترجيع الكنار وهديل الحمائم ؟؟ فقد يصدق على كل ذلك انه غناء. بالفعل .

أفنسد سمعنا عن كل هذا يا سيدي وقد اوتينا السمع كما أوتينا البصر لنسبح به ونقدس خالق الفن ومبدع ما في الكون مما نرى ونسمع ؟؟ فقد يصدق على كل ذلك انه غناء. بالفعل وان خالفه العرف فالعرف قد يخطئ. كما نخطئ. ، ونحن نسن أنظمة الحياة ، فلسنا نحن مصدر هذا العرف ؟اذن فهو مثلنا بعيد عن العصمة وعرضة للاخطاء. فلا ينبغي ان نعتبر العرف ميزاناً صادقاً كل الصدق كما قد لا نعد اجماع العلماء. كذلك وهو احكم من العرف واصدق .

كيف يصلون الى تحريم الغناء. وفي الغناء. نفحة قدسية تدل على عظمة الله باعثها في الحناجر والاوتار والمزامير ؟؟ اللهم الا ان يطغى بها السامع ويفسد الملحن ، وهكذا كل عمل يصدر عن الانسان ، ميزان تحريمه وتحليله فساد في المجتمع وصلاح ، ليعلم الانسان ان الدين ناموس اجتماعي أنزل لتهذيب النفس والصعود بها من عالم الحيوان الى عالم الملكوت .

لقد ازحت عن صدري كابوساً كان يضغطه كلما حضرت محفلا تعزف به الموسيقى وينشد فيه الشباب ويرتل فيه الذكر الحكيم فيلفتني وقار المحفل وجلال الافق المهيمن عليه بما يرى ويسمع ، يلفتني الى انه محجور علي ان اصغى الى روح الله تعزف وتنشد فما اسمع ممن حولي الا تسبيح الله وتقديسه وترديد كلمة واحدة تعصف بها الالسن ، هي : الله !! الله !! الله !!!

الموسيقى هي لغة الروح الكلي المالىء وجودنا فاذا هزتنا فانما نهتز بالذكرى والحنين الى مصدرنا الاول .

والروح العام انما يطرب للموسيقى التي تتألف مقاطعها منا فنحن ، اجرام الوجود حقيراً وجليلا ، نتألف قصيدة ذات اوزان وقواف ، وموسيقى ذات الحان ومقاطع ، تهزه الطبيعة بالعزف والتلحين ، على انها موسيقى تتسع اوزانها باتساع افقه وتتعدد مقاطعها بتعدد مداركه .

وقد يحسب القارىء اني اتخيل فاشعر بما اكتب ولكنها الحقيقة التي لا يشوبها خيال ولا يعرضها وهم .

القصيدة التي يطرب لها الشاعر ، ذات اوزان ومعارض وقواف ومقاطع هي بمجموعها شعر وموسيقى ولكن جمل تلك القصيدة بجزئيتها وكلمات تلك الجمل ثم حروف تلك الكلمات لا تؤلف بذاتها الشعر والموسيقى الماثلين في القصيدة المؤلفة من هذه الجمل بمجموعها ، على ان كلا منها ينفرد بجزء من موسيقى القصيدة العام قد لا نشعر به .

وهكذا نحن اجرام الكون المنبثقة عن الروح الكلي يتألف منا جميعاً

شعر وموسيقى هما غذاء ذلك الروح ، ولكن عوالم هذا الكون الذي يهيمن عليه ذلك الروح ، وشعوب هذه العوالم ، وقبائل تلك الشعوب ، واسرهذه القبائل وافراد تلك الاسر ، لا تؤلف بذواتها الشعر والموسيقى الماثلين في الوجود بمجموعه ، على ان كلا منها بذاته ينفرد بجزء من موسيقى الكون العام قد لا نشعر به .

ثم تلهم هذه الجزئيات صورة مصغرة عن تلك الموسيقى محدودة بالفكر الجزئي المحدود ، يدركها بغريزته المنبثقة عن ذلك البحر المطلق ، فتهزه بالحنين الى كليه المتصل به عن طريق الفن الشامل ، الذي يصل الكل بالجزء ويشرك الخاص بالعام .

فما يصدر عني ، انا جزئي الانسان ، من صوت حتى السعال والعطاس بله القول ، انما هو جملة او كلمة او حرف من كلي الشعر الذي اندمج فيه ، ومقطع او لحن او نغم من كلي الموسيقى الذي يشتمل علي ، وكل اشارة او نظرة تصدر عني لها وزنها الخاص ولحنها الخاص تحت تأثير الطبيعة وفي حيز الفكر العام الذي ينتظم الوجود ، ولكني لا اشعر بهذه الموسيقى حتى اكون انا ذلك الفكر لا جزأ منه ، على اني قد ألهم صورة مصغرة تذكرني به وتلفتني اليه حتى لا يتحقق فاصل بين الكلي وجزئيه او الكل واجزائه

فمن هو هذا الذي يصل بعقله الكامل وقلبه الحي الى هذا الادراك ثم يجرؤ على تحريم الموسيقى ويزعم انها من مفاسد الحياة .

نعم هنالك سوء في استعمال هذا الفن يسير الادراك على العقل الحكيم

ذلك ان بعض اولي الفن يتخذونه طريقاً الى الفسق واللهو المفضي بالسامع الى التهتك والاسترسال في الشهوات التي تميت القلب .

فترى ثمة حانة وها هنا مرقصاً ، وهنالك ملهى ، وفي كل منها جماعات تحدق بموائد الخمر والميسر وعلى رؤوسهم بغـايا يرقصن ويغنين ، وعواهر يعزفن عـلى المزاهر والاعواد فيذهبن بعقول شهودهن مذاهب تقضي على الناموس الاكبر الذي يهيمن بسلطـانه على الانسانية فيهم ، ذلك الناموس هو الدين .

على ذلك يبني الفقيه الساذج حكمه في تحريم الغناء ، فالغناء او الموسيقى شيء واستعماله شيء آخر ، وحسبهما ان فيهما تهذيباً للفكر وصقلا للروح فليعتبر اولو الفكر والروح

على ان سائر الاعمال المباحة التي تصدر عن الانسان ان استعملت فيما تضر بالانسان خرجت عن الاباحة الى التحريم فليس ذلك قاصرا على الغناء والموسيقى .

افأقف معك عند هذا الحد ايها السيد مما يصعد بك ويهبط بمن تفقـة فـلم يفقه ؟؟ كلا يا سيدي فسأذكر لك خلالا اخر اسجل بها سموك وعلو كعبك في فقه الشرع الحنيف ومسايرة العصر له

سأذكر لك ايضاً حكمك بان المتنجس لاينجس ، وهو وان قال بـه غيرك ممن سبقوك في العهد ، ولكن اختيارك هذا الرأي وحكمك بضرورته برهان على انك حكيم ومشرع معاً ، وانك ذو بصيرة تعصمك عن التهافت في الحكم

اصاب يدي دم او مسست بها ميتة او خمراً فتنجست ثم جفت بالهواء او الشمس او شيء ما وزال عنهـا النجس ، أتنجس الطاهر بعـد ذلك ان مسته ؟؟ ولماذا ؟؟ ان من الحكم على المتنجس بالتنجيس بلوغا في الاحتياط وافراطاً في التطهير ، ولكنه يوجب الحرج والعسر في كثير من المواطن لم يغفل عنه سيدي الكاشف وسلفه الصالح .

وسأذكر لك تضحيتـك في سبيل امتك يوم دعيت لشهود المؤتمر الاسلامي المنعقد في بيت المقدس ، اذ خرجت بهذا الخروج عـلى كثير من التقاليد المتأصلة في نفوس زملائك حـتى حسب البعض ان خروجك هـذا خروج على الدين

ولقد شهدنا معك المؤتمر ورأينـا تسنمك المنبر الاسلامي ، وخطبك الحافلة بالوعظ والارشاد ، وجملتك الخالدة التي ارسلتها في قلب المؤتمر فذهبت مثلا في الخلود وهي دعوتك الى « توحيد الكلمة وكلمة التوحيد » ثم رأينا بعد ذلك الوف الرجال من اعيان الامة الاسلامية يأتمون بك للصلاة في المسجد الاقصى ، فهل بعد ذلك من خروج على الدين بخروجك هذا ؟؟؟

وسأذكر لك غيرتك على العروبة والعرب في كل فرصة تمكنك من تجريد قلمك او مد بصرك او بسط لسانك ، ولو استطعت ان تبسط يدك لما قعـد بك حزم ولا خار لك عزم

وسأعلن غيرتك على التفكير الحر بجمعك آلاف المجلدات من الكتب قديمة وحديثة تجمع ،الى العلوم والفنون ، بحث الملل والنحل من سماوية وارضية

موحدة وملحدة شريفة ووضيعة ، ليشرف الطالب من افق الغري على دنيا حافلة بالعبر ، جمعت هذه الكتب في مكتبة حديثة الطراز في ترتيبها وتنسيقها، واتاحت للقارىء حرية الفكر في درس ما تشتمل عليه من مذاهب ومشارب وسيذكر لك الحق قولك في الدعوة اليه .

يقولون ان الدين فرق بيننا فيالك من حيف ويالك من ظلم
اليكم بني الاديان دعوة مخلص دعوتكم فيها الى الشرف الجم
الى السلم فيكم والتساهل بينكم فياحبذا شرع التساهل والسلم

. . .

يقولون للاصلاح نسعى وربما طلبت الشفا فازددت سقما على سقم
نصدع في اهوائنا جمع شملنا ونسعى وكل نحو غايته يرمى
فياصدع هذا الجمع هل من تلاؤم ويا شمث هذا الشعب هل لك من لم

وهذه خلة فيك قلما تحلى بها حر مثلك يستهدفه كثير من الخلق ويدخرونه في يومهم الراهن لغدهم الوشيك ، اعني بها خلة الادب الذي افرغته في قالب من الفن طريف .

من يقرأ هذا الشعر ويحسب انه وليد شيخ قائم ليله صائم نهاره ، يقبع في زاوية مظلمة حرجة لا تكاد تتسع لغيره ، وفي محيط جد بعيد عن زخرف الحياة والوان المدنية الحديثة ؟؟

الادب فطري فيمن اوتى الحكمة ليقول ويعمل ، والادب هو احكم سلم يصعد به العالم من حضيض التقليد الى ذروة الاجتهاد ، وارحب افق .

يشرف منه العالم على ما تخزنه الطبيعة في قلب الوجود .

كيف يفهم كلام الله وكلام رسله من لم يتأدب أو لم يتذوق الادب ؟؟ وكيف يتأدب من لم يوهب ملكة تصقل مرآة نفسه فتتراءى فيها دقائق اسرار الحياة ، وكيف تهب الطبيعة هذه الملكة من لم يقم لها وزناً ولم يحفظ لها كرامه ؟؟؟

أسمع عن بعض العلماء انه قال : من لم يحسن نظم الشعر من بغاة العلم في اجتهاده عندي اشكال ، لقد نطق على فم هذا القائل روح القدس ، فان من يحسن نظم الكلم ويحيط باسرار البلاغة فيه لخليق بان يفقه اسرار البلاغة من منثور الكلم المعجز في كتاب الله وسنة رسوله .

والناظم يتوفر على فهم الكلم واسترقاق معانيه اكثر من غيره ، ولعل من لم يؤت ميزة النظم يستمر واهن الفكر والاضطلاع في سبر غور الكلم والوصول الى الغاية التي يستهدفها الشاعر والناثر .

وقد جمع مصلحنا الاعظم اطراف البلاغة في كلمة قرن الادب فيها الى الفن اذ قال : ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحراً . جعل الحكمة اسمى ميز الشعر والسحر اسمى ميز البيان ، وكنى بالشعر عن الفن ، نظماً او نثراً ، وبالبيان عن الادب نثراً او نظماً .

والحكمة كما افهم هي مناط القيام بالواجب الانساني على اتمه ، فأي عمل او قول محكم يصدر عنك كنت فيه حكيما ، وقول امام البلغاء ، قيمة كل امرىء ما يحسن ، اي ما يتقن ويحكم ، فقيمته الحكمة فيما

يصدر عنه ٠

فالحكمة اصدق ما تكون في قول الشاعر ، وهو اعم من الناظم ، اي الفقيه في الحياة ، الحساس الممعن في اكتناه الطبيعة ونواميس المجتمع ، واما السحر فاكثر ما يكون في البيان الجاري على السنة الخطباء واقلام الكتاب

فانت يا سيدي في ابياتك هذه شاعر ومصلح وفقيه ، وانت فيها حكيم واديب ومجدد ، وانت بها عربي تسلس لك الالفاظ قيادهـا فتأخذ بزمام البلاغة ، وتغوص وراء المعاني فتستخرج من كنوزها ما يفتح امامك الطريق الى البيان المعجز في كتاب الله وسنة رسوله ٠

فالادب من لوازم الفقه ليبين الفقيه في حديثه وخطابه وليقر في قلب السامع برهانه فيؤدي رسالته التي من اجلها اكل الفقه عليه عشرات السنين من عمره ٠

والشعر من ضروريات الفقه ليتوفر الفقيه عـلى فهم اساليب العرب واوابدهم وحقيقتهم ومجازهم ، فليس في مفهوم الفقيه المسلم ان يكون عربياً فحسب حتى يكون اديباً وشاعراً تتغلغل العروبة في اعماقه فما يشذ عنه من اسرار اللغة شاردة ولا آبدة الا وهي قيد عروبته المعرقة فيه ٠

والفقه ليس علماً فحسب ولكنه علم وادب ، وليس الادب قاصراً على النثر ولكنه يتناول النثر والنظم معاً ، ومن درس الكتاب والسنة ممعناً في اكتناه ما انطويا عليه من معجز ، عرف ان حظ الادب منهما ليس باقل من حظ العلم ، فمن لم يتذوق الادب فاته ان يكون الفقيه الاول الذي يصدق

عليه انه خليفة محمد في امته ٠

ايها العلامة المجدد ،

رأيتك تتذمر كثيراً من سلوك نجلك عبد الحليم ، وعلمت منك ومن غيرك انك حرمته من حقوق الابوة ، وانك لا ترضى عنــه حتى يخلع زيه الجديد ويعدل عن خطته التي رسمها لنفسه ويعود ادراجــه اليك فيسلك سبيلك ثقافة وزياً وخلقاً ٠

تقول لي في معرض الشكوى منه : ماذا يريد من دنياه ؟؟ المال هنــا والجاه والعز والثروة الصــالحة ، وكل ما تتحدث به اليه نفسه هو بين هذه الجدر وامام هذا الضريح وتحت سماء هذا البلد ، تعني به النجف ٠

نعم ايها السيد ان حليمــاً لخليق بان يكون كما ترغب لو ضمنت له مستقبلا كماضيك ، فان الزمن ذو غير ولكل عهد رجال فمــا ارى انه يخدم عصره لو كان اياك فيه روحا وبدناً وكيف يستطيع ذلك والدهر منجنون والزمن قلّب والحياة بحر يفيض ويغيض ٠

من لحليم ان يؤاتيه الزمن كما واتى اباه ، يجلس للبحث فتحدق بــه الاعين وتتهافت عليه الانفس ، ويقوم للصلاة فيأتم بــه الصف تلو الصف ، وينشر فتواه فتتلقفها الآذان وتتناولها الايدي ٠

واذا استطاع ان يكونك زياً وثقافة وخلقاً فمن له برجال يحدقون به اذا جلس للبحث ويأتمون به اذا قام للصلاة ويخضعون له اذا قال او حدث؟؟ ثم من له بالحقوق التي تنهال على ابيه تقيم اوده ويبل بها يده فيأمن غوائل

الدهر الذي لا يخضع الا للمال ولا يهزأ الا بالعلم ؟؟؟ عنيت بالعلم هذا الذي تعنيه انت .

انا لا اثق بمستقبل يطمئن اليه الفقيه اطمئنانه الى حاضره لمـا نرى من الفرق الشاسع بين حياة الفقيه اليوم وحيـاته من قبل ، ولئن مشى بعض الفقهـاء اليوم مطمئناً الى حيـاته فانما يطمئن بقوة الاستمرار لا قوة الانشاء والتجديد .

فعبد الحليم يرى ان تيار العلم الحديث سيجرف كل قـديم ، وان الذي كان بالامس يرقب من وراء العلم ان يكون مرجعاً او محدثاً او واعظـاً مرشداً اصبـح اليوم حريصاً على تلقين ابنائه العلم ليكون منهم الطبيب والمحامي والمهندس والاديب .

رأى ذلك فعلم ان سوق الفقه كاسدة في مدينة عـامرة الاسواق بالطب والادب والهندسة والمحاماة وما يليها من روائع الفكر القائم عـلى الخلق والابداع حتى طغت المادة على الروح فلم يبق في طوق الدين ، والله غفل ، ان يجدد نهجه ويجلو عن افقه غياهب حالت بينه وبين فجر الحياة .

فهو من اجل هذا تعرض لسخطك وخالفك في نهجه على ان يقنعك بعد قليل من الزمن يتضح لك معه انه مصيب فيما يحمل نفسه عليه من زي وخلق وثقافة ليست لابيه ولا لجده ولكنها له في زمن لم يره ابوه ولا جده .

على اني اتوسم في حليم ان يعتصم باخلاق ابيه فيقيمها سدا منيعاً يحول بينه وبين الاخلاق الشائعة في وسط الشباب المجدد ، فقد نرى الكثير منهم

يحسبون التجديد في العلم منوطاً بالخلق الفاضح فينكرون على انفسهم محاسن ما تخلق به السلف الصالح منهم ، فلم يصلوا بادراكهم الى ان يُمنى به العالم اليوم من هذه الاحن انما هو وليد العلم العاري من الاخلاق .

فالامة انما تسعد باخلاقها مع الجهل وتشقى بعلومها العارية عن الاخلاق ، على ان العلم اذا اقترن بسمو الاخلاق كان المثل الاعلى للامة في الحياة ، وهذا انما يتوفر في عالم هو بالملكوت اشبه منه بالانسان .

فما هو التلازم بين الطب والالحاد حتى يكون الطبيب ملحداً ؟؟ وماهي الصلة بين الحقوق والفسق حتى ينشأ المحامي فاسقاً ؟؟ ثم ما هي الرابطة التي تصل الرياضة بالخمر حتى يكون الرياضي سكيراً ؟؟ انا لا افهم شيئاً من هذه العلوم يتصل بشيء من هذه الاباطيل ، ولكن اهمال الاخلاق في تلقين الاستاذ تلميذه هذه العلوم هو الذي يجرد الطالب من حلية الخلق السامي التي يسعد بها وهو يعمل بعلمه في الحياة .

فاروني معلماً سامي الاخلاق في معهد للفضيلة نصيب منه ، المسكم نشأ صالحا يرى الله جهرة في نفسه وهو يعالج مريضاً او يحكم بين متخاصمين او يدافع عن مظلوم او يكتب على كتاب ليسن نظاماً او يكشف عن حقيقة يخفف باكتشافها عن الانسانية عبء الحياة المثقلة بالآلام .

ومن المسؤول عن هذا المعهد وذلك المعلم ؟؟ المسؤول هو المصلح الذي ينشد الحكمة عن طريق الدين حتى اذا ادركها او اوشك جلس في عقر داره ينظر بعينيه ويغل يديه ، يكثر من الحوقلة والترجيع اذ يرى هذه

البدع واذاعوتب على سكوته وسكونه قال: «علي ان اصلح جهدي» وهو يعلم ان نبيه لم يقم على اصلاح امته حتى ضحى بروحه وبدنه في سبيل الحق فكسرت ثناياه وشدخ رأسه وشرد واهين ولم يقبع في زاوية بيته لحظة واحدة تحول بينه وبين الاصلاح الذي ينشده ويضحي من اجله .

لعلي اثقلت عليك يا سيدي في هذا الاستطراد ولكنها فرصة اشفي بها غليل هذه النفس التي لم تهدأ ولم تنكل عن ان تثور علي بين كل لحظة ولحظة ، ولعلي الى اصلاحها اشد مني حاجة الى اصلاح غيرها من ابناء جلدتي ولكنك حليم وابو حليم تسع كثيرا من هذه الاخيلة او الحقائق التي يتعلل بها امثالي من هواة المثل الاعلى في الحياة وهم في مرمى سحيق عنه ، ولعل هذه النواة التي تغرسها في الهواء تصادف هوى في نفس من يطلب العلم للعلم وينشد الحق للحق .

يأخذون عليك ايها المجاهد الكبير : والشاعر يقول :

تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله

وانك تقبض يدك ولا تبسطها وان ذلك ناشىء عن حرص فيك والكرم عنصر اول في الرئاسة دينية كانت او سياسية .

فتحريت هذا الاخذ وامعنت في التحري فوثقت من انك تدفع الكثير من ذوي الحاجات في الطلبة ، ثم علمت ان ما يرد عليك من الحقوق زهيد لا تستطيع ان تصرف الناس اليك به والناس عبيد الاحسان يا سيدي فمها امعنت في اجتذاب قلوبهم عن طريق نظيفة من اوضار المادة فلن تستطيع

ان تملك تلك القلوب وتسترق من ورائها نفوساً لا تهفو لغير الاصفر الرنان

وقديماً صرف هـذا الاصفر الملعون عن امير المؤمنين حتى الاقربين من آله الى غيره فكيف ترجو ، والعالم مادي ، ان تسير بروحـك في محيط ضخمت اجساد بنيه مـن التخم حتى سد البطر بينهم وبين الحق وحال دون بصائرهم ان تتبين النور الذي تعشو الى الله فيه ؟؟

هؤلاء يريدون منك ان تنفق كل ما في يدك كما فعل اخوك حتى تجوع وتعرى ثم تهلك آخر الامر فيتخذون ترابك سماداً لشجرة الخلد التي يستظلون بها على قبرك المقدس ، فان استطعت ان تكون عند حسن ظنهم بك فافعل فانك اهل للتضحية في سبيل الخلود .

ويأخذون عليك يا سيدي كثرة الفتاوى التي تصدرها جزافاً ويعزون ذلك الى عدم اناتك وسرعة تأثرك بالحوادث ولم يثبت لديّ برهان على صحة ما ادعوه لاني لم اتشرف بصحبتك مدة يتسنى لي معها درس نفسك وتمحيص اخلاقك .

على اني احمد هذه الخلة فيك ان صح ما ادعوه لان في سرعة التأثر برهاناً على اتقاد الفكر وشبوب العاطفة وفي كلتا الخلتين غـذاء للادب والفن ، وكثيراً ما تكون الاناة مدعاة الى الجمود والجبن ثم الى الشك والتردد فالتقهقر في الحياة آخر الامر .

وكم من حكيم اعوزته ثورة العاطفة فكان خاملا بليداً وكانت نظمه جافة العصب جامدة الاوتار لا تتحسسها قلوب الشعب التي تهيمن عليها ، وان

للعقل مذاهب يحتاج في سلوكها الى نور من لهب العاطفة ، وهل الدم الذي يغلي في العروق ، والعصب الذي يعصف بالارادة ، والجوارح التي تنفذ احكام العقل ، هل كل ذلك الا مظهر من مظاهر التأثر العاطفي وخفقة من جنون الطبيعة في قلب العبقري الفنان ؟؟؟؟

ان ما يحاولون اخذك به انما يخلقون لك به كثيراً من الفضائل التي لم يهبها الله لكثير منهم ولو شئت ان استقصي ما ينشأ عن ثورة العاطفة من عبقرية كان لها اثر كبير في قلب العالم وتكوينه بعد فساد نظمه وتلاشي كيانه ، لاحتجت الى فصل خاص في تحليل العواطف واثرها في المجتمع ، ولكني اختصر القول : ان العقل ما لم تدعمه العاطفة في بناء المجتمع ، بطيء السير واهن العزم لما يعوزه من حركة وحرارة ، وان العاطفة ، ما لم يوجهها العقل في تهذيب المجتمع ، شرسة الخلق صعبة المراس لما يعوزها من نظام وتفكير ، ، فهما متلازمان في الانسان تلازم الروح والبدن وزيادة كل منهما على صاحبه نقص فيه

وبعد فهل تقبل ايها السيد من ولدك هذا شكر الابن لابيه والتلميذ لاستاذه على ان لطفت بي مدة كنت فيها محتاجاً الى اطفك واشرت لي فيها الى خطة لو اتبعها لكنت اسعد حظاً من العلم واوفر نصيباً من الادب ؟؟ ولكني ساعمل جهدي في سبيل تنفيذها فان افلحت فمن عندك والا فمن تقصير او قصور منيت بامثالها في كثير من ايامي بين يدي هواي ،حسبي ربي !!

الرسالة الرابعة

الحكيم

السيد محسن الحكيم من علماء العرب الاعلام وأحد مراجع الشيعة الامامية في النجف، وله بحث خاص يشهده لمة من العلماء صباح كل يوم ، وهو في العقد السابع من عمره .

ايها الحكيم المحسن .

انت والله سيد ، ينميك الى رسول الله تقوى وعفـة وسداد ، ووراء هذا كله سمو فكر وحصافة رأي ونور بصيرة ، يهيمن كل هذا فيك عـلى آلاف من الانفس الواجدة بك والخاضعة الك والخاشعة بين يديك .

قد كان لي معك موقف ايام زيارتك جبل عامل شهد لي فيه انك سيد وحكيم ، عظتك الرشيدة وحكمتك البالغـة وحلمك الرشيد ، ثم كان لي معك موقف آخر تحت سماء النجف الاشرف اكـد لي فيه ثقتي بك ، انك اخلصت في النقاش معي الى حد تمثلت لي فيه جدك وهو يدعو الى الله ثابت العزم وطيد الامل مطمئن القلب الى صحـة دعواه وبلوغ ما ينشده في سبيل الحق .

ايها السيد البار !!!

ما عهدتني اقول مجازفا ولم اشأ ان اتحدث الى شخص يعنيني حديثي عنه بالدنيا تهتف بي او الاخرى تقبـل علي ، ولكني اتحرى الحق فيما اكتب واتحدث فان اصبت فذاك وان اخطأت فليس الاثم علي ولكنه على الفكرة لم تسدد ، وعلى المنطق لم يعضده العقل ولم يسعفه البيان .

ان تواضعك لي بحديثك معي يوم النجف وفي دار العلامـة الجشي

البحراني واستماعك اليَّ وانا اسأل واناقش ، ثم صبرك على تطرفي بما اخوض فيه من جدل قد اكون معذورا بالاسهاب فيه وقد تكون ملوما بالصبر عليه ، ان هذا كله يؤكد لي من جديد ان الانسان انما يشرف ويسمو على الكائنات بالعقل الذي هو مصدر العلم والذي هو سر الله فيه ، يصعد به الى الملكوت ولما يزل في الدرك الاسفل من جحيم الحياة الدنيا .

نعم ايها السيد ، لقد كنت بليغاً في حديثك الى حد الاعجاز أن قلت : على كل منا ان يصلح نفسه وهو يفقه معنى الاصلاح ثم يعنى باصلاح غيره ما استطاع ، فلنهذب انفسنا اولا ثم نعالج غيرنا بالتهذيب لئلا يستهدفنا الله تعالى بالتقريع حيث يقول : اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ، والشاعر حيث يقول :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ، عار عليك اذا فعلت عظيم

لقد كنت بليغاً يا سيدي وكنت حكيماً بقولك هذا ، ولا اعتقد انا في حاجة الى اكثر من ذلك لنكون في عداد الاحياء في العالم ، فاصلاح النفس اولا هي الضالة التي كان ينشدها من قبلك حكماء القرون الغابرة وانبياؤها فليست وليدة فكر جديد ولا هي موضع جدل ولكنها قضية مسلمة عند العقل مهما حاول السفسطائي تلفيق الحجج دونها اذ نرى كثيرا ممن ينشدون الاصلاح في العالم وهم في امس الحاجة اليه في انفسهم .

الاصلاح يا سيدي ملكة في النفس تتربى بفضل العقل والايمان بالحق ، فالعقل مـا لم يكشف له الحق فضل التضحية في سبيل الفضيلة لا يمكن

ان يربي الاصلاح في النفس حتى تكون الدعوة اليه ملكة تجمع حول العقل كل جارحة اوتيت قوة البيان في العظة والارشاد .

وملكة الاصلاح تستلزم في المصلح علما جما وفنا عبقريا ، فليكون الحكيم مصلحاً يجب ان تتوفر فيه ، الى نضج العقل وسمو الفكر ، روعة البيان ، وبلاغة المنطق ، وسعة الخيال ، ، وبراعة الاسلوب ورحابة الصدر ومن وراء ذلك كله الاخلاص في كل ما يأتيه من قول او عمل .

من اجل هذا عنيت الاديان بالتبشير على شكل منظم فلا يجاز به الا من اوتي مؤهلاته ودرس فنونه وآدابه وحمل الثقة في نفسه وبين يديه الى المجتمع الذي يبشره بالانابة الى الحق بعد الاسترسال في الباطل .

والاصلاح الذي نعنيه في بحثنا انا وانت انما هو الاصلاح الديني وهو الرجوع الى الفضيلة بعد الانغماس في الرذيلة ، واما الاصلاح المدني فالمرء مفطور على السعي اليه بطبعه ، فلسنا في حاجة الى حث الانسان على طلب الخبز لان الجوع يدفعه اليه ، ولكننا في حاجة الى عصمته عن ان يضل في طلبه ، وهكذا ليست الحاجة تدعونا الى حث ابنائنا على العلم المدني في وقت يتحسس بضرورته حتى الحيوان ، ولكنا في امس الحاجات الى حيطة النشء من ضلال العلم وما يحدق بمعاهده وملقنيه من فساد .

الاصلاح يا سيدي كلمة قد يكون تصورها والنطق بها والدعوة اليها سهلا سائغاً المنطق ، ولكن تدبرها والاحاطة بما تستلزمه من عناء وشقاء ، امر ليس بالهين على من يأخذ نفسه به ويصبر حتى يطمئن الى الواجب الملقى

على عاتقه في اداء رسالته الى ابناء نوعه .

من أخذ نفسه بالاصلاح فعليه ان يستعد لشقاء لا يفلت منه حتى تفارق روحه بدنه ، اما سعادته فخلود يسجل على قبره فتنعم به روحــه وهي في عالمها الذي من اجل السعادة فيه ضحى بحياته الدنيا . وقليل منا من سما بنفسه الى فهم هذه الحياة ورأى نعيمها الدائم فوق نعيم محدود تتخلل ايامــه او ساعاته غصص دونها كل شقاء .

هذا ما اقدسك من أجله واطأطىء رأسي مسلماً عليك بــه يا سيد ، ولكني اخالفك في شيئين ختمت بهما حديثك اولهما : نقمتك عــلى التنظيم الحديث في الدراسة وانك ساعدت عليه اولا حتى غذيته ثم افلت من يدك وخرج على شرف الغاية التي لها كنت تغذيه ، واسميت لي بعض المدارس في النجف وفي دمشق ثم لحظت منك الندم في تسميتها وعلمت انك لا تريد مني النقل عنك فيما تنقم ، لهذا اغفلت اسماءها حرصاً على رغبتك ولكن خالفتك في حكمك عليها .

تقول يا سيدي : انك جاهدت في تغذية هذه المدارس وتنميتها ، وعملت على تعزيزها ثم تبين لك ضلال النهج وسوء المنقلب ، افكنت يا سيدي تغذيها ولا تعنى بحفظها من الفساد ؟؟ أو كنت تعنى بتنميتها ولا تبسط يدك في اصلاح مناهجها وتخير الاساتذة الذين يقومون على تنفيذه ؟؟؟ أو كنت انت المشرف عليها ثم لا يكون لك يد في التخريج والتنهيج الى حيث يعز العلم بالدين وتسمو الفنون بالاخلاق ؟؟؟

٥٥ د

اذن من الصواب ان اظن ان الكلمة المعزوة الى الحجة الاكبر سيدنا ابي الحسن القائلة : « اذا تبعثر العلم انتظم واذا انتظم تبعثر » انما هي لك والناقل مشتبه في نسبتها اليه ، لاني وثقت من ان السيد يغذي المدارس الحديثة في العراق وسوريا ، ومنها المدرسة التي اسستها انا في بيروت فقد اسعفني حفظ الله قلبه بكثير من لطفه في تغذيتها وتنميتها ، ومن هذه التغذية اخذتُ الثقة في بعده عن ان يقول تلك الكلمة ، ونقمتك انت على الدراسة الحديثة من اسسها اوثقتني من ان هذه الكلمة قد صدرت عنك او لعلك تقول بها ولو لم تقلها .

انا لا اصدق يا سيدي ان نظام التعليم الحديث فاسد ، ولا اعتقد ان الصلاح في الاهمال ، ولكني اعتقد ان الدراسة الحديثة فاسدة وان الصلاح في اصلاح القيام بها ، فاذا فسد المسلم فليس الاسلام مأخوذاً في فساده ولكن المأخوذ به هو عدم خضوع المسلم لناموسه المقرر في كتابه وسننه .

تعال يا سيدي اعاهدك على ملء الارض بالنشء الاسلامي المبارك مخرَّجاً من جامعات العلم الحديث إن عملت معي على اقناع الحجة الاكبر في بذل ، نصف ما يبذله للطلبة في معاهد العلم القديم ، للعلم الحديث .

انه يبذل ما لا يقل عن الف دينار في اليوم الواحد لبضعة آلاف من طلبة العلم لا اعتقد فيهم من يطلب العلم بحق اكثر من الف ، ولا اقول ان فيهم غير صالح كما لا تقول انت ان اكثرهم مصلح ...

تعال نقنع الحجة بعد قنوعك انت بتخصيص نصف هذا المبلغ بل ربعه

بل مئة دينار يومياً لبناء او تبني جامعة في النجف الاشرف تلقن العلوم والفنون دينية ومدنية وتكون انت المشرف عليها ، وانا وامثال احمد امين في الكاظمية والمظفر في النجف معك نخدم في التنظيم وتخير الاساتذة وبرامج التعليم ، ثم قل بعد ذلك ما شئت ان كان لك مجال الا في القول الحق والظن الحسن بما تسيء به الظن .

سيدي الحكيم ،

انا معك في ان الفساد يسود معاهد العلم الحديث جله او كله ولكنه فساد عارض لا ذاتي اذ العلم كما اقر وتقر انت مهما يكن ، صالح في ذاته ولكنه يفسد بالاستعمال ، فلم يخلق الله شيئاً يسمى علماً وهو فاسد طبعاً ولكنه يفسد او يصلح بالعالم والمتعلم .

أليس فينا من يأخذ علم اهل البيت عن اهله ثم يسيء استعماله فيعود وبالا عليه وعلى اهله ؟؟ افلم يحارب الامام الاول كثيرا من فقهاء الامة وعلمائها الاعلام بجهلهم فقه محمد وعلم اهل بيته ، بل بجهلهم تدبر هذا العلم وذلك الفقه ؟؟؟

ولماذا اذن هذه الفرق في الاسلام وعماذا نشأت ؟؟ ألتضليل في الدين ونظامه ام لضلال في نفوسهم وعمه في بصائرهم حال بينهم وبين فهم هذا النظام حتى اختل في ادمغتهم فاختل العلم بهم وفسد العالم من ورائه ؟؟

ليس في العلم ولا في الفن فساد مهما يكن نوع هذا العلم وذلك الفن وانما الفساد في نهج العالم والمتعلم ، وهذا انما يسأل عنه ورثة الانبياء وحملة

كتاب الله في صدورهم وهم انت وامثالك يا سيدي الحكم .

والامر الثاني الذي ارجو ان تقبل مخالفتي اياك به قولك : « ان الاصلاح الذي تنشدونه منا يحتاج الى قوة لا نملكها ، فلنصلح على قدر ما نستطيع » .

الاصلاح على قدر الاستطاعة كلمة مطلقة وليس لها حد ، فقد يستغلها الخنوع المكسال او المنافق ، لان يعيش باسم الدين ثم لا يعمل للاصلاح الا بمثل ما يعمل المقعد الاصم ويقول هذا ما استطيع عمله ، فكيف نقول له اذ ذاك ؟؟ فلو حددت لنا كلمة الاستطاعة او واجب العالم الديني الذي ينفق عليه المرجع الاكبر وتنفق عليه الامة من حقوق الله التي لم تشرع الا لمن يتعلم ليعمل ، لو حددتم واجب هذا العالم كما يحدده الكهنوت المسيحي من البابا الى الكردينال الى البطرك الى المطران الى ما دون ذلك من قسيسين ورهبان ، اصلنا صولتهم في الحياة ثم جلنا جولتهم فكنا احياء في عالم لم نخلق لنكون امواتاً فيه .

سيدي الحكيم ! ! أتنفقون على الطالب ، من عشر الى عشرين فثلاثين سنة ، آلاف الدنانير ثم يغادركم الى بلاده فيكون عبئاً على قومه في حياته ايضاً ينفقون عليه وعلى آله حتى يموت ويموتوا ، أتنفقون وينفق هؤلاء عليه من حقوق الله ليكون صالحاً فحسب ؟؟ اذن كم نحتاج الى قناطير مقنطرة من اموال الله واموال الناس كي نصلح الامة الاسلامية فرداً فرداً ؟

قل لي بربك يا سيدي هل تنفقون هذه الاموال على طالب العلم ليكون صالحاً فحسب ام ليكون صالحاً ومصلحاً ؟ واذا كان كذلك فلم تسنوا

منهجاً للاصلاح ؟ واذا قلتم المنهج كائن في كتاب الله وسنة رسوله فلماذا نجد الاقبال عليه يضمحل يوماً فيوماً وسلك العلم في النجف يتضاءل كذلك ؟

اظنك تثق بان الغيرة هي التي تحملني على هذه الجرأة فقد علمنا جدك وهو المصلح الاكبر ان نقول احراراً ونعمل احراراً ما لم نتعدَّ حدود الله ، فهل في جرأتي هذه تجاوز للحد الذي رسمه شرعنا الاعظم ؟؟

إسمح لي يا سيدي بان اقول : ان كلمتك « ليصلح كل منا ما استطاع » امام من يسمعها فيستمسك بها نموذجاً للعمل بعد العلم ثم لا نلمس الثمر الذي غرسنا شجره بدمائنا ودموعنا في حقول الحياة ، ان كلمتك هذه قد تفضي بنا الى الفوضى التي نخشى منها على كيان المذهب ان يتداعى ، ونحن نسأل الله يمسكه بكم في وجه هذا التيار الجارف من فساد الزمن واهله .

ويؤلمني ايها السيد اكثر من هذا قولك : « ان قوة الاصلاح المنشود لا تملكونها » فما هي قوة الاصلاح التي كان يملكها جدك الاعلى يوم قام بدعوته والشرك يهيمن على العرب جمعاء ؟ ولعلك تقول : هي قوة السماء تؤيده فأجيب : انها تؤيدك كما تؤيده والا لما وجب عليك وعليه الاصلاح على السواء .

انا لا اعتقد ان في العالم قوة تعدل قوة الدين ، فالدين هو قوة تخلق ارضاً وتكوّن عوالم ، فلن يفقه امرؤ دينه السماوي حق الفقه ، ويعمل بفقهه تحت ظلال الحق ثم يعتصم بالاخلاص في قوله وعمله كما كان يفعل رب الدين وباعثه في العلم ، لن يفعل امرؤ هذا الا وكان حقاً على الله ان يؤيده وينصره

ويعصم به الامة من الزيـغ والضلال المهلك .

أتريد يا سيدي قوة فوق الف دينار في كل يوم تردكم من شيعة آل محمد لتؤيدوا دعوتكم الى الحق بها ؟ وهل تمد اميركا اليوم ، حكومة وشعباً ، جامعاتها في الشرق العربي بمثل ما يمدكم الشعب الايراني فقط من المـال حتى استطاع اولئك ان يهيمنوا علينـا ولم تستطيعوا انتم ان تهيمنوا حتى على انفسكم فتقول لنجتهد في اصلاح انفسنا اولا ؟ .ا هذا يا سيدي ؟

ان الجامعة الاميركية عندنا في بيروت منذ ثلاثين سنة حتى الان تخرّج عليها آلاف من ذوي العلم والفن حتى لم يخل منهم بلد في شرقنا العربي يحملون لواء الشكر لجامعتهم والعمل بما تلقنوا فيها ، وفي كل مدينة تجـد مؤسسة باسم خريجي الجامعة الاميركية ، ونرى هذه الجامعة بما فيها من عظمة تفوق التقدير في عشرات المعاهد الفخمة ذوات الاختصاص من مدارس ومستشفيات يحجها هواة العلم والفن والصحة من شرق الارض وغربها ثم لا نجدها تنفق الف دينار في اليوم ، أتصدق هذا يا سيدي ؟ انا زعيم بانك ان سألت عميـد هذه الجامعة بان يجيبك نعم لا تنفق هذا المبلغ الضخم كل يوم على جامعاتنا .

ثلاثون الف دينار في الشهر ؟؟ كلمة صغيرة الحجم وجـيزة الحروف ولكنها معجزة ببلاغتها ، تنفق شهرياً على مدارس النجف ولا تحسب فيهـا قوة ؟ او لا نعدها هي قوة ؟ اللهم انك تعلم ان اكبر جامعة اجنبية نشأت في ربوعنا اول ما نشأت على دراهم معدودة كان يجمعها المخلصون من رجالهم بين يوم ويوم من ذوي الاحسان حتى كانت ، فكوّنوا بها قوة تكوّن أمماً

لا أمة ٠

اللهم انك تعلم كما نعلم ويعلم حتى الاغنياء في العالم ان مئة دينار تنفق يومياً على جامعة تخلص في بنائها وحفظ الدين بها الى جانب العلم ، ان هذه المئة لخليقة بان تكون منا أمة تزاحم الامم الحية في العالم ٠

سيدي المحسن الحكيم !!

أتقدم اليك والى زملائك الاعلام ان تطلقوا يد مرجعنا الاكبر في الانفاق حيث يشاء ، ولا يقف احد في طريقه وانا زعيم بان يفعل فوق ما يضمن لنا الحياة ، فقد لمست منه حب التجديد والحرص عليه والتفاني في سبيله ولكن عراقيل جمة حالت بينه وبين الجهر بالعمل فآثر ان يعمل من وراء حجاب ، على ان تغذيته لمنتدى النشر يبشرنا بشيء من الجرأة يقوم بها في وجه ما يحاذر ٠

لقد اكبرتك يا سيدي وانت تسعني في تطفلي عليك في دار آل الجشي حتى ثقلتُ على نفسي ، لان ساعتين اشغلك فيهما بابحاث استفيد منها ولا افيد كافيتان في اقناع نفسي باني كنت كلا عليك ، وكنت انت مثلا صالحاً للجلد والحرص على افادة من يجلس اليك ليستفيد منك ولو ارهقك بما يحرج الصدر ويزهق الروح ، ولكني بعد ان شهدت بحثك العام في مسجد الترك على تلامذتك الافاضل ، عدت احتقر إكباري لك في بحثك الخاص معي ، لاني رأيت منك في البحث الاخير ما لا استطيع معه الصبر عن ان ارفعك من الانسان الى افق اسمى واسنى في عالم نعقله ولا نحسه او نحسه ولا

ندركه ادراك المتحسس .

ان بحثك في كرية الماء على عشرات العلماء في ذلك المسجد كشف لي عن انك ابعد نظراً وأعمق فكراً ثم أوسع خيالا وارحب صدراً مما كنت احسب في عالم قوست الليالي ظهره وغضنت جبينه ولوحت ديباجته النقية بما تلهبه في صدره من حرارة الرغبة في العلم والغيرة على العمل به في الحياة .

كم كنت واسع الصدر يا سيدي في وجه من كان يحاورك ويحاول نقض رأيك اذ يلحظ ماهية الماء وتحاول انت رده الى الصواب اذ تلحظ كميته وفرق بين الحكم على ماهية الشيء . كرطوبة الماء ، والحكم على عرضيته « أي تلبسه بالعرض » ككرية الماء اي كميته ، على ان بيانك كان اضيق من فكر المعترض لذلك كان ، وهو ينقض حكمك ، في واد وكنت ، وانت توجه صوابية هذا الحكم ، في واد آخر .

والكم ضربت الامثال بتعداد اصابعك وغير اصابعك فلم تفلح في رده لان الامثال كانت عقيمة او كانت ضعيفة الشبه الذي يدنيها من الموضوع ، ولله انت اذ تمر ساعة بك وبمحاوريك ثم لم الحظ منك مللا ولا ضجرا وكثيراً ما رأيت غيرك ممن يرقى المنابر فيتهيب سامعوه الرد او النقد الا بمثل ما تسأل وتجاب في اخصر طريق ثم لا تكرير ولا تقرير .

كم كنت في مجلسك هذا رحب الصدر حريصاً على الافادة ، ولكن الالم لا يزال حتى اليوم يحز في نفسي من ان محاوريك قد غادروا الدرس دون ان ينزلوا على حكمك ، وكانت الشبهة لا تزال متمكنة من نفوسهم ،

وقد صرح لي البعض انه عاد فناقشك الرأي مرة اخرى في منزلك ولم تستطع رده الى الحكم الذي تراه ولا يراه هو مصيبا شاكلة الحق .

فالحكم الذي يتوجه على الشك في طهارة الماء غير الحكم الذي يتوجه على الشك في كريته مثلا ، وليس هنا مجال البحث في هـذا اذ ليس من موضوعنا الخوض فيه ولا التعرض له ، ثم اليس من الغبن الفاحش على السامعين ان يذهب ثلثا الوقت المخصص للدرس ، في نقاش هذا المعترض ؟؟ واذا كنتم تذهبون هذا المذهب في كل درس وتقيمون سوقاً للنقاش عـلى مثل ما ارى فالى كم سنة يحتاج الطالب في انهاء دورتي الفقه والاصول ؟؟

ما ادري ولعل الوقت عندكم رخيص في زمن اصبحت الثواني فيه عند من يشعر باتساع افق العلم وضيق الاجل وحاجة الحياة الى العمل السريع ، هذه الثواني التي يفتقون بها السماء وينحتون الجبال ويخرقون الارض اصبحت عنده اثمن بكثير من اعوامنا العامرة بالنقاش والجدل .

اما قولك ياسيدي بطهارة الكر المتمم بالنجس وعـدم تطهيره فيعجبني فيه ادبك السامي اذ عقبت على هذا الحكم بقولك : هـذا الكر يرفع حدث الجنب لطهـارة بعض اجزائه وينجس بدن الجنب لنجاسة البعض الآخر ، تتصور الماء المختلط في هـذا الكر من الطاهر والنجس ، اجزاء يستمر بعد المزج بعضها طاهراً والبعض الآخر نجسا فـاذا انسكبت على الجسم مر به الطاهر فرفع الحدث الاكبر ثم مر به النجس فتنجس الجسد .

خيال جميل جداً يثبت ملكتك في الادب الفقهي ، ولكنك يا سيدي

لم تذكر رأيك فيما اذا شككنا اي المائين المختلطين كان اسبق الى الجسد فيجري الحكم عليه ؟؟ لان الجنـابة لا ترتفع بالغسل حتى يكون الجسم طاهرا من الخبث فاذا سبق الجزء النجس ثم عقبه الطاهر كان للطاهر فعـل ازالة الخبث فيحتاج لماء طاهر آخر يرفع الحدث

ثم اذا شككنا في ايهما كان الجزء الاخير اكان الطـاهر فيكون قد ازال الخبث بعد رفع الحدث ؟؟ واذا كان لكل جزء حيز من الجسم الذي يقع عليه فمن الجائز ان يكون بعض اجزاء الجسم استمر حيزا للنجس ، اذ يجوز ان تتخذ اجزاء النجس شكلا مستطيلا في عموم الماء كما يجوز ان تأخذ شكلا كرويا ، فعلى فرض الاول يخلو بعض اجزاء الجسم من تسرب الماء الطاهر اليه فينتفي فعل الطاهر برفع الحدث .

وحكم سيدي ثابت على فرض تجزي الماء الى ذرات متداخلة بشكل كروي وكل ذرة نجسة يليها ذرة طاهرة في عرض الماء وطوله حتى يتحقق معنا ان كلا من الجزئين يستوعب الجسم ، على ان الحكم الاخير يبقى الشك فيه موضع التأمل اذ لا بد للاجزاء الاخيرة من ان تكون اما طاهرة واما نجسة فيقع الحكم حينئذ تحت تصرف الاستنباط من الدليل .

هذا فصل خيالي جميل ابتنناه لتسلية القراء ، وقـد يكون له حظ من الحقيقة ان ثبت لدينا صحة بقاء النجس القليل متميزاً في الماء الطاهر الكثير ، لان من طبع الماء ان يحيل فيه بعض السوائل حتى يستهلك ثم لا يتحقق له وجود كما يتحول الكلاب في الملح الى ملح لخاصة في طبيعة الملح تحوله تلاشي

الكلب فيه او لخاصة في ماهية الكلب تحوله الى ملح اذا غمر بالملح ، ولقد رأيت بعض الحيوانات الدنيا اذا وضع عليه الملح يذوب حتى يستحيل ماء ، فلو لم يكن من طبيعة الماء احالة ما يستهلك فيه لما كان مطهراً بكريته ولقصر الشرع تطهيره على الازالة بالغسل ,فقط كسكب الماء من اعلى المتنجس حتى يزول عنه النجس .

فتتميم الكر بالماء النجس اما ان يغلب طاهره نجسه فيحيله فيه ، واما ان يغلب النجس على الطاهر فيخبث جميعه ويصبح غير صالح للتطهير وبالاخرة غير صالح لرفع الحدث الاكبر ايضاً ، والظاهر ان كلمة تتميم تعطينا كثرة الطاهر وقلة النجس والعكس يجب ان يقال فيه : تتميم الكر المتنجس بالماء الطاهر فنرجع بالحكم اذ ذاك الى تحقيق غلبة النجس في المتجنس او نقيضه ايهما يغلب فيجري حكم الاحالة عليه .

وبعد ايها السيد فليس لي الا ان اغتبط بوجود امثالك في النجف ، اقطاباً في العلم والتقوى نرى التجديد في الدين يلوح على سرائرهم وان لم تعمل به جوارحهم ، وكلنا نرقب يوماً قريباً تتنبه فيه الافكار الى ضرورة هذا التجديد وفقه الدين فقهاً يعود بالعلماء الى الاقتناع بان الدين انما هو قانون حيوي وضع لاصلاح البشر والبشر يعرضه التطور فلا يسوغ لقانونهم الذي يباشر حياتهم ان يكون جامداً بكليه وجزئيه بينما نجد الثبات في الوجود قاصراً على الكلي ، واما الحدوث الواجب في الكون فانما يعرض الجزئي من هذا الناموس .

الرسالة الخامسة

الزنجاني

الشيخ عبد الكريم من اعلام العلماء الاماميين ، ايراني الاصل ، نجفي المنشأ له مواقف مشهودة في الاقطار العربية ، وله عدة مؤلفات في الفلسفة ، وهو في العقد السابع من سني حياته . ومكانته مرموقة في الاوساط العلمية والسياسية .

ما رأيت رجلا يسمع شتمه باذنيه ويقرأ الطعن عليه بعينيه ثم يغضي ويقول : ما قرأت ولا سمعت ، اللهم ارحم هؤلاء الناس فانهم في عهد كعهد رسول الله » ما رأيت هذا الرجل في غير برديك ايها الصابر المحتسب والعامل الجبار .

لقد رأيتك في مصر وانت تخطب في محافلها وشهدتك في لبنان وسوريا مجاهداً ومناضلا في سبيل مجدك وعزة قومك ، فرأيت منك رجلا حنكته التجارب وهذبته الايام وقام على تكوينه وتلوينه عقل متزن ومقول ذرب وعزم ثابت ونفس مرحة ، وهم يقيمه ويقعده بين يدي روحه الوثابة وقلبه الزاخر بالحياة .

ايها الطود الراسخ .

ان في صفحك عن كل ما تقرأ وتسمع ، وحلمك في وجه من يرى القذاة في عينك ولا يرى الخشبة في عينيه ، وجهادك في تثبيت عزمك وتقرير خطتك وتوطيد محبتك في قلوب عارفيك وشانئيك ، وصبرك عما ينالك في طريقك الى الغاية التي تستهدف ، ان في ذلك كله سراً لعظمتك في النفوس ورهبتك في الاعين وخلودك في بطون الاجيال .

رأيتك اذ تريد شيئاً من ذلك تعمد الى عقلك فتسأله الحلم عما تسمع ،

والى قلبك فتناشده الصبر على ما تكره ، والى لسانك فتستميحه البيـان المعجز في محو ما كان وابداع ما لم يكن ، فاذا الاذن جشعة في تلقف مـا تسمع ، واذا العين نهمة في التهام ما تبصر ، واذا انت بـما تفكر وتنطق وتشير ، ملء العين والاذن جمالا وجلالا .

ان اعظم ما يبهر عيني من شخصك قوة هذه الارادة التي تهزم بها جيشاً لجباً من ارادات ضعيفة تحاول كبتك والنيل منك في مغيبك ومشهدك .

هذه الارادة الجبارة التي لو كررتها على الجبال لتصدعت ، وعلى الصخور لاضمحلت ، وعلى الانفس العاتية لمثت بين يديك صاغرة تعترف لك بالغلبة والفلج في وجه ما تحاول .

لقد اوحيت اليَّ بارادتك هذه ، وانت حكيم ، حكمة الارادة العليا ام الحكمة في الكون ، فشاركتك التحليل والتعليل ، وكنتُ من هؤلاء الذين يخوضون في بحار سحيقة الاغوار من الوهم والتخيل ، ولعل هذا الوهم او الخيال يرمز بشيء منه الى حقيقة كامنة في صميم الحياة لا يتبينها الا الشاعر

فهل تسمح لي ان أملي على قراء رسالتي اليك مـا اوحته اليَّ ارادتك الجبارة من تحليل حول هذه الارادة ثم اعود بالتحليل الى ذاتك الكريمة ؟؟ ولقد يحبب الى ايراد هذا البحث امتهانك الفلسفة إذ قرأت لك كثيراً مـن الفصول في علم النفس وتحليل كيانها :

ارى ان تفاعـل الاثير ينشأ عن الارادة والارادة هي انفعال الجوهر المتغلغل في قلب الاثير ، وهل هذا الانفعال ، وهو ما نسميه بالارادة الاولى ،

هل هو مطاوع لفعل يهيمن على الاثير ام هو ناشيء عن طبيعة الاثير ؟؟

لا استطيع الجواب عن هذا السؤال ، ولكني ادرك ان الارادة الاولى ولعلها العقل الكلي ، تفعل في الاثير مـا تفعله الارادة الثانية في الاجرام المحسوسة ، ونعني بالارادة الثانية الارادة الجزئية الموزعة على الاشخاص والتي تسيطر على ما دونها من العوالم .

فالارادة الاولى هي علة تفاعل الاثير الذي ينشأ عنه جوهر الحياة الاولى كالانسان والنبات والحيوان ، والارادة الثانية هي علة انفعال هـذا الجوهر الذي ينشأ عنه التكوين العارض على المـادة التي هي وليدة الارادة الاولى كتحويل الشجر الى مناضد ومقاعد وتحويل الحيوان الى غذاء وحذاء .

فالاثير ينفعل بالارادة الاولى فيتكون منه الانسان والانسان ينفعـل بالارادة الثانية فيتكون منه البيت ، فالجوهر اذن عام وخاص فالعـام هو الناشيء بفضل الادارة الاولى والخاص هو الناشيء عن الارادة الثانية واجل هذا الجوهر مقيس على قوة الارادة التي بعثته ، من اجل ذلك نرى التفاوت بين اجل الكرسي الذي انشأته الارادة الثانية والشجرة التي انشأتهـا الارادة الاولى .

فقد ندرك تاريخ خلق الكرسي ونتنبأ لانتهاء اجلها امـا خلق الشجرة فلم ندرك بدءه ولا التنبوء عن نهايته حتى ندرك بدء خلق الارض ونهايتها .

فالارادة الاولى خلقت الطبائع ولونتها والارادة الثانية تصرفت بهـا فعلى قدر الارادة الاولى كانت الطبائع ، فمنها السامي كالانسان ومـا دونه

كالحيوان والنبات ، وعلى قدر الارادة الثانية كانت المطبوعات فمنها السامي كالقصور والرياش ومنها ما هو دونه كالاكواخ والبواري ، وعلى قدر هذه هذه الارادات يكون بقاء الاثر وفناؤه ، فما تريده طويل الاجل عملت على بقائه فكان كما شئت ، وما تريده قصير الاجل عملت على كونه كذلك فكان ، وهكذا القول في الارادات الاولى .

ولا نعني بالبقاء بقاء الجزئي ولكنا نقصد بالبقاء خلود الكلي المتطور في جزئياته ، ففكر الانسان انما ابدع نوع القلم فكلي القلم يدوم بدوام الحاجة اليه وهو مستمر بقوة الارادة التي ابدعت خلقه ، واما جزئيه وهو هذا الذي نمسكه ونسطر به الكتب فهو كالشجرة التي اقتطع منها ، يفنى ويتجدد حتى تبدع الارادة كليا آخر يغني عنه فيزول ثم لا يبعث .

فبقاء الجزئي متسلسلا مبني على بقاء كليه وبقاء هذا الكلي منوط بدوام الحاجة اليه فقد تخلق الحاجة نوعاً آخر من آلات الكتابة كالتيبريتر فينعدم القلم وقد تفتق الارادة حيلة أخرى للتفاهم غير حيلتي القلم واللسان كالتفاهم الفكري العتيد الذي يرمز اليه توارد الخاطر وقراءة الفكر فيستطيع المرء توجيه فكره الى اي امرىء اخر فيلهمه ويستوحي منه دونما كتابة او خطاب فتنعدم اذ ذاك الحاجة الى القلم واللسان معا .

افلا يمكن لهذا الانسان الجبار ان يصل الى اكتشاف التيار الروحي المهيمن على التيار الكهربائي فيصل الى التقاط الافكار ولفظها باجهزة الدماغ كما اتصل الى اكتشاف التيار الكهربائي فاوجد اجهزة لالتقاط الاصوات

ولفظها ؟؟ انه لخليق بذلك اذا امعن في تحجر الخيال الرامي الى تناجي الافكار مباشرة دونما لسان او قلم .

نعم سيأتي يوم نتناجى فيه بالافكار فيقف الخطيب على المنصة ويجيل فكره في الموضوع الذي يحاول بثه ويوجه المستفيد ، شاهدا كان او غائباً ، جهاز فكره توجيهاً خاصاً لالتقاط ما يفكر به الخطيب ، ولعلنا نصل في اعماق المستقبل البعيد الى ابعد من ذلك : نصل الى التقاط الروح الجزئية ما يجول في روح مثلها مما تحس بالعين والاذن والانف فتنعدم اذ ذاك الحاجة الى الحواس وبالنهاية ينعدم الجسم .

أفلا أرى وأسمع الآن بروحي ؟ وهل اذا لم اوجه هذه الروح لسماع الصوت ورؤية الشخص استطيع السمع او البصر؟؟ افلا تمر بي اشخاص وتدق حولي اجراس وانا افكر في غير هذه الاشخاص وتلك الاجراس ثم اصحو من غيبوبة الفكر فلا اذكر اني رأيت شخصاً اوسمعت جرساً ؟

كل ذلك كائن بالارادة التي تتمشى بدافع الرقي الطبيعي من الكثافة الى اللطف حتى تعود الى سيرتها التي انبثقت منها ويصبح الاول اخيراً كما كان الاخير اولا .

اما العقل فهو عين الارادة ولكنها اوسع منه اذ تشمل المد والجزر في تيار الروح فحيث تحلق الخير نطلق عليها اسم العقل وحيث تحلق الشر نطلق عليها اسم الهوى او الشيطان او النفس الامارة بالسوء ، تلك هي الارادة التي هي انفعال الروح الكلي بفعل الله او بطبيعة هذا الروح .

أعجب كثيراً لمن يفرق بين العقل والارادة ، فيقول لمن مر بفقير فاعطاه درهماً ان عقله حمله على ان يتصدق ، ويقول لمن مرَّ بثمرة ليس له فيها حق فجناها ان الشيطان أغواه فأكلها ، وأرى ان الارادة التي دفعته لأكل الثمرة هي عين الارادة التي حملته على فعل الصدقة .

أفليس انفعال الروح الكلي في جزئياته بالخير دفعـه الى ان يتصدق وانفعاله فيها بالشر حمله على ان يجني ثمرة ليس له فيها حق ؟ او ليس هـذا الانفعال هو ما نسميه الارادة وهو علة العمل الصادر عن هذه الروح الجزئية في الاحياء ؟

الرغبة في الانسان هي كل شيء ، هي اساس المعرفة لانها تسير الحواس فتسيطر بها على المادة وتربي العواطف فتسيطر بها على الروح ، وهي اساس الدين لانها تبعث في النفس حب الاطمئنان فيما تعجز عن ادراكه فتلجأ النفس الى العقيدة التي هي نواة الدين .

وبعد فما هي الارادة ؟؟ هي الرغبة ، وما هي الرغبة ؟؟ هي المحبة او نواتها ، والمحبة هي كل شيء في الوجود ، هي النواة الاولى التي انبثق عنها الروح الكلي الذي يتفاعل به الاثير المالىء فضاء الكون . »

ساقني الى هذا البحث ما رايته من قوة الارادة فيك ، فما رأيتك تريد شيئاً الا نفذته بجهد جبار لمـا يعترضك من مشقة في سبيل تنفيذه فتستمر آخذا بتذليل هذه الصعوبات حتى تصل الى مرادك وتنفذ تلك الارادة غـير مكترث بما يقف في طريقك من حواجز امنعها كره الناس لك .

عفوا ايها الحكيم !! واسمح لي ان اقول انك مظلوم بكثرة شانئيك في بلدك الذي تحملك تلك الارادة فيه على تثبيت مركزك وتقرير خطتك في الحياة بين يدي مستقبل تحلم به فيريني هذه الارادة الجبارة في نفسك وتندفع امامها كالسيل الجارف لا يقف في طريقه سد .

لقد بحثت كثيراً عن سبب كرههم لك وامعنت في هـذا البحث ، واكثرت من الجدل معهم في كثير من المجالس ، وناظرت كثيرا من اخواني الاعزة علي في سبيل تبرئتك من عيوب يلصقونها بك حتى خشيت على صداقتي ان تتصدع بينما اجدني حريصاً على شد اواصرها بيني وبينهم .

فوصلت الى اشياء اكثرها كان تافها وقليل منها ترك شبهة في نفسي ولم استقر معه حتى زرتك في منزلك ايام جزت العراق الى الهند ، وبسطته بين يديك فكان عذرك فيه جليلا وغرضك ساميا ، فاكبرت فيك الحلم والصبر والصفح عمن يسيء اليك ، ثم قرأت على اسرة وجهك الما خفيا يكاد الطفك وتجملك بالصبر يدفنه بين قسمات جبينك الوضاء .

ألماً يحز في نفسك من ظلم قومك ، وتمعن في اخفائه عن جليسك كي لا ينم على ضعف في الارادة او وهن في البصر او خور في العزم ، فكنت في ذلك اكبر قلبا واصمد عزماً ، واعظم في نفسي منك وانت تملك قلوب قومك وتشرق نفوسهم بعلمك وعملك .

وهكذا كان جهادي في سبيلك مع كثير من اخواني في النجف هـذا العام ، على اني رايتهم اخف لهجة معهم في الزيارة الاولى ، وقد رأيتهم

يجمعون على رأي واحد فيك هو : انصرافك الى خدمة قومك في المحاكم المدنية ودور السياسة ومجالس التشريع في الدولة اذ يزعمون ان لك يدا في هذه الاندية وشخصية محترمة عند رجال الحكم .

لم اسفههم في ذلك اذ رأيت منك رغبة شديدة في هـذه الخدمات وكم زرتك فوجدت ثويك مكتظاً بذوي الحاجات ، وانت مكب على مكتبك توقع لهم الرقاع الى مختلف الحكام والاعيان في شتى المناطق والالوية .

على ان ماقتيك انمـا يوجهون انتقادهم عليك الى حرصك على الرئاسة الدينية من حيث الفتوى والتقليد بينما يحصرون اهليتك للرئاسة الدينية في خدمات الشعب عن طريق الحكومـة فيقولون : لم لم يكتف بان يكون مرجعاً للطائفة في مصالحهم الدنيوية بين يدي السلطات ويترك الرجعى لهم في الدين الى غيره ممن اوتي في الامة ثقة فوق ثقته ؟؟

ما استطعت ان افهم السبب الباعث لهم على مقتك وسلب الثقة منهم فيك الا انك تضطلع بخدمات الشعب عن طريق السلطان ، وفي اعتقادهم ان صديق السلطان بعيد عن الثقة في نفوس المؤمنين ، وهـذا اصبح غريزة في نفوس المتدينين ، ومنشؤه ظلم الحكام فيما سبق من ذوي السلطان الجائر حتى تأصل هذا الاعتقاد في نفوسهم واصبح من الشاق على ذوي العدالة في الحكم ان يستأصلوه ويعيدوا الطمأنينـة الى نفوسهم والثقة في نزاهة الحكام .

لذلك وضعوا المثل السائر حتى اصبح مادة قانونية في ناموس التقاليـد

المتوارثة عندهم ، ذلك المثل هو : اذا رأيت العلماء على ابواب الحكام فقل بئس العلماء وبئس الحكام وان رأيت الحكام على أبواب العلماء فقل نعم الحكام ونعم العلماء ، ولهذا يرون فيمن يتصل بالحكام مشكوكاً في ثقته التي يجب ان يتمتع بها في الامة ليرأسها في معرض الفتوى والاجتهاد الاكبر.

اما فكرتك في اصلاح السلك التعليمي في النجف فبالغة في الحكمة والاعتدال على اني عجبت ، اذ علمت منك ومن غيرك اخلاصك للحجة الاكبر ابي الحسن مد الله ببقائه وعلمت قربك منه وانك على صلة تامة به ، عجبت كيف لا تعمل تلك الارادة الصلبة القوية من وراء منطقك البليغ وحديثك الأخاذ ، وقوة حجتك في البرهان ، كيف لا تعمل هذه الارادة في اقناع السيد الاكبر بصواب رأيك في الاصلاح وتنظيم دراسة الفقه ومقدماته تنظيما يحفظ الجامعة الدينية ويضمن لها مستقبلا يعيد نضارتها وشبابها المشرف على الشيخوخة فالهرم آخر الأمر ؟

تنقم النقمة كلها وتحمل جهدك على الفئة الجامدة من زملائك وانهم حجر عثرة في سبيل اصلاحك ، وانك لا تغفل عما يهدد السلك الدراسي في النجف من غوائل ، وان لديك المقدرة الكافية للتنظيم لو عهد اليك به ، وأراني على ثقة في انك أوتيت هذه المقدرة ولكني أشك في عجزك عن اقناع زملائك بضرورة الاصلاح والجهاد في سبيله ، لاني رأيتك بفضل ما أوتيت من ارادة عبقرية وعقل مرن وفكر حاذق ، ولسان بليغ ، رأيتك تفرض احترامك على النجف واهله فرضاً حتى اصبحت مقرباً من سيد

النجف الاكبر .

أفمن اوتي هذا لا يستطيع ان يوجه تلك العوامل الى الاصلاح الذي ينشده ، ويمنى على زملائه الوقوف في طريقه اليه ، فيحملهم على الاقتناع بضرورة التجديد فيه والعمل من جديد على تهذيب السلك لينتظم النش. فيعصمه عن التردي في بؤرة من الفساد تقضي على اخلاقه ؟

ايها القرم المجاهد

ان الفكر ليحار في تحليل ثباتك على نضالك المستمر في سبيل نفوذك وهيمنتك على المنصب السامي في الشعب ، ولقد وقفت حائر اللب امام جرأتك في كل مشهد تتبارى الاقران للفلج فيه ، وكم خضت معتركا كانت الهزيمة مقدرة لك فيه ، حتى اذا جلت جولتك وانجلى الافق ، اذا بالغبار ينكشف عنك وانت ابلج الغرة ناصع الجبين تمسح صفحتيك وتقول : عندي من العزم سر لا ابوح به .

هذه الجرأة وتلك الارادة وبينهما صبرك القاره وعزمك الجبار ، وما أوتيت الى ذلك من بسطة في العلم والجسم ، كل ذلك يضمن لك السعادة في الحياة والخلود بعد الموت ، على ان تتنازل الى سماع كلمة واحدة من تلميذك الذي قرأ عليك كثيراً من علم النفس وهو يستمع اليك ويأخذ عنك ، وانت تتحدث اليه وتملي عليه من نقماتك على المجتمع الذي عرف الغث وانكر السمين من رجاله ، تلك الكلمة هي : ان تثابر على حلمك وصبرك وخدماتك لابناء قومك في وجه المظالم التي ترهقهم من اولي الامر فيهم ، كما ثابرت

وناضلت في سبيل منصبك الذي احرزته في قلوب كثير من عارفيك في مصر وسوريا ولبنان .

ولست في حاجة لان ابثك ما تركته في نفوس القوم فانك اعرف به مني ولعل الايام تنصف الاحرار من رجال الامة فتضرب على يد الظالم وتأخذ بيد المظلوم الى حيث يسعد بعد شقائه وينعم بجميل الذكر تلقاء ما ضحى في سبيل الحق .

الرسالة السادسة

آل يس

الشيخ محمد رضا والشيخ محمد مرتضى والشيخ محمد راضي آل يس، الاول يقطن النجف والثاني يسكن كربلاء والثالث يستوطن الكاظمية، وهم من علماء العرب الاعلام والكل حلقة تحدق به للبحث في التخريج يكاد يكون الاول في العقد الثامن والثاني والثالث في السابع والكل منهم منزلة جلى في نفوس اتباعهم من الشيعة .

« محمد الرضا » « ومحمد الراضي »

من ضروريات النظام في الحياة هذا الذي يقعد بك عن صعود السلم ايها الشيخ الجليل ، واذا صعدت مقاوماً ضعفك قعدت على رأس السلم ويكاد قلبك يثب من صدرك اعياء وتعباً .

وهكذا ضعف الحجة الاكبر مما يلمسنا هذه الضرورة فنلجأ الى تلمس الصحة بشكل فوضوي فلا يفلح ، افلا يتألف منكم يا سيدي مجلس صحي لتنظيم الاصطياف قيظ كل عام يرده امثالك وامثال السيد الاكبر مدة الصيف ترويحاً للنفس واستجماما لها من الصحة واستشفاء بالهدوء من ضوضاء العمل ، وبالهواء الرطب النقي والعلاج الصحيح على ايدي اطباء مهرة في مصائف لبنان ومصر ؟؟

لم لا نسعى وراء هذا النظام كل عام ؟؟ افلسنا في حاجة اليكم وتكاد تعول الامة عليكم في حياتها وانتم بضعة نفر ؟؟ أفكنتم احراراً في نفوسكم وانتم مملوكون لستين مليونا من العالم ؟؟

لا يا سيدي ، لستم احراراً في ابدانكم لانها انا . قلوبكم النابضة بالحق وليست هذه القلوب لكم ولكنها ملك الامة فكيف تهملون القوالب التي تصونها هذا الاهمال ؟؟ عمل جبار يقض مضاجعكم ليل نهار ، وغذاء

حقير قد ينقصه كثير من ضروريات الحيـاة ، ومحيط موبو. تكاد جراثيمه تملأ البصر والسمع ويكاد قاطنه يشير الى اجله المحزوم بكل جوارحـه اذ يرى تلك الجراثيم ويسمع طنينها ، الى طبيعة غير صالحة في اكثر فصولها لان يعيش الانسان فيها عمراً طويلا حافلا بآلام الحياة وغصصها .

شهران او ثلاثة من قيظ كل عام تفر بكم الى لبنـان او ايران تحت نظام يخرج بكم في وقت معين الى مكان معين وخدمـة يقوم عليها اناس ينتظمهم سلك مجلس صحي من علماء قد اوتوا حكمة النظام المدني .

فليس خروج امثالكم ، وهم ملوك ، على راس كل عـام من قطر الى قطر بالامر الهين ليترك فوضى فان هـذا الخروج كخروج الملوك يفتقر الى قرار خاص وتنظيم خاص اذ هو تحويل عـالم بمجموعه من افق الى افق ، لا افراد مستقلين بشخصياتهم ، احرار في رحيلهم ومقامهم .

كم يؤلمني ان ارى اعلام الامة تعاني الآلام الممضة وتقاسي ، من جهد ما تقوم به في وجه أعباء تضطلع بها عشرات السنين ، اشق الاعمال واقساها ثم لا تستطيع الاستشفاء او تستطيعه ولا تصل اليه وهو متناول ايديهم لو مدوا ببصرهم الى خارج النجف والتمسوا فرارا من هول ما يحدق بهم من كوارث الزمن وغوائل الايام .

لقد آلمتني يا سيدي وانت تلهث بعد صعودك السلم وهو لا يتجاوز مراقي عشراً لبثت على اثرهـا دقائق فوق العشر حتى استطعت ان تسلم او ترد السلام ، فكأن العلم الذي من اجله تضحي بصحتك اغلى من هذه الصحة ؟

ام كانت الحقوق التي ترد عليكم فتنفقونها في سبيل العلم حراما على ايام تردكم الى الشباب من شرفات الهرم لتفرغوا الى الاصلاح وانتم اصحاء بابدانكم وعقولكم ؟؟

يوما او بعض يوم تخرجون فيه من جحيم العراق الى نعيم لبنان او ايران، يلبسكم ثوب الصحة وتدركون به نعيم السماء وانتم على الارض ثم تعودون الى العمل الذي من اجله نحرص عليكم ونحاذر ان يصيبكم سوء ونحن نسمع ونبصر ، هذه كلمة ارجو ان تعيروها الاذن الواعية في مطلع رسالتي اليكم لانها واجب اول على عاتقنا تجاهكم .

مما حرصت على ان اكتب اليكم به كلمتكم المبهمة التي حبذتم بها عمل احد العلماء باستقالته من القضاء الشرعي في لبنان ، قلتم اذ سألتموني عن فلان واجبتكم بانه انتدب للقضاء الشرعي فاستقال ، قلتم « لقد فعل خيراً » ولماذا يا مولاي ؟

ان القضاء عندنا مقدس ويكاد يكون مستقلاً لا يهيمن عليه سلطان في الدولة ، أفلا نحميه من زعانف ينتحلون الفقه ليصلوا اليه فيهتكون ستر الدين باسمه ويجعلون من مذهبنا امثولة يهزأ بها الاجنبي ويتخذها دليلا على الشرع الذي نتبجح به والعقل الذي نتأثره في اختيار ذلك الشرع المقدس .

هؤلاء قضاتنا من اعلام العلماء الذين يحملون ثقتكم في العلم والنزاهة لم نجدهم يقترفون اثماً في منصب القضاء ، ولا يتذمرون من يد تحاول صرفهم عما يقضون به تحت سماء الشرع الاسلامي ، ولم يفكروا في ان يسايروا اهوى

السلطان الجائر بل لم يفكر هذا السلطان في ان يفرض عليهم ما يوافق هواه ويخالف الشرع الذي يخدمونه في منصب القضاء ، فلماذا يتخلون عن هـذا المنصب للاراذل في الامة ويقبعون في زوايا بيوتهم دونما عمل يقومون به الا مغالبة الايام ومناهضة الزمن في سبيل القوت الذي يعوزهم فيتبلغون به حياة الذل والفقر والمسكنة .

منصبان يا سيدي تحاميتموهما فجر علينا هذا التحامي بلاء لم نخلص من شقائه منذ فجر الشيعة حتى الان ، اولهما تثقيف النش. وتربيته وثانيهما منصب القضاء ، عددنا مهنة التعليم رذيلة فتحاماها الاشراف منا واضطلع بها الانذال فانحطت ثقافة الامة ، وسفهنا من يمتهن القضاء الشرعي فتحامـاه الابرار من علمائنا وانبرى له الاشرار من الجهلاء فانحط ديننا ، وحتى الان لا نخجل من الصاق العار بكل من يمتهن التدريس او القضاء بينما يمر الاستـاذ في شوارع لندن فترفع له القبع احتراماً واجلالاً ثم نرى امة السكسون تفاخر العالم بنزاهة القضاة في محاكمها .

أفلا اذكر لك يا سيدي ما تأسف له الحقيقة في لوحها المحفوظ ؟ ان بعض علماء جبل عامل قد رشحوا للقضاء من لم يدرس الفقه وقد يعمل ما لا يسيغه فقه آل محمد ، أفكان هذا الترشيح عن سماعهم مثل مـا سمعت منكم باستحسان ان يعتزل العالم النزيه منصب القضاء ؟

واطمئنكم انه قد نجح امثال هذا المرشح واصبح يتبوأ منصب جعفر بن محمد الصادق واصبح القضاء طوع امره ونهيـه ، وفي اليقين الحق لو لم

يرشحه هؤلاء العلماء لما تبوأ هذا المنصب ولو لم يسمع هؤلاء العلماء من امثالكم ضرورة اعتزال القضاء لما عدوه بعيداً عنهم وخليقاً بغيرهم ، وانا واثق انكم تلحظون شيئاً في حكمكم ويلحظون هم ، شيئاً آخر ، انتم تحسبون ان منصب القضاء اليوم كمنصب القضاء في العهد التركي او قبله من عهود الحكومات الجائرة فتستمرون على عداء هذا المنصب ، واما هم فيلحظون حكمكم دونما تعليل ولا يصل بهم الفقه الى ضرورة الذود عنه في محاكم تختلف في يومها عن أمسها اختلافاً كبيراً .

فقضاتنا اليوم احرار فيما يذهبون اليه من حكم وها هم شهداء على ما اقول ، فكيف يسوغ والحالة هذه ، ان يقوم مقام العالم الحاكم الفقيه ، جاهل عابث جائر ثم نغضي عنه وعن مرشحه ونطري عمل من يعتزل القضاء من علمائنا الابرار بعد ان ينتدب له ويصبح العدل في الحكم امانة تثقل كاهله ويضطلع بها عنقه حتى يقوم بادائها على أتم وجه واكمله ، واذا لم يكن القضاء واجب العالم الفقيه اليوم وفي عهد تحرير المذهب الجعفري فمتى يكون كذلك ؟ ومتى تسأل العلماء عن هذا الواجب ؟؟

لقد مني القضاء الشرعي عندنا منذ خمس وعشرين سنة بقضاة ظلمة ينتهكون حرمة الشرع لبعدهم عن الشرع وقربهم من الهوى الجائر حتى تسربت الحياة الى نفوس بعض العلماء الاخيار ووصل بهم الفقه الصحيح الى ضرورة جهاد هؤلاء وتنحيتهم عن القضاء فافلحوا ونحوا قليلاً منهم واثبتوا مكانهم من هو أهل للفتوى وحريص على فقه آل محمد فكان ثمة صراع

عنيف بين الهوى في بعض المحاكم وبين العقل في البعض الآخر حتى قمنا بنصرة العقل وتمت الغلبة اخيراً له على الهوى واصبح القضاء نزيهاً يعتصم بثلة من ذوي النزاهة والعلم الصحيح ولم يبق الا منصب واحد ظفر به من لم يصلح له بفضل اولئك العلماء الذين رشحوه وهم يعتصمون بمثل اقوالكم من بعض زملائكم في جبل عامل .

فأي أصح ايها المفضال والمنصب كائن لا محالة والقاضي سينتدب له من الطائفة وسيحكم فيه وينفذ حكمه ، أي أصح وأصلح ، وجود العادل فيه ام الجائر ؟ والمفروض انك انت المرجع في الحكم بالتنصيب ؟ ساعدنا الله فكم نتألم هنا وانتم في معزل عن هذه الآلام ثم لم نستطع ايقافكم على ما ابتلينا به ولم تقفوا انتم عليه لما يحول بينكم وبينه من حاجز ، الله يعلم ونحن فقط ان البلاء واقع منه علينا دونكم ايها السادة الابرار .

لعلك تسامحني يا سيدي ان ضقت ذرعاً بي وانا امعن في بحث هـذا ؟ فلقد ضقت انا ذرعاً بما ينال الامة عن طريق العبث بدينها ودنياها ، ولو بحثت نفسي لوقفت على العجب من تأثري بما انا بعيد عنه بشكلي وعقلي ، فلقـد يبدو لك اني متطفل على هذا وليس من جامعة تربطني به في طراز حياتي ، ولعلي اعجب انا من نفسي بزجها اياي في هذا المأزق الحرج وانا انتمي الى الادب والفن ؟؟

وما ادري ، لعلي مسخر بغير ارادة للذب عن هذ المنصب ، ولعل نفسيتي هذه احدى عجائب الله في خلقه ، ولولا هذا لما كان للحياة سخرية ولا كان

للتطفل ذكر في قاموس اللغة قبل ان نكون .

الا اذكر لك يا سيدي اعجب من هذا ؟؟ لقد مر بي عشرة اعوام على صدور مجلتي العروبة وانا اجاهد في هذا الحقل حقل الاصلاح دينياً وسياسياً دون ان ادرك السر في جهادي او اتبين الهدف الذي ارمي اليه من ورائه وبينما اسمع وارى كثيراً ممن ينبهني الى ان هذا ليس من واجبي فلم ارعو ولم ترعني نفسي كاني ، وانا في زيي هذا ، من حملة كتاب الله وورثة انبيائه وكان الد اعدائي في هذا الجهاد من دعاة الدين والسياسة ، احمل عليهم ويحملون علي حتى اصبحوا يرمونني بالتطفل على ما ليس لي فيه حق وانا ارميهم بالتقصير فيما عهد اليهم به من عمل في الحياة .

وحال دون استمرار النضال نشوب هذه الحرب فخبت الشعلة وسكنت الريح حتى زرتك وجرى بيني وبينك ذلك الحديث وكانت منك تلك الجملة فردتني الى ذلك العهد البائد وعدت اخوض فيه معك ولكنه خوض حكيم اذ كان الدافع اليه حكيما ، فالمعذرة اليك واستميحك الصفح .

وانت ابا عز الدين !!

سبحان ربك ! ما اجلت في وجهك بصري الا وعدت مطمئناً الى روح الله يغشاني من فمك الباسم وقسمات وجهك الفياضة بالسحر ، سبحان الله ، ما اروع ما يفيض به على الانفس الحساسة من بدائع فنه ، وتا الله لقد كنت وانا في حمى سيدي الكاظم ، كلما ضغط الهم صدري وضاق بي الافق غشيت الصحن الشريف ولا ادري ، ألا فرّج كربي بجمال الضريح وجلاله ، ام لا كشفه بما يتراءى لي على فمك العبقري من جمال الروح وجلال العقل ؟؟

يالله كم كنت مغتبطاً ايامي تلك ، بين آل الصدر وآل يس ، وهم آل محمد ، ولكم كنت افتح عيني صباح كل يوم فاذكر انى في العراق المحبوب وفي الكاظمية وان الاصيل حيث نجتمع تجاه القبة السامية قريب .

بين يدي الان وفي المنظر الاعلى من خيالي المتحجر ، شخصك المحبوب ، ها هو اكاد المسه بعيني واجيل في ديباجتيه روحي لتتحسس من خلق الانبياء واوصيائهم ، ها هو شخصك يا سيدي حيال عيني بابتسامه الفاتن ونظراته المطمئنة الى الحياة ، بحديثه الرزين ولغته الساحرة واسلوبه المرن الجذاب .

اكاد اعود اليكم بروحي بعد فراق الجسد ، واكاد اشهد معكم تلك المجالس الحافلة بالعلم والادب واكاد اسمع نقاش الصديق والحبيب محتدما

بين يدي سيدي الراضي وهو يشير بتواضعه الى الحكمة المطبوعة في قلبه وعلى عينيه ٠

اكاد اعود اليكم ياجيرة الحق واسرة الفضيلة ، وسأعود ولا بد من العود اليكم ولو بهذا الجسد الفاني ليستقر تحت ترابكم وبين اجسادكم ، على ان الروح لا تلبث ساعة ما في شرق الارض وغربها قلقة مضطربة حتى يمر بها ذكركم وخيال تربتكم فتهدأ وتستقر آملة ان يكتب لها الخلود في ثراكم وتحت سمائكم وعلى ضفاف الانهر التي تغذي ارواحكم ٠

دعني يا سيدي اقتصر في رسالتي هذه اليك على مجلس واحد من مجالسك كنت معجباً فيه بدماغ السيد اسماعيل الصدر وحنجرة السيد عباس شرف الدين عفوا يا سيد عباس فما شئت جرحك بكلمتي هذه ولا جحود فضلك ولكني انكرت عليك جدلك العقيم وعصبيتك للقديم المهمل ، وقوة الحنجرة يا اخي نعمة قلما يؤتاها شخص الا وكانت ثروة صالحة له .

كم كنت حريصاً على اثارة هذا البحث في مجلس ضم افاضل قومي حتى دخلت العراق واثرته في عدة مجالس ، ولقد خصصت القول بمجلسك في هذا البحث وهو بحث اللحية التي كان لها شأن في الاسلام حتى اطلق عليها « كريمة » وهي جديرة بهذا اللقب ولكنها اصبحت اليوم عند اكثر المسلمين منظوراً اليها بعين الريبة لا يرون فيها الكمال المنظور اليه بعين الله ، ولقد آلمني في هذا المجلس ان لا يكون البحث في اللحية ناظراً الى العلم المحض ودليل العقل الصحيح ، اذ رأيت السيدين العباس والصادق يسندان الاحكام

فيها الى العاطفة لا الى العقل وعلى العكس كان السيد اسماعيل الصدر وهذا العاجز ، واما انت يا سيدي فقد كنت الحكم .

لقد انكر علي السيد عباس ان العلامة شرف الدين عندنا قد سامح ولده السيد جعفر بحلق لحيته اليوم وكان قد انكر على نجله الاكبر حلقها قبل عشرين عاماً ، وكأنه شك في نقلي عن العلامة السيد على فحص تسامح السيد وقوله : ان ولدي جعفر يعذره في حلق لحيته كونه في زمرة من زملائه يحلقون لحاهم ويخشى ان يصبح فيهم محل الهزء ، والسيد لو لم يستند الى دليل شرعي لما سامح نجله في حلقها وخوف الهزء لا يعطي فتوى حلقها بحكم الضرورة .

انكر علي السيد عباس هذا النقل ونزه العلامة شرف الدين عن رضاه بحلق لحية ابنه ولعله انكر ان يكون ابنه حليقاً ايضاً فيكون شكه قائماً على صحة قولي وعدمه ، ولقد سامحته بهذه الوصمة وعدنا للبحث ، على انه قد اعتذر فيما بعد عن حدة عاطفته .

لقد عجبت يا سيدي من سكوتك عن ادلتنا العقلية ، اذ ثبت لدينا ان حكم اللحية مختلف فيه وان هنالك من يقول بكراهية حلقها وان كان ضئيلا في جانب من يقول بالحرمة ، أفلا يسوغ لنا في محل الابتلاء ان نرجع الى هذا القول بحكم التقليد للميت ابتداء ؟؟

ولقد انكر السيد عباس وسكتم انتم عن رده ان يقول احد من العلماء اليوم بصحة الدليل على تقليد الميت ابتداء ، وهذا العلامة الكبير السيد

عبد الهادي احد اقطاب البحث في النجف يقيم الدليل على صحة تقليد الميت ابتداء. كما نقل لي العلامة السيد علي فحص ، وهذه فرقة الاخبارية تقول به اجماعاً ، أفكان ذلك بدعة منهم ام عـدم تجديد منا وقد أمرنا به حتى في حكمنا بعدم جواز تقليد الميت مع وجود الحي .

أفلا نتخذ هذا أي حصر التقليد في الحي ، دليلاً على ضرورة التجديد؟ فأين اذن تجديد الحي ؟واذا لم نجدد في الاحكام المختلف فيها فنأخذ بالقول الملائم للحياة ففيما ذا نترقب التجديد بل ما هي فائدة حصر التقليد في الحي، بل أين فضل الحي على الميت اذا لم يلحظ الدين والمدنية بالعين التي لحظهابها الميت .

أفكان بعض علمائنا قبل قرون يتنبأون باتخاذ المسلمين حلق اللحية سنة متبعة بعدهم فعمدوا الى استنباط دليل على جواز حلقها واثبتوه ، ثم يأتي من بعدهم ، وقد صدقت نبوءتهم واصبح جل المسلمين يحلقون اللحى واصبح الرجوع الى قول اولئك ضرورياً بحكم التجديد ، يأتي بعد ذلك من يقول بتحريمها وتسفيه المحلل ليوقع هذه الملايين من شيعة آل محمد في الاثم،وليثبت في نفوسهم انهم يعمدون الى معصية الله صباح كل يوم ومساءه بحلق شعرات في وجهه لا يختلف محوها واثباتها عن الازياء التي لا مساس لها في الدين ؟؟

فلم لا يصل مقلدنا اليوم بفقهه الحديث الى ما اتصل به فقيهنا قبل قرون من اقامة الدليل على جواز حلق اللحية ، بل لماذا لا يقوم عند مقلدنا دليل قام عند العلامة الميرزا عبد الهادي الشيرازي على صحة تقليد الميت ابتداء. فترجع

في هذا الحكم الى من يقول بجوازه واذا لم يكن الاجتهاد عندنا منـاط التجديد في كل عصر فما الفائدة منه ولنكن مقلدين للأئمة الاول كما هو الحكم في مذهب اهل السنة ، ام يكونون هم على تقليدهم اجد منا مذهبا وارحب افقاً في الحياة ؟؟

لم لا نغذي نفوس الشباب ، وهم الامـة بعدنا ، بالتجديد في جزئيات الشريعة التي لا تمس الدين في كيانه كحلق اللحية ، وتطهير الكتابي واباحة الغناء المجرد عن الفسق ، والسفور الشرعي العارى عن التبرج حتى لا نقع في مشاكل يجرنا الضغط معها الى الانفجار .

كل هذه يا سيدي واشباه هذه نراها لمماً في جنب الكبائر التي يرتكبها الشباب من وراء اصرارنا على التمسك بالجزئيات في وجه حياتهم التي يسيرون اليها بدافع المدنيـة والمجتمع المسيطر عليهم تحت تأثير العبودية المفروضة علينا .

فاذا تحرجنا لهم وخرَّجنا افعالهم هذه على الوجه الذي يثبت لهم صحته ويقر في نفوسهم حرصنا على نزاهتهم والسير بهم على نهج شرعي يأبى الجمود ويماشي المدنية ويتخير لهم الحسن قديماً وحديثاً ويكشف لهم عن تساهل الدين في الحياة ، اذا فعلنا ذلك اثبتنا في صدورهم هيبة الدين واحترام اهله وقررنا في نفوسهم عصبية للحق تقوم على اساس من الفضيلة متين البنيان ، فتضمن لهم مستقبلا حافلا بالكرامة والعز .

لمَ ينفر الشبان من شيوخهم اليوم ؟؟ ولم لا يهتم الشيوخ باسترقاق نفوس

الشبان ؟؟ ولم لا يكون الدين الذي هو قانون حيوي وناموس اجتماعي، ونظام فطري ، لم لا يكون وثاقا يشد الشباب الى الشيوخ ويربط قلوب الآباء والابناء فيكونوا صفا واحدا في وجه هذا التيار الجارف من الالحاد والفسق ؟؟

لم لا يكون الشيخ مرآة يرى الشاب فيها نفسه ؟؟ ولم لا يتعاونان على ما يغنيهم الاضطلاع به عن هنات هي الى السفاسيف اقرب منها الى الحقائق وهي بالعبث اشبه منها بالجد ؟؟

أفكان على الدين عبئاً ثقيلا ان يوحد بين الاب والابن وقد وحد بين الشعوب على اختلاف طبائعها والسنتها وألوانها ؟ او كان على هذا الدين الذي جمع مآت الملايين من البشر على اعتناقه واحترامه والانتظام في سلكه ، أكان عليه من الشاق في ان يفرض على الصغير احترام الكبير ، وعلى الكبير رحمة الصغير فلا نرى كليهما يتصور الآخر غولا يحاول قضمه وازدراده حتى لا يكون عثرة في سبيل حياته ؟؟

الدين ، وهو كمال انساني يفرض علينا مكارم الاخلاق ، نتخذه ذريعة لنفور الاب من بنيه ونقمة الابن على ابيه فيضيق به الصدر وتظلم له النفس حتى كانّ الله قد شاء ان ينتقم منا بالدين وقد هبط به الروح الامين سلاماً يرفع الشقاق ويسل الاضغان ويشرح الصدور فيكون هدى ينير البصائر ورحمة تتألف القلوب وتسبغ عليها رضواناً من الله .

مـا ارحب صدري للدين يوم تدعوني انت بفمك الضحاك وعينيك

المشرقتين بنور الايمان فتشع عليّ نوراً احمد اليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما أقربني من روحك يا سيدي وانت تدعوني الى سبيلك بالحكمة والموعظة الحسنة فتتجاوز عن الهنات التي يفرضها عليّ المجتمع الفاسد، وتعمد الى قرارة نفسي فتسل منها نواة الشرك بالله والاضرار بالناس .

أسبغ يا أبا عز الدين على حملة كتاب الله وورثة انبيائه من زملائك ، أسبغ عليهم من هذه الابتسامة التي اذكر بها عيني حجة الله الاكبر سيدي ابي الحسن ، يوم اجالها في وجهي فشعرت ان كلتا يديه قد امتدتا الى أعماق نفسي فسلتا كل ضغن واثبتتا في صميم كياني ان الله يشرق في كل نفس يهيمن عليها مثل فمك وهو يبتسم وعينيه وهو يحدق بهما في وجه جليسه .

هذا هو الدين يا سيدي ، رأفة منك بي وحنو عليّ ثم حفاوة مني بك واحترام لك وخضوع بين يديك ، وما عدا ذلك من قيام وقعود وركوع وسجود فانما هي طرق ومذاهب تفضي بنا الى ان ترحمني واحترمك فتحنو علي واخضع لك . وهل الحياة الا رحمة ومودة تربط القلب بالقلب وتمزج الروح بالروح حتى يكون جزئي الانسان مثالا لكليه فتدل هذه المثالية على عظمة الله مبدع الكون ؟؟

الدين المعاملة، لا يغرنكم طنطنة الرجل في الليل وكثرة صلاته وصيامه ولكن انظروا الى صدق حديثه واداء امانته ، من احيا نفسا فكانما احيا الناس جميعا ، ومن اماتها فكانما امات الناس جميعا ، لان يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم ، اصلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصوم ،

من هذا واشباهه نفهم ان الدين لنا لا لله كما يتحذلق القائل : الدين لله والوطن للجميع ولو عكسنا فقلنا : الوطن لله والدين للجميع لكان الصواب في هذا العكس .

من هذه الكلمات الجوامع نفهم ان الدين ارفع من ان يعاقب على حلق لحية او لبس قبعة او غير ذلك من اشباه هذه السفاسف ويترك عقاب من يتخذ الدين شعاره ثم لا يرى من ضرورياته ان يعمد الى كل ضروري في الحياة فيدمجه فيه والى كل بدعة حسنه فيقصرها عليه ، والى كل مخترع نافع فيلونه به ، ثم الى كل ما فيه جمال وجلال من علم او ادب او فن فيقيمه دليلا على عظمة الخالق وبرهانا على سمو قدرته في المخلوق .

وبالآخرة يا سيدي ، الدين ان نعيش سعداء ، وان نسعد حتى نكون اعزة ، ولن نعز حتى نتحرر ، وان نحلم بالحرية ما لم نتعلم، ولن نظفر بالعلم الا عن طريق التضامن ، ولا سبيل لنا الى التضامن الا بالمحبة والمحبة هي عين السعادة ، فالدور اذن خير من التسلسل واقرب الى معجز العقل .

الرسالة السابعة

الجزائري

الشيخ محمد جواد الجزائري اخو العلامة الكبير الشيخ عبدالكريم الجزائري ، وهو من علماء العرب الاعلام ، والشعراء الملهمين ، وذوي الفكرة العميقة في تحليل الحياة ، والمجددين في صنفه ، ويكاد ينهد الى العقد السادس .

ايها اللوذعي الفذ

تركتني يوم زرت اخاك العلامة على شيء غير يسير من الاعجاب باسلوبك البارع ولسانك الذرب وعاطفتك الملتهبة ، وانت تتحدث الي وتكاد كل جارحة فيك تعزز خطابك وتقرر حجتك .

فالبلاغة يا سيدي ليس لهـا حد ، فهي ثورة نفسية لا تظهر في التعبير الكلامي ولكنها عاطفة تلهب الشفتين فترتعشان بما لا يفهمه الا قلب الشاعر ، او عاصفة تثور على الايدي وتموج في الاعين فيعي اللسان اعرابها وتفسر لغتها اعصاب تهتز تحت تأثيرها . وتوقع عليها النفس الحانها المجهولة في عالم الفن .

واحياناً نرى البلاغة منطقاً يسدده فكر سام وذكاء حاد وحكمة بالغة فيصدع اللسان بها السمع ويرن جرسها في القلب فتتأثر من ورائها العواطف ويسبح الفكر المصغي اليها في عالم نشعر به ولا نحسه ، هذه هي بلاغة القول واما تلك فهي بلاغة الصمت الرهيب الذي يفصح به القلب ويخرس الفم .

ذلك ما اوحاه الي حديثك وانت تسدده بفكرتك الوقـادة ولسانك الفصيح ثم بيديك الثائرتين وصدرك الجائش ونظراتك الحائرة في وجه السامع تفتش عن قرارها فيه .

فانت عالم واديب تنشد الفكرة السامية في حياتك بقلب كبير طافح

بالجديد من روائع الفكر القائم على البحث الحر والملكة الجبارة في افق حافل بالعلم الجم والادب الناضج ، حتى اذا مرت بك شاردة او واردة من هذا العالم اشربتها لونك وضممت عليها جوانحك ثم ارسلتها في الافق الخاص بك تغذي بها العقول وتنعم بها الارواح .

لقد رأيتك حريصاً على ان اعود فانتظم في سلك الفقهاء ، زاعماً ان في ذلك خيراً لي وللمسلك وان قليلا من الزمن يضمن لي وله عملا صالحاً يكون للدين فيه عز وتأييد ، ولقد سبقك الى هـذا مولانا الحجة كاشف الغطاء وكثير من زملائك الاعلام حتى شعرت ان وراء ذلك سبباً اكاد افسره ثم لا اصل الى اليقين به .

يقول لي العلامة كاشف الغطاء ، وقد اعد لي غرفـة جميلة في مدرسته الخالدة تشرف على الحديقة ، والطنافس تغطي ارضها ، وفي صدرها مكتبة تشتمل على انواع العلوم والفنون ، مجهزة بالكهرباء للمراوح والمصابيح حتى كأني في احدى غرف « ستيتلر هوتيل » من اعمال نيويورك ، يقول لي « حفظه الله » ما عليك ان تقيم في هذه الغرفـة عامين فقط ، فاذا بك من اعلامنـا الهداة تحمل شعارنا الى الآفاق ، ومهما يعترضك من مشاق الحياة فانا زعيم بمشاركتك اياه حتى كأنك انا وكاني انت ؟؟

فماذا يقول بعد ذلك من هم دون مولانا من اخواني علماء وادباء وقـد احاطوا بي طيلة الاشهر الثلاثة التي اقمتها بينهم فما كنت احسبني الا بين اهلي وفي خاصة قومي ، ما يقول هؤلاء وقد كنت فيهم كاعزهم اتلقى الحفاوة تلو

الحفاوة والتكريم اثر التكريم واكاد احلم اني في دار الخلد بما يحدق بي من نعيم وسعادة وتكاد وادي السلام تتمثل لي بضعة من الجنة بما فيها من قبور وقصور .

اخي العلامة الجزائري

ماذا وراء هذا الزي الذي تدعوني ويدعوني زملاؤك اليه ؟؟ عمة ولحية ودعوة الى الحق !! هل غير هذا شي. ؟ اعتقد انكم تحرصون على دخولي في هذا السلك لما ترون من حرمتي في نفوس الشباب المجدد وان كثيراً منهم يثقون باخلاصي ان في سوريا او في العراق ، وترون ان اثراً سيئاً في نفوس الشبان يعمل في وجه الشيوخ من اهل هذا الصنف ، إما لجمود البعض ممن يتنكرون للشباب الثائر ، واما لضلة في نفوس الشبان اعمتهم عن ان الدين شي. والداعي اليه شي. آخر فقد تؤخذ حكمة الدين بسفاهة الداعي اليه من جهلاء هذا الصنف .

انتم ترون هذا وترون من الضرورة دخول امثالي في صنفكم لاكون صلة تربط القديم بالجديد فيزول سوء التفاهم الناشيء في الطرفين بين جمود وجحود وترون ان في سابق اخلاصي للسلك الديني ثم نقمتي عليه في جانب الشباب والتجديد ، مما يؤهلني لان احمل لواء الاصلاح بين هؤلاء وهؤلاء بدافع الثقة التي احملها من شباب الامة وشيوخها .

هكذا افسر حرصكم على رجوعي الى السلك الذي انتظمت فيه منذ عشرين عاماً ثم تركته غير آسف على فراقه ولا مغتبط بالسلك الجديد الذي

انتظمت فيه ، فانا بين السلكين اشقى رجل فقه الحياة فكان فيها شهيد احساسه واخلاصه ، لا يستطيع اقناع الشيوخ بما يضمن للشبان حياتهم تحت لواء العلم المقرون بالاخلاص ، ولا هو قادر على بث الطمأنينة في نفوس الشبان الى ارعواء الشيوخ ورجوعهم عن التنكر لابنائهم ودعوتهم الى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، هؤلاء لا يرون الكفر والفسق والالحاد في كل ما ينشده الشباب من جديد ، واولئك يرون الجمود والذل والفقر في كل ما يتمسك به الشيوخ من قديم ، على ان من الفريقين من يفقه فقهي ويشقى شقائي ولكنه شاذ والشاذ لا يقاس عليه .

من لي يا سيدي اذا انتظمت في سلككم باقناع العلماء الاعلام في ضرورة تأسيس صحيفة كصحيفة الازهر تحمل الى العالم العربي تفكيرنا في الحياة ونصيبنا من العلوم والفنون ، وانتداب رجل كفريد وجدي ، للقيام على تحريرها واخراجها ؟؟

ومن لي يا اخي بان اقنعهم ان تنظيم العلم دينياً ومدنياً كالازهر، ضرورة من ضروريات الدين لنرى آلاف الشباب يتخرجون من كلياتنا وجوامعنا مضطلعين باعباء الحياة دينية وسياسية ونرى الاعلام منهم يقفون بالسنتهم واقلامهم سداً حائلا بين الشباب الملحد المسمم وبين الاخلاق التي تحمدها الى التوحيد في الاسلام ؟؟

ومن لي اذا دخلت في جامعتكم باقناع المرجع الاكبر ان لا يجيز بالفتوى والاجتهاد الا من يطمئن الى علمه الصحيح ودينه القيم على السنة

خواصه ومستشاريه الموكول اليهم فحص المتخرج من هذه الجامعة ثم يعلن اسمه في الصحيفة الخاصة بنا بعد ان تكون الصحيفة قد اعلنت ان ثقة المرجع مسلوبة من كل من ينتمي الى الجامعة الدينية بشكله وعقله ثم لم يحمل هذه الاجازة .

ان في هذا العمل درأ لكثير من الاخطار التي تتهدد كياننا العلمي والاخلاقي من فوضى الاجتهاد التي بثمت فينا كثيراً من الهيا كل محسوبة على النجف وهي لا تصلح لرعاية البهائم بله الاناسي واراني والله مضطراً لمجاملة كثير من هؤلاء . وانا اعلم انهم اشدضرراً علينامن اعداء . الدين الذين يسممون افكار الناشئة تحت ستار العلم الحديث .

فماذا تريد مني يا سيدي بالعود الى سلككم ؟؟ أتريدني ان اكون واحداً من هؤلاء . الذين يعيشون ليأكلوا ولا يفقهون من فقه آل محمد الا الصلوة في مسجد او على جنازة ثم لا يحرزون المنطق الذي يدركون به حكمة الصلاة والصوم ولم كانت الصلاة جماعة خيراً منها فرادى ، ولم كان الامام افضل من المأموم ؟؟

أتدعوني يا سيدي لاكون واحداً من هؤلاء . الذين يدعون الى الصلاة ولا مسجد لهم الا ما اكل الدهر عليه وشرب من خربات يمرح فيها الجرذ ، ويدعون الى العلم ولا مدرسة لهم الا كتاتيب يدرس ابناؤهم فيها على معلمين لم يفقهوا من العلم الا انه دروس خرقاء . تلقن في بيت قذر وعلى بواري محشوة بالقمل والبراغيث وبين جدر مشيدة بنخام مايلفظه الانف والفم ، واذا قام بين

اظهرهم معهد للعلم الحديث قائم على النظافة والاتقـان تنكروا له فقام على التدريس فيه من يتنكر لهم ويربي الناشئة على مقتهم واحتقار ما يتسمون به من شعار ويتسبون اليه من مبدأ ؟؟

من لي ايها المفضال ، اذا كنت منكم وفيكم بقلبي وقالبي ، من لي بان اقنع المرجع الاكبر ان يعنى وحاشيته بالنجف خاصة التي هي رمز الشيعة وهدفها ومرآتها وعنوان طائفة كبيرة من امة محمد ، فيعصمها من الشوارع الضيقة المظلمة والحمامات الموبوءة والحياض المتعفنة وان يكن هذا او بعضه من عمل الحكومة ولكن الحكومة من الشعب والشعب مسؤول عما تسأل عنه الحكومة احياناً كثيرة .

ولكم كنت متألماً حين ملأت مضجعي طوال ليلي يوم زرت النجف وعلمت بزيارة السفير الاميركي لها وطوافه في شوارعها وهي في معتقده تحمل اسم الشيعة الاكبر ويقطنها رئيسهم الروحاني الاول ، فهي بمنزلة الفاتيكان في اوربا ولعل سلطتها اوسع من سلطة الفاتيكان ان اعتبرنا السلطة في جانب الروح اقوى منها في جانب المادة ، والا فالفاتيكان يهز العالم بما لو صدر عن النجف لم يشعر به احد .

ولكم جال في نفسي هول هذه الزيارة وما تجره علينا من عار فأقلقني حتى اصابتني نوبة عصبية شعرت على اثرها بحمى اثقلت اعصابي وهدت مفاصلي وكم تساءلت ونفسي عما يحدثه مرأى هذه المدينة التي هي عاصمة. ستين مليوناً من العالم الاسلامي ، في نفس هذا الزائر الاميركي الذي نشأ في افق

زاهر بالمدنية ؛ وفي محيط اسمى مما يتصوره العقل روعة في الفن وجلالا في النظام ؟؟

واذا مر في شوارع النجف بالمياه المنزوحة من الحياض المتعفنة والروائح الكريهة تنبعث منها وعلى جانبي الزقاق وفي وسطه كثير مما يكبر القلم عن ذكره والاطفال التي تملأ الازقة بعريها وقذارتها وضجيجها بلغة تستك منها المسامع ويذهل العقل ثم لا نرى ممن يذرع هذه الازقة ليل نهار انكاراً لما يسمع ويبصر وهو يعقل ويفكر .

والحكومة العراقية لم تقصر في تهذيب هذا المصر فقد خطت بلدة خارج سور النجف على احدث طراز واسمتها بالنجف الجديدة ، واباحت للاهلين شراء قطع منها كانت حكومة الترك قد حجرتها ، ففي اسرع من عشرة اعوام انتظمت فيها الشوارع الحديثة وبنيت على حافاتها القصور الفخمة وتمثلت فيها المدنية بين الحدائق الزاهرة والمعاهد الحافلة بروائع الفن وشيدت المدارس داخلية وخارجية ، ورغم ذلك كله لا يزال شيوخنا يعتصمون في النجف القديمة ، واذا شاءت الحكومة تجديد ما رث منها وتنظيم الفوضى السائدة في شوارعها قامت قيامتهم في وجه هذا التجديد فحالوا دون شمسه ان تنير ذلك الافق المظلم .

تعال نتشاكى يا اخي ! !

ما الذي يوجب علينا ان نكون كذلك ؟ ؟ وفي متناول ايدينا ان نضاهي غيرنا ، فقد ، والحمد لله ، اوتينا ما اوتي هذا الغير ، من عقل ينتظم

الملايين من البشر كعقل الحجة الاكبر مد الله بحياته العلم والاخلاق ، ومن فكر يدرك الحياة ادراكا سامياً كفكر العلامـة الحجة كاشف الغطاء وكفكر العلامة الزنجاني وفكرك انت ، واوتينا اضعاف ما اوتي غيرنا من ايمان بالحق وثقة بانه ناموس العمل الصالح في الحياة ، ومن قلوب جبارة في الصبر على المصائب وتذليل الصعوبات في طريقنا الى الغاية المنشودة لنـا في صميم الوجود .

لقد اوتينا يا سيدي اضعاف ما اوتي غيرنا من عوامل المدنية ووسائل العلم ، فما بالنا نمشي بطاء على هذه الارض كأن الشاعر يخاطبنا وحدنا حيث يقول : «خفف الوطء ما اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد» ما بالنا نبطىء والناس تسرع ، بل ما بالنا نزحف تحت الحضيض والعالم باسره يخترق الهواء الى حيث يشرف على الحياة ؟؟؟

شيء واحد يا سيدي ، يكشف عنا هذه الغمة ويمشي بنا في عداد الامم هو : ان نفقه الحياة قبل الموت وان نعمل للدنيا قبل الآخره لان الموت غاية الحياة والآخرة غاية الدنيا ، بذلك يأمرنا الدين وليس الدين ان حققنا سوى نظام يصلح دنيانا بما تصلح به آخرتنا فان اهملناه خرجنا من هذه الحياة عارين :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

لقد شطح بنا القلم فجزنا الحد الذي رسم لنا البحث او كدنا نجوزه ، نعم ايها الفاضل ان انخراطي في سلك علماء الدين امر سهل ولكن العمل للغاية منه امر شاق علي وانا في زي اهل هذا السلك ، للأثر السيء في نفوس

الشبيبة من بعض الشيوخ .

فقد نستطيع ان نمحو هذا الاثر ونحن في زيهم اكثر مما نستطيع محوه ونحن في زيكم ولو سألت ، ولعلك فعلت ، عن عملي في بيروت وجبل عامل واميركا وافريقيا بين قومي المهاجرين لبلغت الاقتناع بصحة هذه الدعوى . ففي بيروت اليوم ما لا احب ايراده لـك مفصلا حتى تسأل ، من الآثار التي اقمتها في سبيل الحق ونصرة الدين القائم عليه، ما يقنعك بضرورة بقائي فيما انا عليه من شكل وعقل وحسبنا من البحث في هـذا الموضوع ان نقف عند هذا الحد .

وبعد فيعجبني فيك دقة الملاحظة وانت تصغي الى القـائل ثم يتخلل اصغاءك شيء من النقد او التقريض وفي شعرك اسلوب دلني على انه وليد فكرك اكثر ممـا هو وليد عاطفتك وتعتمد في اخراجه على العلم لا الفن ومصدره فيك الحكمة لا الوحي .

ولهذا كنت في معـارضتك للطلاسم دون ناظمها لانه نظم فكرته بعاطفته الالحادية ونظمت انت بمنطقك دفاعـا عن معتقدك ، فكان وهو ينظم فكرة لم يخلقها ، انما يشعر بشعوره الخاص ، وكنت وانت تحـاول فكرة منطقية في رده ، بعيداً عن التأثر العاطفي لان حواسك الباطنية مغمورة بعقلك الذي كان يرتب القضايا المسلمة بين يدي فكرك الخالق ، لهـذا كان اشعر منك وكنت احكم منه ، وكان في طـلاسمه شاعرا يقلد مفكراً وكنت انت في ردك مفكراً تقلد شاعراً .

فليكون النظم شعراً يجب ان يعتمد على العاطفة والاعصاب اكثر مما يعتمد على الدرس والفكر، اما ان يكون وليد الفكر المحض فهو ثقيل على الروح يمجه الطبع وترزح العواطف تحت عبء ثقيل من قيوده لخلوه من الوحي والالهام اللذين هما سلكان يوقع عليهما الروح الكلي لحنه الاول .

والفكر انما يؤدي رسالته بالقول المرسل ليسهل تناوله على الحواس وتلقينه العقل بالطريق السهل ولهذا كان العمق في المعنى المنظوم حكمة لا شعراً، فالمعاني الشعرية، على جدتها وروعتها، سهلة تتلاءم والروح التي تنشدها من وراء الموسيقى، فالشاعر يعتمد العاطفة اولا وبالذات، والعقل ثانياً وبالعرض واما العالم فيعتمد العقل اولا وبالذات والعاطفة ثانياً وبالعرض لضرورة الادب في العلوم بدافع التلازم بين الروح والعقل، فالصادر عن الروح يشترك العقل معها في اصداره، وهو الفن، والصادر عن العقل تشاركه الروح في ذلك الاصدار وهو العلم، اما ان يصدر شيء عن العقل المحض او العاطفة المحضة فيكاد يكون في عالم العدم

اذا كان الجسم يتأثر بما تتأثر به الروح من الم او لذة وكانت الروح تتأثر بما يتأثر به الجسد من لذة او الم للتلازم الازلي بينهما في عالم واحد وتحت كيان واحد، اذا كان ذلك كذلك صح معنا القول بان ما تتأثر به العاطفة يتأثر به العقل فيشاركها في الفن الذي هو من خصائصها في عالم الطبيعة، كما ان ما يتأثر به العقل تتأثر به العاطفة فتشاركه في العلم الذي هو من خصائصه في عالم الانسان للتلازم الازلي بينهما في ظل هذا الوجود

ففي الشعر الذي هو وليد العاطفة قواعد واصول وانظمـة هي من آثار العقل ، وفيه جمال وخيال هما من وحي العاطفة ، وفي العلم الذي هو وليد العقل جمال التعبير وبراعة الاسلوب وسحر البيان هي من وحي العاطفـة ، وفيه بحث الحقائق وتقريرها وسمو التفكير في اكتناهها وبعد النظر في تناولها من قلب الطبيعة الزاخر بعجائب الكون وهذا كله من آثار العقل

فليس للعقل وهو يبحث الحقائق وينشدها في قلب الوجود غنى عن العاطفة التي تلون اثره بجمال الفن لتتغذى به الروح ، وليس للعاطفة وهي تلهم اللسان او اليد هذا التلوين غنى عن العقل الذي يمسكها في ثورتها خشية ان تطغى على الانسان بالفوضى المطوية في قلب النظام الطبيعي

وعلى هذا فليس في طوق الانسان الكامل مثلك ، اي الجامع بين العقل والعاطفة ليقترن بهما حينما ينتج ، ليس في طوقه ان يفهم لغة العقل المستقل عن العاطفة بما يحقق ، ولا في طوق هذا الانسان ان يفهم لغة العاطفة المستقلة عن العقل فيما تلهم

ومن ذلك كله يتحقق لدينا ان الفنون مطوية في قلب العلم كما ان العلوم زاخرة في بطون الفن ، وعليه يمكننا القول : ان لكل علم فناً مسبغاً عليه ولكل فن علماً قائماً فيه ويستحيـل على كليهما ان يستقل عن الاخر ضرورة انهما صادران عن هذا الانسان المسير في الحياة بعقله وعاطفته

هذا ما احببت ان اختم به رسالتي اليك جواباً عن بحثك الدقيق في المجلس الذي ضمنا معاً وكنت فيه معجباً بما سمعته من ديوان حواء ، وعسى ان اعود للبحث معك بشكل اوسع يوم اعود لزيارتك في وادي السلام انشاء الله .

الرسالة الثامنة

الرشتي

الشيخ عبد الحسين الرشتي من علماء الشيعة الامامية ، ولد في مدينة رشت من اعمال ايران ثم هاجر الى النجف منذ خمسين سنة ، وهو من العلماء الاعلام ، تخصص بعلم الحكمة « المنطق » فبرع فيه ولا يزال وهو في العقد الثامن موضع احترام الباحث في هذا العلم .

ايها العبد الصالح !!

لقد علمتني بشكلك وعقلك كيف يكون المتصوف الحكيم ، ودللتني بتواضعك وهدوئك على اقرب طريق يصل الانسان به ربه ويشرف على الكون باسره وهو مطرق لا ينفك عن التحديق الى الارض .

نعم دللتني بهذه النفس الترابية وهذا الصوت الخاشع وتلك النظرات الحائرة بين وجه مخاطبك وبين موطأ قدميك ، دللتني على ان الحياة اقرب ما تكون من التراب وابعد ما تكون عن السحاب ، ففي موطأ اقدامنا كنه حياتنا واما هذه الشهب وتلك الصواريخ التي تتلمس الحياة في محاولة الصعود اليها والاشراف عليها فهي مصادر الجهل الذي لا يزال يغشي البصائر ويعمي الابصار .

يا لله ، ساعة اجلس اليك فيها فما ترفع الي رأسك الا بضع لحظات لولاها افاتني انك ذو عينين وان ادركت ببصيرتي انك ترى وتسمع ما لا يرى ويسمع امثالي من هؤلاء الناس الذين يجهلون موطأ اقدامهم بينما نرى ابصارهم تجول في الافق ليصلوا الى ذات الله مبدع الكون ???

ولكم كنت معجباً بسمو فكرك وبعد نظرك وانت تجيبني عن تلازم الجسد والروح والحقيقة والخيال ، في علمي النفس وما وراء الطبيعة .

ففي النجف كثير من هواة هذه العلوم وقـد زرت اكثر من واحد وبحثت معهم فوقفت عـلى رؤس مليئة بالحكمة وقلوب طافحة بالرغبة في البحث عنها وراء الطبيعة وفي مكنونها ولكن الرأس الذي وسع كل مـا يجول في نفسي حتى كاني كنت اعزل بين يديه انما هو راسك ايها الحكيم المفكر ، ولم يكن هذا الرأس ليسع تفكيري ويزيد عليـه بعينيه اللتين يصعدهما في الافق او يحدق بهما الى وجهي ولا بلسانه المرن الجذاب المتمكن من علمي اللغة والبيان ، ولا بيديه اللتين يقلبهما في الهواء بشكل بهلواني وهو يصور الحقائق ، كلا لم يكن هذا الدماغ المفكر ليسع كل ما تضطرب به نفسي من اسرار الطبيعة بشيء مما ذكرت ، ولكنه يسع هـذا وذاك بالسكينة الشاملة والهدوء السائد والخشوع المهيمن عليك ومن وراء ذلك امعان في تلمس الحقائق واخلاص في تناولهـا من قلب الطبيعة ثم في بحثها وتقريرها في نفس السامع .

انا معك يا سيدي في ان الروح انما تتغذى بغير ما يتغذى به الجسم فهي تتغذى بما يشاكلها رقة ولطافة وهو يتغذى بمـا يشاكله خشونة وكثافة ، وبين الغذائين تلازم يكاد يستحيل معه تمييزهما بعضاً عن بعض كالتلازم الكائن بين الروح والجسد حتى ليكاد يستحيل امتياز احدهما عن الآخر .

وانا معك في ان غذاء الروح يهبط اليها ملائماً لغذاء الجسم الذي يصعد اليه ، فكل غذاء يتقوم به الجسد له اتصال بكيفية وكميـة الغذاء الذي تتقوم به الروح ، يتلون ذاك بشكل هذا ويتشكل هذا بلون ذاك ، وإنني

تحقيق هذه الصلة بين الغذائين وتميز كليهما عن الآخر جهداً شق على الفكر من التحقيق في الصلة بين الروح والجسد .

فعلى الانسان اذ يمد يده الى الارض ليتناول غذاء لجسمه ان يفهم ان روحه في تلك اللحظة تتناول غذاءها من عالمها بشكل يتفق مع غذاء جسمه في اشياء لها اثرها البالغ في عالمي الروح والجسد ، ضرورة ان الثابت لدينا تغاير الروح والجسد ، وانها تبقى بعد فنائه فلو كان غذاء الجسم هو عين غذاء الروح للزم فناؤها معه بانقطاع الغذاء عنها وعنه معاً .

فللروح اذن غذاء خاص يبقى ببقائها ، وهل هو هذه اللطائف من العلوم والفنون الباقية ببقاء الكون ، ام هو شيء آخر لا ندركه الا بها بعد فناء الجسم اذ تتميز بعده فيتميز غذاؤها معها ؟؟ لا ادري الا ان كل ما يقرر الفكر انما هو حدس لا يفارقه الشك ولا يزايله الارتياب .

اتفقنا على هذا ايها الشيخ الحكيم ولكني كنت معك صلباً الى حد العنت في ان الخيال شيء غير الحقيقة في حقيقة الواقع ولم نصل في بحثه الى حد يقتنع فيه احدنا بصحة نظرية الآخر لذلك ختمت رسالتي اليك بتقرير بحثي واثبات صحة ما اقول به :

الخيال الخفيف

وضع المنطقيون مصطلحات لعلم الحكمة بنوها على المنطق الذي يدركه المعقول فقالوا في الموجودات انها واجب وممكن ومستحيل وجعلوا من المستحيل ما يمكن تصوره ويستحيل وجوده كاجتماع الضدين وتصور الشيء

اثنين فلزمهم من ذلك وجودان الاول مقره الذهن والثاني مقره الخـارج ، ولزمهم في النهاية ان الوجود الذهني اوسع من الوجود الخارجي وان الانسان الذي هو مظروف الوجود قد يزيد على ظرفه حيناً ما .

فما هو هذا الانسان بالنسبة الى الكون ؟ ؟ هـل هو جزئي ، فيه ما في كليه وزيادة كزيد مثلا فيه ما في كليه الذي هو الانسان وزيادة فيقال ان في زيد انسانية كلية وشخصيته التي لا وجود لها في الانسان الكلي كما يقال ان في الانسان الذي هو جزئي من العالم الكلي ، عالمية كلية مضافة الى خصائصه التي لا وجود لها في العالم ؟؟

فحيث يصدر عن الانسان الواجب والممكن يندرج بهما تحت كليه وهو العالم او الوجود او الكون وحيث يصدر عنـه المستحيل ينفرد عن الكلي ويزيد عنه به، هو الانسان هو هذا ؟ ؟

ام هل هو بالنسبة الى الوجود جزء منه فيه بعض خصائص الوجود ويفضله الوجود ببعض آخر كالجـدار الذي هو جزء بالنسبة الى البيت الذي هو كل يشتمل على الجدار وعلى غيره من الاجزاء التي يتألف منها ؟؟

لا ارى فيما اتصفح من ظواهر الوجود ما يثبت لي او يشير اشارة ما الى ان الانسان يفضل الكون الذي هو فيه ضرورة انه محاط بالكون وهذا الكون مشتمل عليه وعلى غيره مما يتصل به وينفصل عنه .

فلو اثبتنا ان الانسان يتصور ما لا يمكن وجوده في الخارج وهو المستحيل للزمنا القول بان في الانسان ميزة على الوجود الذي هو «اي الانسان» في حيزه ومعلول

له الا ان يكون الله غير الكون ، وقد بث في الانسان الذي هو وليد الكون نفحة علوية يمتاز بها عن الكون وهذا بعيد عن المنطق الذي يثبت ضرورة كون الانسان جزءاً من الكون وان الجزء لايمكن ان يفضل الكل اذ هو في حيز هذا الكل .

ولا يمكن ان نتصور كون الانسان جزئياً للوجود والوجود كلياً له قياساً على زيد الذي هو جزئي لكليه الانسان ، لان زيداً يشتمل على الانسانية التي هي جماع الانسان ويزيده بالحيوانية التي تشتمل على الانسان وزيد معا فالانسان يشكل جزءاً من الكون الذي يتألف منه ومن غيره لا انه جزئي له يشتمل عليه وعلى الالوهية التي تتركب منه ومن الكون .

في علمنا نقص الانسان عن كثير من اجزاء الوجود يثبت لنا ان الانسان جزء منه وفي اعتقادنا ان في الانسان زيادة على الوجود كتصوره المستحيل يثبت لنا ان الانسان جزئي له يتضمنه ويفضله .

والذي احاول الكشف عنه في بحثي هذا انما هو اثبات كون الانسان جزءاً من الوجود خاضعاً لنظامه بكل ما فيه من تصور او تصديق والذي يشكل علينا في اثبات هذا الحكم هو صدور المستحيل عن الانسان فالمستحيل ، على ما يقرره المنطقيون ، موجود في ذهن الانسان ومعدوم في خارجه اي في الكون وسأثبت الان فساد المنطق القائل بان الانسان يتصور ما يستحيل وجوده .

١ – ان الانسان كلما ترقى بفكره ادرك من اسرار الوجود ما لم

يمكن يدرك من قبل وفي هذا دليل على ان الانسان اصغر من الوجود .

٢ — ان الانسان يتلاشى في الوجود فالوجود اذن ابقى منه واخلد ولو كان خلوده هذا نسبياً بالنظر الى الانسان .

٣ — ان الانسان مظروف للكون والكون ظرف له بدليل انه لا يستطيع ان ينفذ منه بتفكيره مهما دق فكلما اكتشف حقيقة منه غشيته حقيقة اخرى ادق واعمق .

٤ — حيث يرى الانسان ان دونه عوالم خاضعة لارادته كالجماد الذي يكيفه والحيوان الذي يصرفه، يرى ان فوقه عوالم يخضع لارادتها فهو يتكيف بها ويتصرف لها .

٥ — يكفي في ان الانسان جزء متمم للوجود لا نسخة عنه ، انه مسير لا مخير وانه لا يستطيع تنفيذ ارادته كلما شاء. ثم هو لا يستطيع وقف تنفيذها في كثير مما تشاء .

فالانسان على هذا كله جزء من الوجود لا يستقيم بذاته منفصلا عنه وانما هو مع غيره مسخر لتأليف هذا الوجود فهو بالنسبة الى الوجود ناقص ، فوجود صفة في الكون زائدة على الانسان امر ثابت يقرره عجز الانسان عن ادراك كنه الكون واما اتصاف الانسان بما يزيد على الوجود فهو محل الاشكال :

يقولون قد يتصور الانسان ما لا وجود له في العالم ويسمونه مستحيلا وقد يطلقون عليه اسم الخيال كتصوره الجن مركباً من الانسان والحيوان

وتصوره اجتماع الضدين ثم يفتشون عن هذا التصور في الخارج فـلا يجدونه متحققاً فيحكمون باستحالته ويثبت لديهم ان في الانسان صفة يفضل بهـا الوجود وتتحقق بينهما نسبة الجزئي الى الكلي .

ارى ان كل ما يقررونه من الممكنات انمـا تقرر بدافع التربية التي اتخذنا بها انفسنا منذ الازل فلم نكن لنسمع او نبصر الا بما استقر في نفوسنا من اننا نسمع ونبصر وعلى مقدار تربية هذا المقرر في الذهن يكون اثره في الخارج شدة وضعفاً فعندما يتقرر في ذهني ان الجن جسم مركب من الانسان والقرد ثم امر بمكان موحش من الانس وقد سبق لي ان سمعت بوجود جن في هذا المكان ولم أوت ملكة العقل البالغ، تضافر الوهم والخيال والخوف على تحقيق ما تقرر في ذهني فرأيت الجن بين يدي اشكالا تتفق والشكل الذي اتصور ثم سمعت اصواتها تغاير اصوات الانس ولعـلي اذا ازددت خوفاً وتوهماً المس اشكالها والتحدث الى افرادها حتى كأني عالم لاهو الى اليقظـة ولا الحلم استطيع معه أن انقل بعـد خروجي منه قصصاً يسخر منها من لم يتقرر في ذهنه شيء من ذلك وينسبني الى المس .

ولعلي افقد بذلك عقلي فاستمر في هذا العلم التحدث الى افراده واعيش معهم بكل ما في الحياة من حس كما يفعل المجنون او المحموم بينما انا في عالم يشتمل علي فيدرك ما انا فيه ويعمل عـلى رجوعي اليه بشتى الرقى والعقاقير وقد لا يجديه ذلك فامضي في عالم غيره .

يقولون : كيف يمكن تحقق الشيء الواحد اثنين في الخارج كما يتصوره

الانسان في ذهنه ؟ وهم يعلمون ان الاحول يرى الشيء اثنين فهل لو خلق الله الناس كلهم حولا يعود المرء فيرى من المستحيل ان يتحقق الاثنان واحدا في الخارج كما يتصوره في الذهن ؟؟

فالانسان بمقتضى تركيبه الخاص ومزاجه الخاص يرى الشيء واحدا والشيئين اثنين ويميز الالوان كما هي مقررة في نفسه ويسمع الاصوات مختلفة الجرس متنوعة النغم ثم هو يتذوق الاطعمة ويميز باللمس ويشعر بعقله الواعي . فاذا اختل نظام حياته وتركيب مزاجه ابصر خلاف ما كان يبصر وسمع غير ما كان يسمع وهكذا اصبح لا يميز بين ما يلمس ويتذوق فيرى الخشن ناعماً والناعم خشناً ويذوق الحلو مراً والمر حلوا ، اصبح انساناً آخر فكان حقاً على الحياة التي كان يحياها ان تتبدل وعلى النظام الذي كان يخضع له ان يتغير .

فالانسان يعيش بما يتقرر في نفسه ولن يتحجر هذا في الخارج الا بوهم الخيال او اعتقاد العقل وكل انواع هذ المتحجر الموزعة على الحواس ترجع الى اصل واحد لطيف يتكاثف بمقتضى حاجة هذه الحواس لتكاثفه فهو يتكون ويتلون على مقدار احساس الانسان فكلما سما احساسه لطفت هذه القوة المرنة حتى تصبح محسوسة بروحه فقط ويكون هو اذ ذاك في عداد الملكوت .

وكلما انحط الانسان باحساسه تكاثفت هذه القوة بين يديه فلا يسمع الا الصارخ ولا يبصر الا الشاخص حتى كأنه في معزل عن اسرار الطبيعة

التي تتراءى للعين بلا لون وتسمعه الروح بلا اذن ويشعر بها القلب دونما حس ولا همس .

افلا يرون ان الصوفي يلمس الجمر ولا يحترق ويمشي على الماء ولا يغرق ، وان الشاعر يحلق في الافق بلا جناح ويحدثك عن المستقبل بلا تمويه ، وان المكتشف يرى النور وهو في الظلمة ويتحسس الحركة وهو في سكون شامل ؟؟

كل معجزة يقوم بها الصوفي ، وكل حقيقة يشير اليها الشاعر ، وكل جديد يكتشفه العالم انما هي قوة في قلب هذا الكون ولعلها هي الكون عينه تتلون وتتكون بما تقرره الطبيعة في قلب الصوفي وروح الشاعر ودماغ العالم

تقرره الطبيعة في نفسه بلونه وشكله فينعكس في الخارج على مثال نواته في الذهن فهو في الخارج ظل يزول بزوال اصله ويعود كل شيء الى القوة اللطيفة التي هي النور مرئياً بالعين والقلب

على اني لا اريد ان احقق كنه المقرِر والمقرَّر فاني سر من اسرار هذا الكون محدود به، ولكني اقول بتفاعل هذه القوة وتدافعها فكل جزء منها يتأثر بالجزء الاخر وينفعل به فالحركة الكلية قائمة في ذات الكون وليس في طوقي ان احيط بها وهي تسيرني وتملك علي ان اشعر او افكر بغير ما توحيه من الهام ذاتي

ارأيت كيف نسمع في السير من ان المؤمن في الجنة يتناول الفاكهة كما يشتهيها فهي تتكون ثم تتلون بمقتضى ارادته ، وقد يمد يده الى الثمرة او الزهرة ويشاؤها جارية بكرا فتتفتق اكمامها عن حورية لم ير مثلها من قبل ؟؟

ارأيت هذا وامثال هذا مما نسمع ونقرأ عن شيوخنا فنعزوه الى العقل الساذج والفكر السقيم ، او الى العقل المصلح الذي يخدع الناس بالوهم ليسيطر عليهم ويصلحهم عن طريق الوعد بما يحبون والوعيد بما يكرهون ؟؟

ارأيت ان هذا هو الحق بعينه وان العقل الذي يشير اليه هو العقل الاول الذي سما به التفكير الى عالم الروح فادرك ان الارادة اذا رافقها الاعتقادُ المبني على التجرد والاخلاص هي التي تكوّن القوة العليا كما تحب وتلوّنها بما تشاء ؟؟

فاذا مشى المسيح على الماء فقد مشى حقيقة عليه واذا سبح الحصى بين يدي محمد فقد سبح حقيقة بين يديه ، واذا بلغك مثل هذا عن امثال هؤلاء فقل انه الحق لان الحجر والماء والانسان والحصى كل ذلك من اشكال الحياة والوانها التي تعرض الوجود وفقاً للرغبات التي تتفجر في قلبه ويجيش بها صدره

ان رجال التجرد كالانبياء والصوفيين تسمو بهم الروح عن تصور المادة متحجرة كما يتصورها من هو دونهم في الحياة وخلص بهم التجرد الى عالم لم تسيطر عليه التقاليد الراسخة في النفوس والتي قررها الازل منذ آلاف القرون في اعماقها حتى تحجرت فجاءت قوى الكون اللطيفة مكيفة ومحولة عليها .

هؤلاء النفر عمدوا الى نفوسهم بما اوتوا من حكمة فغسلوها من المادة الغليظة حتى لطفت فظلوا ينظرون الى الحقائق بعين لا ترى في الحجر ميزة الكثافة على الماء ولا في الماء ميزة الرطوبة على الهواء وانما ينظرون بعين تتحرى الحقيقة الاولى التي تنفعل بالحجرية فتكثف وبالهوائية فتلطف فهم اذ ذاك

اخف من الهواء والطف من الماء ، هم روح مجرد يتسرب في الاجرام ويتغلغل في الاجسام وتظل عيون هؤلاء الماديين المطبوعين بطابع القدم ، تظل عيونهم تبصر اولئك بشراً امثالهم يأتون بالمعجزات التي ينحط عن دركها تفكيرهم وتقف عند حدودها عقولهم .

واذا الشاعر الملهم اشار لك الى النار في قلب الماء والى النور في قلب الظلمة فقد رآهما حقيقة ولكن بعين تلمح احياناً حرارة الكهرباء في الماء وتبصر وميض الروح في الظلماء .

ليس هنالك مستحيل فيما يتصور العقل ولكنه مستحيل فيما تمارسه الجوارح حتى اذا ألف العقل وجود المستحيل الذي نتصوره ونشير اليه بالوهم او الخيال عوّد الجوارح على تلمسه فكان بعد حين ، وان طال ، حقيقة متحجرة يقررها في النفس ويعمد الى تحجير غيرها من المستحيلات

ان للمجنون عالماً مستقلا به وللمحمى عالماً مثله وللحلم عالم آخر كعالم اليقظة حتى اذا تلاشى هذا الجسد عادت الروح تعد عالم اليقظة واحداً من هذه العوالم .

انا في الحلم مثلي في اليقظة اسمع صوتاً وارى شخصاً والمس جرماً ثم لا احسبني في عالم غير عالمي ، وهكذا اجدني وانا محموم او مجنون ، كما اجدني وانا متخيل او واهم ، في عالم يستقل بي وتحول بيني وبين غيره من العوالم ثقة النفس به وقصر الحواس عليه .

الارادة اولا والجوارح اخيراً ، تحجر الارادة قوى الطبيعة فتكونها كما

تشاء وتلونها بما تحب ، وتألفها زمناً ما حتى اذا املت هذا الشكل وذلك اللون عمدت الى بعث الجوارح وفق الرغبات فراحت تجدد بها تكوين هذه القوى المحجرة وتلوينها كما تحب .

فانا اذ انظر الى المناضد والمقاعد اكاد المس اليد التي حوات الشجر الى هذا الشكل الفني ثم لونته بما يبهر العين ، واذ اعود الى الشجر فانظر الى الثمر الذي اتغذى به والظل الذي افيء اليه اكاد اشعر بالارادة التي سبقته فحوات اللطيف الى كثيف والسائل الى جامد .

لا افهم ان في العالم شكلا ولوناً وجرساً يشغل حواسي لو لم اتوجه بارادتي الى رؤية المرئي وسماع المسموع ، فقد اكون بجسمي بين الناس يتراؤن بما لا ابصر ويتناجون بما لا اسمع اذ تكون روحي في عالم آخر ترى غير اشكالهم وتسمع غير اصواتهم وقد انفذ الى ما اريد التحسس منه بغير آلة الحس فاسمع بغير اذن وارى بغير عين والمس بغير جسم ويكون طريق الاحساس اليه الاعتقاد او الوهم .

حدثني احد اصدقائي الذين اثق بهم انه كان لا يستطيع القراءة دون زجاج مكبر يلبسه عينيه وكان قد تعود المطالعة قبل النوم بضع دقائق وهو مستلق في فراشه ، وكان أن همّ بالمطالعة ليلة ما فلم يجد « المنظار » وحاول ان يقرأ بعينه المجردة فلم يفلح وكان قد وضع منظاره في جيب معطفه فعمد الى دولاب ثيابه والبسها عينيه ثم رجع الى فراشه فطالع ما شاء ثم اغفى .

وما كان اروع ما دهش له ان وجد المنظار عند الصباح بلا زجاج ووجد

ان زجاجتيه لا تزالان في جيب المعطف وانه كان يطالع بعينيه المجردتين وان اعتقاده بوجود الزجاج في اطار المنظار هو الذي جلا بصره وجعله يتبين الحروف التي لم يتبينها منذ سنين الا بالمنظار وفي رابعة النهار ٠

فبارادتي احس وبها افقد كل حس وهي مصدر كل فكرة تنبثق مني وكل عمل يصدر عني ثم هي بعد كل هذا من فعل الطبيعـــة في نفسي فهي انفعال اذن لا فعل ٠

كيف يتكون في الذهن ما لا وجود له في الخارج ؟؟

في حيز هذه النفس جهاز روحي تحركه أشعة القوى الكونية الكامنة وراء التيار الكهربائي المكلوء بها ٠

هذا الجهاز الروحي توقع عليه الحياة خطرات الافكار السابحة في الاثير كما توقع الاصوات على جهاز الواحي ، فكما ان جهـــاز الواحي آلة تلقط الصوت من التيار الكهربائي فتقرع به الآذان هكذا نرى جهاز الدماغ آلة تلتقط الافكار من التيار الروحي المهيمن على التيار الكهربائي فتخزنها في النفس او تبثها في عالم الفكر ٠

وأوضح من ذلك : ان التيار الروحي الطف من التيار الكهربائي وهذا الاخير الطف من التيار الهوائي والتيار الهوائي الطف من التيار المائي فكلما كثف التيار كان اقوى على حمل ما في الكون من اجرام ٠

فالماء يقوى على حمل البوارج التي لا يقوى على حملها الهواء والهواء يحمل المناطيد التي لا يقوى على حملهـــا الكهرباء والكهرباء تحمل الاصوات التي

يضعف عن حملها التيار الروحي فكلما لطف الجرم احالته الحياة الى التيار الخليق بحمله .

ولعل الفكرة التي تنفذ الى عالم الروح من عوالم كثيفة تحدق بها ، لعلها اقوى من الصوت الذي ينفذ الى عالم الكهرباء ويقف عنده ، ثم نرى هذا الصوت اقوى من الغاز الذي ينفذ الى عالم الهواء ثم لا يتجاوزه ، ونرى اخيراً ان الغاز اقوى من الاجرام التي لا تنفذ الى عالم يحيط بعالمها الكثيف فكلما لطف التيار اذن كان اشد قوة ، من ذلك نصل الى ان الماء اقوى من الجماد لانه يحيط به والهواء اقوى من الماء لانه يحمله والكهرباء اقوى من الهواء لانها تشتمل عليه وتتغلغل فيه والروح اقوى من الكهرباء لانها قوة القوى ومصدر الاشعة الخفية المهيمنة على الكون باسره

الاثير مادة الحياة في الكون ومصدر الحركة فيه ولعله القوة الاولى التي تهيمن على انظمة الوجود فكلما تكاثف تقيد حتى اذا تلاشى المتكاثف منه تفككت قيوده واصبح مطلقاً ، والمطلق اقوى على الحياة من المقيد واجلد ، فالمقيد في حيز المطلق والمطلق محيط بالمقيد فهو قائم عليه ومتصرف به

واذا كان الاثير يتفاعل بما فيه من اجرام ظاهرة وخفية وفق نظام لا يدرك العقل المحدود كنهه ، كان حقاً على كل جرم فيه ان يتأثر بهذا التفاعل لان كل جرم مهما حقر فانما هو جزء من ذلك الاثير المالىء فضاء الكون

وهذا التأثر الذي ينال الجرم من تفاعل الاثير لا يختص به جرم دون آخر ولكنه يختلف شدة وضعفا باختلاف الجرم كثافة ولطفا ، فاجهزة

الواحي او الهاتف او الحاكي كلما دقت ولطفت كانت اقوى على الانفعال تحت تأثير الاشعة الكونية التي يتفاعل بها الاثير

وهكذا نرى اجهزة النفس المعبر عنها بالادمغة كلما ارهفها الحس فدقت واطفت كانت اقدر على التقاط ما يجول في قلب الاثير من التفاعل المهيمن على الحياة فيه

حتى الكأس الذي تشرب منه ، والكتاب الذي تقرأ فيه والكرسي الذي تجلس عليه ، لكل ذلك جهاز نفسي مرهف ينفعل بتيار الكون الصاخب على قدر احساسه الضئيل في الحياة

واذا كان الانسان آلة تلتقط ما يمر بها وتنفعل بـه من اشعة الكون الخافقة بما تتفاعل به من فكرة او نظرة او نبرة ، كان ما تلفظـه مما تلتقط منظما تارة ومشوشا تارة اخرى

اما كونه منظما فلان هذه النفس الناطقة خاضعة لنظام الكون فما تنفعل به من هذا النظام يجب ان يكون منظما واما كونه مشوشاً فلان هذه النفس محدودة بالكون فلن تحيط بكل ما ينفعل به فتدرك النظام الشامل، فما تدرك نظامه ضمته الى معقولها وما لا تدركه احالته الى المجهول فاطلقت عليـه اسم الخيال تارة والوهم تارة اخرى .

فلا يمكن ان يصدر عن النفس ما هو مفقود في الوجود والا لزم كونها اوسع من الوجود بينما نجدها محدودة به وداخلة فيه ، فهي اذ تفكر او تسمع او تبصر او تلمس فانما تلفظ ما يلتقطه جهازها من تفاعل الاثير تحت

تأثير الاشعة الكونية التي لم يتصل بشعورنا منها غير جزء ضئيل من اجزاء يذهب العقل فيها مذاهب لا يقف منها على غير ما يجهل ٠

فكما ان لجهاز الواحي توجيهاً خاصاً به يلفظ معه ما يلتقط مما نسمع ونبصر ، كذلك لجهاز الادمغة توجيه خاص بها تلفظ معه ما تلتقطه من وحي والهام ولا يزال هذا التوجيه سراً مطوياً في ضمير الغيب ولاتزال العقول الجبارة تعمل على كشفه ٠

ولا مناص من ان يصل العالم يوماً ما الى كشف هذا السر فيصبح بمقدور الانسان ان يوجه دماغه الى اية ناحية من الكون فيلتقط الاخبار التي يحملها الاثير من ادمغة اخرى فيصبح في مقدوري وانا في بيروت ان اوجه آلة تفكيري الى ايرلنده فتلتقط ما ينفعل به دماغ برنارد شو ، كما اوجه الان آلة الحاكي الى واشنطن فتلتقط ما يلفظه لسان «ولكي» من قول ٠

فالذي نتصوره مما نسميه مستحيلاً هو موجود في الكون ولكننا نعجز عن تحقيقه وفق نظام الطبيعة الذي ندركه فنحكم باستحالة وجوده ٠

ولنفرض اني تصورت فلاناً بذاته شخصين احدهما في الشرق والاخر في الغرب فهل هذا مستحيل ؟؟ كلا !! ان فلاناً هذا ، وهو في قلب الاثير ومن صميمه ، تحمل الاشعة الى كل جرم من اجرام الاثير شكله ولونه وفكره ، واذن ففلان هذا موزع على الكون بشكله ولونه وعقله ٠

والفكر ليس له عين ولا اذن ولكنه يسمع ويبصر بشيء اوسع من العين وانفذ من الاذن فهو يسمع من كل جهة ويبصر من كل جهة فلا بدع

ان يسمع الصوت من كل جهة ويرى الشخص في كل مكان .

اريد ان ابلغ بك الى اعمق : أتصدق ان قلت لك ان الانسان سيصل الى وقت يرى فيه الشيء حيث اراد واينما يريد ويسمعه حيثما شاء ومتى شاء ثم يلمسه اذ يجب كما يجب ؟؟ هل تصدقني ان الانسان واصل الى كل ذلك ايها السيد ؟؟

ان سلسلة الفكر مفرغة الحلق يتصل بها كل شيء خافق في قلب الاثير، والانسان في هذه السلسلة يصعد ثم يهبط فكلما صعد لطف فشعر في نفسه تفاعل هذا التيار الخفي حتى كأنه يجول في صميمه وكلما هبط كثف فانحط شعوره الى حيث لا يحس بغير ما يضمن له الحياة .

وهل يصل الانسان الى دور يصبح معه لطيفاً تنطوي العوالم في نفسه فتتدافع وتتجاذب ويشهد هو هذا الصراع بين الاجرام الكثيفة في تيار يصدر عنه ويعود اليه فيدرك اسرار الكون الخفية ويشارك الله في الهيمنة على الكون فيسمع ازليا ويبصر ازلياً ؟؟

ذلك ما يفسر لنا الحكمة بلسان الله : يا عبدي اطعني تكن مثلي انا اقول للشيء كن فيكون وانت تقول للشيء كن فيكون ، فكيف تتحقق هذه الطاعة ؟؟

تتحقق في الصعود بالروح من عالم المادة الى عالم القوة ، في الصعود بها من العالم المحسوس الى العالم المعقول ، في صقلها بالتفكير البالغ حتى تلطف فتشف وتنطبع فيها دقائق الوجود فتشرف على الحياة وتتصرف بالمادة فتكونها كما

تشا. ثم تلونها بما تشاء ، وهــل هي اذ ذاك الا جزء من ذات الله المهيمن على الكون ؟؟؟

وبعد يا سيدي فليس لي في بحثي هذا الا ان اركع بين يديك محترمـا تواضعك في الجدل حتى كانك كنت دوني لا تمتاز علي بشيء. وانت انت ، انت ذلك الحبر المستطيل على العلم نفسه المضطلع بكل ما يصدق عليه انه كمال انساني .

الرسالة التاسعة

التبريزي

السيد جواد من علماء الامامية الاعلام وهو ايراني الاصل ولد في ولاية تبريز ثم هاجر الى النجف منذ عشرات السنين وتخصص في علم الحكمة حتى برز فيه ثم انصرف الى الفقه والاصول ، وهو سيد هاشمي علوي . وفي العقد السادس من عمره .

ايها المفضال الحكيم

لقد فتح لي بحثك في ديوان الشيخ قاسم محي الدين ليلة العجاج القاتم الذي الجأنا في حر القيظ ليلاً ان نفزع الى البيوت ونقفل ابوابها ، لقد فتح لي هذا البحث باباً الى مخاطبتك من على قمة جبل عامل الاشم ؛ ولا اكتمك اني كنت منشرح الصدر الى بحثك ذاك وانت تخوض به علم النفس ثم تصله بوحدة الخالق بين يدي اساتذة واطباء مصريين وسوريين .

واعربت لك في ختـام بحثك عن اعجابي بما كان منك في عرض حديثك ، من دقة في التفكير وسلامة في الذوق ، وعمق في النظر ، حتى كأني كنت استمع الى امام محقق حكيم ، نعم لقـد فتح لي هذا البحث باباً عقدت له هذا الفصل الذي اقدمه بين يدي سيدي الجواد الذي اسرني بلطفه يوم زرته في منزله وكان بيننا حديث يتناول بحثاً اجتماعياً رأيت من الحكمة اغفاله الآن .

ان بحثك الاخلاقي الذي حداك لان تتوسع في علم النفس ثم تستطرد الى توحيد الخالق كان فيه ، وانت تلخص وتتخلص ، شيء من التكلف ربما كان ناشئاً عن قليل من اللكنة في لسانك العربي المضطرب ، وعن شيء غير قليل من العيون الشاخصة اليك وفي شخوصها برهان عـلى ان

وراءها نفوساً لم تطمئن الى برهانك اطمئناناً تلمس معه الحجة الدامغة والدليل المقنع .

فاثبات وحــدة الخالق امر ليس بالهين ايها الفاضل سيما ونحن في عصر ينكر اهله وجود خالق فكيف يصلون الى تصديق الحكم عليــه وانه واحد ؟ ؟ فقد كان اثبات وجود الخالق اولا امس ضرورة بهم من اثبات وحدانيته ، لان اثبات الوحدانية فرع مبني على ذلك الاصل ، من اجل هذا دونت هــذه الرسالة وبعثت بها الى سيدى ليحكم بما يرى ، ولعلي اجتمع اليه بعد قليل من الزمن فنعود الى هذا الموضوع ونقتله بحثاً وتدقيقاً :

الله

الله موجود ما في ذلك شك ، والبرهــان على وجوده تصوري وجوده اذ لا يمكن ان يمر بفكري عدم والفكر جهــاز ينفعل بما يهتز له الاثير المشتمل عليه .

ما في وجود الله شك وانما الشك في اكتناه ذاته التي يتصف بها هل هي متناول العقل البشري ام بعيدة عنه ولكنها تتراءى له كما يتراءى يراع الليل لعين التائه المدلج ؟؟؟

لما كانت حقيقة الله كحقيقة الماء الموزع في آنية مختلفة الشكل واللون ، كان حقاً على العين ان ترى الماء فتحسه بشكل الاناء ولونه ، امــا ان تعمد الى اكتناه الماء دونما نظر الى الاناء الذي يشتمل عليه فذلك ليس في طوق العين التي تلهم الفكر بما تحس .

والروح انما تشعر في الوجود بما يمر بها من هذه الاهتزازات الخاضعة للتكوين والتلوين ، وهذه الاهتزازات انما هي فعل الله في الكون الذي يهيمن عليه او انفعاله هو بما ليس في طوق العقل البشري ادراكه حتى يحول فيه ويصبح عقلا مطلقاً بعد ان كان محدوداً في مادته المنكمشة على نفسها في هذا التيار الزاخر بالعبر .

كل إناء يُشعر بالماء في قلبه على شكله هو ولونه ثم يتراءى للعين التي تبصر بذلك الشكل وهذا اللون وهكذا نحن كالآنية تملأنا روح الله فيبصر كل منا هذه الروح محسوسة لديه بشكله ولونه ثم هو يبصرها في غيره من الاجرام محسوسة له بشكل ذلك الغير ولونه فتتوفر لديه مجموعة من الالوان والاشكال كل منها يحتج لنفسه على وجود الله في ذاته او انه هو الله نفسه .

ومن اختلاف هذه الالوان والاشكال تتكون فكرة الانسان مضطربة مشوشة تحت تأثير هذا الاضطراب فيما يحس فيصبح يتصور من حقائق الروح المبعثرة حقيقة او حقائق لا وجود لها في جزئيات ما يحس ولكنها موجودة في الكلي العام الذي يشتمل عليه وعلى مصادر احساساته فلا يسمعه ولا يبصره الا ناقصاً اذ لا يستطيع اكتناهه الا فيما يسمع ويبصر .

ان من اشق الاشياء على المفكر ان يصور ما يتصوره ويُحكم هذا التصوير حتى يلمسه القارىء كأنه يراه بعينه ويسمعه باذنه ، لذلك كان من الشاق علي ان ابرز فكرتي كما احب ان تبرز وان يفهمها القارىء كما افهم .

اريد ان اسمع بغير اذن وابصر بغير عين والمس بغير يد واعي بغير قلب وافكر بغير دماغ فهل هذا كله في طوق انسان انما وجـد ليسمع ويبصر ويلمس ويعي ويفكر بهذه الجوارح ؟؟

ما اشق على الروح الحرة ان تفكر ، واشق عليها من ذلك ان تدون هذا التفكير حراً ، واشق من هـذا وذاك عليها ان تصيب الحق وتوقن انه الحق فتبعزه الى الوجود مطمئنة الى الثقة به والاعتماد عليه في خلودها الى جنبه .

تعال يا سيدي نفكر معاً في الارادة التي هي علة العلل كيف يتكون منها كون الانسان الذي يعيش فيه انساناً ، الا وهو هذا المنزل الذي يسكنه فرداً ! وهذا البلد الذي يقطنه مجتمعاً افلا ترى حياته فيهما موزعة على نتاجه الفكري الذي ابرزته الارادة بالشكل الذي يلائم هذه الحياة ؟؟

اذن فالارادة الاولى التي انشأت هذا الكون خليقة بان تكون مصدراً لجزئياته وان تحمل هـذه الجزئيات الغاية التي من اجلها انشأت الارادة هذا الكون .

والانسان الذي ينفذ ارادته في انشاء الكرسي او البيت بآلة ما قد يترقى بفضل العقل الكاشف الى تنفيذها في انشاء ما يحتاج اليه بغير آلة ويصبح اذ ذاك مثال الله الكامل اذا اراد شيئاً يقول له كن فيكون .

وانك اذ تريد خلق الكرسي فتنشئها بالمنشار والازميل ، واذ تريد خلق الرهبة في نفس غيرك فتوجدها بالنظرة او النبرة ، واذ تريد خلق القصيدة

فتبدعها بالفكرة ، قد تصل يوماً ما بالعلم الى ايجاد ذلك كله بالارادة وحدها ويتحقق لديك ان التكوين والتلوين انما هو انفعال المادة لطيفة كانت او كثيفة ، بالارادة التي تهيمن عليها .

دعني افكر اكثر من ذلك في ذات الله المهيمنة علي : هل في تكاثف المادة علم مطوي ؟؟ اعني ان المادة الاولى المعبر عنها بالروح الكلي العام المالىء فضاء الكون او لعله الكون بذاته ، ان هذه المادة اللطيفة التي يهيمن عليها المبدع الاول او لعلها ذات المبدع ، ان هذه المادة تتصف بالمعرفة ان كانت خارجة عن ذات الله ، وهي المعرفة بذاتها ان كانت هي ذات الله .

ومهما يكن من امر فالمادة اللطيفة قبل ان تتكاثف انما تحمل المعرفة في ذاتها الازلية ، فاذا انفعلت بارادة الله و تكاثفت تجزأ العلم الكلي المتغلغل فيها وتوزع على الاجرام المنبثة في ثنايا هـذه المادة ، وكان العلم مطوياً في اصلاب تلك الاجرام فحق لنا اذ ذاك ان نقول ان العلم ازلي في النفس وكان القول بانه نتيجة الحواس عبثاً لا يستند الى دليل يقره المنطق .

وعلى ذلك فلو خلق المرء اعمى اصم ابكم لكان من السفه ان نحكم عليه بفقدان المعرفة الازلية في النفوس ولكنها تكون فيه كما تكون في النبات الراقي يتلمس المعرفة على قدر ما فيه من الاحساس ، ولو كانت المعرفة وليدة الحواس لكانت في الحيوانات كما تكون في الانسان ، الا ان نقول بتطور الحيوان الى الانسان وان الحيوان لم يبلغ السن التي بلغها الان منذ تكوينه .

وهنالك فكرة تضاؤل المعرفة الازلية في الاجرام المتكاثفة الى حـد

يقربها من العدم فيطلق عليها الجهل فيكون نسبيا في الجرم ، كما نطلق على الانسان الغبي اسم الجاهل بالنسبة الى الذكي بينما نطلق عليه لفظ العالم بالنسبة الى الحيوان .

واوضح من ذلك : انا نجد المعرفـة في المجموع اسمى منها في الافراد فكلما ازدحمت افراد الانسان وتكاثفت تزاوجت الافكار واتحدت العقول فكان العقل الانساني اسمى منه في الافراد اذا تفرقت واستقل كل منهـا عن اخيه الانسان بنفسه .

وهكذا نجد الاجرام المتكاثفة في قلب الاثير تتناول جزئيات ضئيلة من معارف الروح الكلي فتضعف بهذا الاستقلال ثم تتـدرج الى القوة والكمال بالاجتماع والتزاوج حتى يبلغ التضامن بها حداً تعود معه الى الاتحاد الكلي الذي يحيلها في مجموعها الاول الا وهو الروح العام والاثير والمادة الاولى

فعلى قدر تضاؤل المادة التي تتكاثف من الاثير وتصبح جزءاً مستقلا ، يكون تضاؤل العلم المستقل بها عن كليه العام ، وعلى قدر صقل هذا الجرم ورياضته بما يلطفه ويدنيه من هيولاه يكون اتساع المعرفة فيه ورياضتها بما يحول بينها وبين الوحشية ويدنيها من المدنية التي تحيلها في الادراك الكلي الذي هو عنصر الاثير الاول منذ الازل .

اذن في كل شيء ولو جزء ضئيل من المعرفة يتمشى به ذلك الشيء الى الكمال منذ كان ذلك الشيء حتى ينتهي الى كونه الاول ، وهذه المعرفة هي نواة الرقي في ذلك الشيء تهبط به من الكمال التام الى النقص النسبي ثم

يترقى بفضلها الى الكمال النسبي حتى تحيله في كماله الاول ، هذه النواة هي المعبر عنها بالحياة .

بهذه النواة من المعرفة يفكر الانسان والحيوان والنبات والجماد كلا على قدره ، وبهذه النواة يقرر كل مفكر في نفسه ان في الكون قوة تهيمن عليه او انها هي هو ويعبر عن هذه القوة بالله تارة وبالطبيعة تارة اخرى ، فالتفكير في ذات الله او ذات قريبة منه هي من غرائز النفس المقررة فيها منذ الازل اي منذ استقلت جزئيات الروح الكلي في اجرامها المتكاثفة بانفعالات الاثير .

فهل يمكن لهذه النواة ان تختلج او تهتز او تتحرك او تنفعل بغير ما تتأثر به من الوجود المهيمن عليها في الازل والذي انما كانت لتدل عليه وتشير اليه ، وانما كان هو لتنفصل عنه وتتصل به ثم تستحيل فيه آخر الامر ؟؟

ودعني افكر ايضاً في هذه الذات العظمى ذات الله المهيمن على الكون : انا في هذه الحجرة استقبل احدى نوافذها فيعترض وجهي قضيب من الحديد وخلف النافذة نخلة طويلة الساق فاذا نظرت الى النخلة من وراء القضيب تراءى لي قضيبين واذا نظرت الى القضيب تراءت لي النخلة نخلتين ، ثم اذا ادنيت اصبعي من القضيب وانا انظر الى النخلة رأيت اصبعين تلمسان قضيبين وشعرت كأني ألمسها باصبعين .

هذا ولو كان لي اربع اعين لرأيت القضيب اربعة والنخلة اربع ثم لو اطبقت احدى عيني لما تعدد القضيب ولما تضاعفت النخلة فمن يدلني على الحقيقة

في اي شكل من هذه الاشكال ؟؟

في هذه الفكرة بحثان احدهما يشير الى ان الحاسة اذا تكررت تزيد المحسوس ايضاحاً ، فلو كان لي اربع اعين لرأيت الجرم اكثر وضوحاً مما أراه وانا ذو عينين وهكذا اراه بعينين اوضح مما لو نظرت اليه بعين واحدة .

والثاني يشير الى تعدد المحسوس بتعدد الحاسة عرضاً دون ما قصد ، فاذا قُصد تبينته الحاسة على حقيقته المقررة في النفس التي تمد الحاسة بشعور العقل المطوي فيها .

فعلى الاول : أتراني لو ملكت عشرين عيناً باصرة ، أتبين عشرة اضعاف ما ابصر وانا ذو عينين ، فارى الافق اوسع مما ارى والكواكب اقرب مما ابصر ؟ ؟ وهكذا كلما ازددت عينين زدت بصراً حتى ارى كل شيء ؟؟؟

أو اراني لو ملكت عشرين اذناً سميعة ، اسمع عشرة اضعاف ما اسمع وانا ذو اذنين ، فأعي الصوت اقوى مما أعيه واتحسس من خفق الهوام وضجيج الاجرام ، وهكذا كلما ازددت اذنين زدت سمعاً حتى أعي كل نابس ؟؟؟

وعلى الثاني انما يتضاعف المرئي بتضاعف العين اذا توجه البصر لرؤية ما وراء المرئي او اذا لم يتوجه لرؤية شيء ما ، فالذي يرى هو الفكر بواسطة العين فاذا لم يوجهها الفكر عقمت ان تتبين ما تحسه ولكن المرئي لها ينطبع فيها ثم ينفذ الى الفكر الذي يوجهها لطبع المرئي على لوح الذهن .

فالمحسوس انما يجول في افق الحواس ولكنه لاينفذ منها الى الروح الا عن

طريق الارادة ، فاذا اردت رؤية شي وجهت عينيك اليه فامتد منهما خيطان من النور يتحدان قبيل المرئي خيطا واحدا فيتحد المرئي مع تعدد الرائي ثم ينعكس على لوح الفكر حقيقة مجردة .

اما اذا لم ترد رؤية ما يعترض عينيك من اشياء الحياة التي تستقبلك ، ولم ترد سماع حس مما ينبس حولك فلن يصل الى خلدك صورة ولا صوت ولكنهما يجولان في العين والاذن ليغذيا آلة الحس ارهافاً وصقلا .

ان اتحاد الخيوط المنبعثة من الحواس لتلقف المحسوس وخزنه في القلب ، ان اتحاد هذه الخيوط قبيل المحسوس ينم عن وحدة الروح كما ان تعددها قبل توجيه الارادة للحواس دليل على استقلال كل حاسة بما تحس وهي حرة .

وباوضح من ذاك ان الحواس انما تتغذى بما تحس وهي غفل من الارادة فاذا وجهتها الارادة للتحسس من الوجود كانت آلة لتغذية الوجود من الروح المخزون وراء الحواس .

فالروح والمادة يتبادلان الغذاء بواسطة الحواس فاذا اردت التحسس من محسوس ما ، فانما أسبغ على هذا المحسوس شيئاً من روحي واستمد شيئاً من روحه حتى تتعطل فيّ وفيه آلة الاحساس ، فانا كمستودع الكهرباء يستمد القوة من الحركة ويمدها قوة حتى يتلاشى فيها ، وهكذا استمد القوة من الاثير مصدر القوى وامده بها حتى افنى فيه واستحيل اثيراً ، جرياً على سنة الطبيعة التي تؤيد فناء الجزئي في الكلي .

فالحواس اذن تتغذى بما تحس وهي في معزل عن الارادة حتى اذا

عمدت الارادة الى تحسس الخارج بها كان التبادل في الغـذاء بين الروح المخزون وراء الحواس وبين الخارج الذي تتحسس منه ، واما الحواس التي هي واسطة هذا التبادل بين الداخل والخارج فتتحمل اذ ذاك وحدها جهد العمل ونصبه وتفتقر احياناً كثيرة لراحة الارادة التي تسيطر عليها ، والنوم هو الراحة الكبرى التي تمن بها الارادة على الجوارح .

وبعد فهل هذا كله داخل في نطاق البحث عن الله ؟؟ نعم انه البحث في ذات الله التي يتصورها الذهن في كل شيء . ولن يتصور الذهن ما لم يكن حتى يكون ، لان الذهن مقيد بالوجود والمقيد محدود فلن يتجاوز حده الى المطلق وهو يحيط به .

ان تصور الملايين من الافكار الجبارة كائناً مهيمناً على الكون ، لجدير بايجاد هذا الكائن من العدم فكيف به وهو يدل عليه ويشير اليه ؟؟

اريد ان اقول : ان الفكر البشري لا يمكن ان يتصور العدم اذ لا صلة بينه وبين العدم ولكنه في الوجود ، فتصوره يجب ان يكون قاصراً على الوجود الذي يحيط به ويشتمل عليه ، وتصور الفكر ذاتَ الله هو البرهان على وجود الله ، ولمسه القوة في كل كائن يتصل به ثم عجزه عن اكتناه علة هذا الكائن ، هو دليل آخر على نقصه وكمال العلة التي عجز عن تصورهـا كما هي .

فليس من العبث ان اتصور ذات الله واحكم بوجودها مسيطرة على الكون ، ولكن العبث ان اتصورها واشعر بهيمنتها علي ثم اتردد في الحكم

على وجوب وجودهـا بفكر يعجز عن اكتناه العمل الذي يأتيه وهو مكره عليه :

فالله موجود ووجودي برهان على وجوده اذ يستحيل علي تصور العدم وانا في حيز الوجود ، والمستحيلات التي كنا نتصور عدم امكانها ونحكم به ثم اثبت وجودها العلم ، برهان على تسفيهنا بالحكم على كل مستحيل انه عديم الامكان ، فكيف بما يتصور وجوب وجوده عقول جبارة تتعاقب على الاعتقاد به منذ الازل ؟؟؟ »

هذا من حيث وجود الله واكتناه ذاته ، واما وحدانيته فقد نتعلل في بحث الروح الكلي وجزئياته ثم نزعم تطبيقه على ذات الله العليا ، فهل تسمع يا سيدي ؟؟

ان في هذه الارائك التي تحدق بي روحاً فنية مسبغة على شكلها ولونها ، وفي هذه المنضدة التي بين يديّ روح فنية كتلك ماثلة بين الزخرف الثابت في صلبها وعلى قوائمها ، وفي تلك السجف المدلاة امام عيني روح جزئيـة اخرى بارزة في نسجها والزركشة البديعة في ثناياها ، وعلى هذا السرير الجاثم في صدر الثوي روح كذلك قائم بين سمائه وارضه وعلى رياشه وفراشه ، ثم في هذه الطنافس المفروشة روح حافلة بروائع الفن بين نقوش وخطوط ، وتحت هذا السقف البديع ، وعلى هذه الجدر المزدانة بالتماثيل وفي متون هذه المصابيح المعلقة وهذه الاصص الشاخصة في كل ذلك ارواح فنية امثال تلك .

اريد ان اعرض هذه الارواح بين يدي قارئي ثم اسأله هل يشعر من ورائها

بجلال الفكر وروعته في الصانع ؟؟ انا اشعر بهذا الجلال وتلك الروعــة ثم اشعر بعد ذلك ان هذه الارواح متحدة في منزلي بالروح العام، متميزة بجزئيات هذا الروح ، اعني انها تشير الى اشخاص عديدين بينما تدل على شيء واحد الا وهو الانسان ، ففي الانسان روح عام تحمل هذه الفنون الشائعة في هــذا الاثاث ، وفي فلان النجار وفلان الحائك وفلان البناء ارواح جزئية يتغلغل في قلبها ذلك الروح الكلي بينما هي موزعة على السقف والجدر والسجف والارائك والمناضد يكاد كل منها يشير الى مصدره القريب وهو الشخص ثم ينطوي تحت مصدره البعيد وهو النوع

فاذا امعنت في واحد من هذه الفنون ، كالفن المسبغ على الاريكة مثلا ، وشعرت بجلاله قلت : ما احكم اليد التي ابدعت هذا الفن ثم اذا اجلت بصرك في سائر الفنون المبثوثة في المنزل قلت : مــا اعظم الانسان !!! أفكان هــذا الانسان العام الا مصدراً لجزئيات هذا الروح المنبث في هذه الفنون الموزعــة على هذه المرئيات ؟؟؟

اذن فالانسان كلي تقتسم جزئياته ، وهي هذه الاشخاص ، تلك الفنون الموزعة على اثاث المنزل ، وهذا الاثاث بما يشتمل عليــه من ارض وسقف وجدر ، هو كون تنتظمه وحدة شاملة الا وهو المنزل او البيت او القصر .

أفما يسوغ لنا ان نتمشى على ضوء هذا البحث الى تعليل العالم المحسوس فالعالم المعقول ثم نجوزهما الى الطبيعة الاولى والكون الشامل آخر الامر ؟؟؟

منزلي هذا ، بشكله المربع وابوابه المستطيلة وسقفه المزدان بالمصابيح ،

وجدره المحلاة بالنقوش ، ونوافذه المغشاة بالسجف ، وارضه المثقلة بالرياش والارائك والمناضد ، هذا المنزل مدين بوجوده ووحدته لروح الانسان الكلي المنبث في الاشخاص الذين تضامنوا على انشائه من العدم اذ كان شجراً وحجراً ومدراً فاصبح قصراً

أفلا يسوغ لنا ان نعزو الشجر في عالمنا السفلي الى صانع والحجر الى صانع آخر ثم نتبين في التراب والمعدن والماء والهواء وغير ذلك من عناصر عالمنا الحسي ، ارواحاً جزئية تنم على مهرة فن لم يتصل بهم ادراكنا اتصالا مباشراً وهذه الارواح الجزئية تنضوي تحت روح كلي ندعوه الله او الطبيعة او الحياة كما تنضوي ارواحنا الجزئية تحت روح كلي ندعوه الانسان ؟؟؟

ان وحدة المنزل لا تستلزم وحدة موجده اولا ولكنها تنتهي بالوحدة اليه اخيراً ، كما ان الكرسي الذي تصنعه يشترك فيه سائر اعضائك ولكنها تحت وحدة شاملة هي انت

هكذا نصعد من العالم الذي يحدق بنا الى العوالم الاخرى التي يتألف منها الكون فنعزو الكوكب الارضي بمجموعه الى روح كلي بالنسبة الى الجزئيات التي تنشىء اجزاءه ثم نعزو سائر الكواكب التي يتألف منها الوجود الى ارواح كلية بالنسبة الى ما دونها وجزئية تندمج في روح كلي عام يهيمن على الكون وندعوه الله .

فالله اذن ؟ هل هو الروح الكلي الكامل الذي تنبثق منه الارواح الجزئية المنبثة في الكون تعمل على توحيده تحت نظام عام فتكون منه مجموعة من الوجود تنتظمها وحدة شاملة مكلوءة بالروح الكلي العام .

فعلى قدر هذا الروح جزئياً او كلياً يقاس الفن المنبسغ على ما ينتج ، فروح النجار التي اشربها فن هذه الاريكة بالتكوين والتلوين ليست قاصرة على هذا الجرم الذي يتقوم به الكرسي ولكنها تتمشى على سنة التناسخ في اجرام لا عداد لها حتى يبدع الفكر الانساني فناً اريكياً اسمى من هذا الفن فتؤذن الروح المتعاقبة على هذه الاجرام بانتهاء الفن الذي ابدعته ثم تتلاشى بتلاشيه .

وروح الانسان الشاخص يمكن ان تكون نوعاً بالنسبة الى جزئياتها المنبثة في آثاره فغير بعيد ان يكون شخص واحد تتمشى روحه في عدة آثار يبدعها في الوجود كما نرى في العبقري الذي يحرز عشرات الفنون حتى يستطيع ان يتقوم به قصر مستقل به ، فبناء جدره وسمك سمائه ونقش مقاصيره ورصف ارضه ونحت ابوابه ونسج ستائره وشد ارائكه وابداع سرره وحبك طنافسه وسبك آنيته وخلق سائر ما يستلزم وجود القصر ، كل ذلك من نتاج هذا العبقري .

فيمكننا اذ ذاك ان نطلق على هذا القصر انه كون يستقل بروح كلية تتمشى جزئياً في اجزائه التي يتألف منها كونا مستقلا ، ذلك هو مصداق الفكر الانساني القائل بتعدد الآلهة تنضوي تحت ظل المبدع الاول الا وهو الله .

فالفكر الانساني لا يتصل بالله الاول قبل ان يتقوم بالعلم ، فقصوره في دوره الاول وقف به عند اكتناه خالقه في الاجرام العظيمة التي تشخص له

ويشعر بالرهبة لها في نفسه كالشمس والكواكب والسحاب والخير والشر فيتمثل لكل منها الها يعبده ويخضع له ويسجد بين يديه .

فتصوره هذا هو حقيقة ماثلة في الوجود اذ هو لا يعبد الشمس الا لروعتها في نفسه فكأنه عبد الجلالة والروعة فيها وهاتان الصفتان هما حكمة خالق الشمس المنبثة من روحه في كيان هذا الكوكب الجبار ، وهكذا نصعد الى عابد المرأة ومؤلهها فلم يكن ليسجد بين يدي لحم وعظم ودم ولكنه يركع للجمال القائم في هيكلها المعبود وهل الجمال فيها الا جزء من روح الله اسبغه على هذا الهيكل فاستخذى له الفكر الساذج وركع بين يديه ؟؟؟

وهكذا لانجد في العالم مخلوقاً يعبد غير الله ثم لا يتصور شيئاً ليس له حقيقة ثابتة في الوجود ، ولكن خمول الفكر بالجهل يهبط بذويه الى اكتناه خالقه في اجزاء الوجود الواقعة تحت احساسه ، ونباهة الفكر تصعد بذويها الى اكتناه هذا الخالق في جماع الكون القائم في نفسه او المحيط بعقله .

وقد يكون فوق هذا المفكر السامي مفكر اسمى يرى التماسه الله في عظمة الكون ناقصاً كما يرى ذاك التماس المفكر الناقص خالقه في عظمة المرأة او الكوكب ناقصاً كذلك ، أفلا نقرب احياناً من الاعتقاد بان الفكر سلسلة يصعد بها الانسان حتى يتصل بالله ويستحيل فيه ؟؟؟

وانما ننكر على عابد الوثن عبادة الله في جزئي من وجوده الكلي لندفع به الى الرقي في الفكر الانساني فيرى الله فيما هو اسمى من المرأة او الكوكب فيتسع ادراكه لاكتناه الوجود ويتصل بخالقه دون ما ذريعة تحول بينه وبين

الحياة الحافلة بعظمة الله ، وفرق بين من يتبين سلطان الملك في وليه الادنى فيخضع له وبين من يتبين سلطانه في شخصه المتجلي على عرشه فيصعق بين يديه .

وانما ينكر الله على عبده ان يخضع له بين يدي الوثن لئلا يكون بعيداً عنه ، وانما يامره بالخضوع له بين يدي سلطانه ليقرب منه ويستجيل فيه ، وبعد فانما يريد الله من خلقه السمو اليه والدنو منه ليدلهم على عظمته فيشعروا بالعظمة في نفوسهم ويكونوا امثلة له في عالم يتدرج في معارج الكمال »

ليس لي بعد الا ان اشكر لك هذا الخلق المحمدي الذي فطرت عليه وتلك الابتسامة العبقرية التي لا تفارق شفتيك وهذا التواضع الذي يسمو بك في قلب كل جليس ، واسأل الله ان يمن على الامة بكثير من مثلك لنصل بهم الى الحكمة التي تدنينا من الحق وتهيمن علينا بسلطانها العادل .

الرسالة العاشرة

المدفعي

السيد جميل المدفعي احد رجال العراق المعـدودين في الاضطلاع باعباء الحكم ، وقد تقلد منصب الوزارة ورئاستها اكثر من مرة ، وله في القضية العربية اياد تذكر فتشكر ، وهو اليوم يرئس مجلس الاعيان العراقي ولا يزال في العقد السادس من عمره ٠

تسألني يا سيدي في عرض حديثي بين يديك يوم زرتك ، عن لبنان حكومة وشعباً وليست الغاية التي من اجلها زرتك هي الخوض في موضوع يجرنا بالبحث الى مثل هذا . فقد زرتك لاجتمع الى الرجل الذي يتمتع بالثقة الغالية من امته والذي يُعهد اليه بادارة الحكم في الاوقات العصيبة التي تضطرب فيها الحكومات فتعيد الطمأنينة الى النفوس ويستقر بك الحكم

لهذا زرتك ، وكنت اجدني حريصاً على ان ادوّن ما استوحيه في رحلتي من الوجوه التي اتصفحها والالسنة التي اتلقف حديثها ، لذلك اخرجت هذا السفر ، « وحي الرافدين » تسجيلاً للحق وتخليداً للشخصيات الجديرة بالخلود ، ولست في حاجة لان اكيل الثناء للعراة من الفضيلة ، او الذم للكاسين منها في سبيل اللقمة التي بفضلها ادبّ واسعى ، فان هذه اللقمة سهلة التناول لمن اراد ان يعيش لا ان يأكل فقط .

نعم ايها السيد الكبير ، لقد سألتني عن لبنان فاوحى اليّ سؤالك هذا كثيراً من العبر التي تختص الشاعر الحساس بالالهام الذاتي دونما تقصٍّ واستقراء . فكان سؤالك باباً افضى بي الى بحث الحقيقة التي يعلمها كل فرد ويتحامى بثها في كتاب او بحثها على منبر ، ولكني ، وانا غني ، بفضل الله عن المحاباة والمجاملة ، غني ، وانا بين يدي الحق ، عن نصرة

الباطل في سبيل الحياة الدنيا .

ولعل غيرك من سألني هذا السؤال فلم اجبه بما اجبتك لاني ارى فيك من شمائل الحقيقة وامائر النزاهة ما يقفني على اختيارك ان ابثك الحق فيما اشعر تجاه هذا السؤال الكبير من رجل مثلك كبير ، ولعلك شئت ان تقف على لبنان من لسان تثق بصدقه لانه لسان شاعر والشاعر لا يكذب الا اذا فاته الالهام فيكون ناظماً والنظم يختلف كثيراً عن الشعر ايها الفاضل .

ولقد اجبتك اذ ذاك جواباً مقتضباً واحلتك في نهايته الى التفصيل في كتاب خاص اجعله رمزاً لزيارتي بلاد الرافدين ، وها قد وفيت بوعدي وجمعت قواي في هذا الوقت الذي سلب الاحرار قواهم ثم اخرجت سفراً يشهد لي بين يدي الحق اني خدمت امتي وبلادي بما عالجت فيه من مشاكل كانت السبب الاول في تردينا وتقهقرنا .

ولم اجعل لبنان وحده الهدف الذي ارمي اليـه وانما جعلته رمزاً للامة العربية التي استهدفها جميعاً لانه اقربهـا الى المدنية واكثرها تخمة من الحضارة الحديثة ، واطولها نفساً في ميـدان الثقافة ، ولانه بعد ذلك مضطرب الافق قلق الحياة بما يسوده من تعدد اهواء واختلاف مشارب ، وتصادم بين ثقافات متباينة ومذاهب متعددة واديان مختلفة ووراء ذلك كله يد قصوى تمتد الى النفوس فتستغل فيها ذلك الخلاف وهذا التصادم ، ولعل هذه اليد هي التي خلقت تلك العوامل بغية هذا الاستقلال .

ايها الجميل خَلقاً وخُلقاً .

ما كنت لاطيل عليك هـذا البحث لولا اني رأيتك ، فيما اسمع ، ارحب رجال الامة صدراً وفي مقدمـة من يسمو فيهم طبعاً وتطبعاً ، ورأيتك اسبقهم قدماً في بناء كيان العروبة ، واشدهم غيرة على امجادها ، واقواهم شكيمة في الذود عن كرامتها ، وليس مجيئي هذا الا مظهراً من مظاهر الغيرة على هذا الكيان ، أفلا تحب ان اكون رسول العروبة في لبنان اليك وانت بين الرافدين ؟ ؟

لا ، لا لست اريد ان اكون هذا الرسول عن هذه البقعة التي مر بي ، وانا مضطهد فيها ، عشرون عاماً ، وقلمي ولساني وقف على هذا البناء الذي تشركني فيـه بيدك ولسانك ، ومجلة العروبة التي انشأتها والدّ اعدائها في مجلس التشريع اللبناني آنذاك ، تشهد على اني انفـذت كل ما املك في سبيلها ، بينما الحكومة تغذي الصحف الزائفة ، وما اكثرها في هذا البلد ، يوم ذاك ، ولعل كثيراً منها لا يزال يقوم عـلى اساس العداء للعروبة حتى اليوم .

لا ، لا اريد ان احمل اليك رسالة العروبة عن لبنان ولكني احملهـا ، وانا عالي الرأس ، عن العرب المهاجرين بين شمال اميركا وجنوبها الذين حملوني مثل هذه الرسالة الى كل مؤتمر يعقد في سبيل العروبة فاذا نشدتك الحق في رسالتي فانما انشدك اياه وانا رسول هذه العصبة المنتشرة في طول العالم الغربي وعرضه يسقون تلك التربة بدموعهم بكاء على الوطن الذي غادروه فراراً من وجه الاستعمار .

وبعد فهل حان لي ان ابثك ما في نفسي بعد هذه المقدمة الورها ؟ ؟ نعم سأبث ما في نفسي من اثر تركه اجتماعي اليك وسؤالك اياي على حين لم اتوقع ان يكون مني ذلك الجواب ولا هذا الوحي الذي ألهمنيه سؤالك اذ رجع بي الى ذكريات جد اليمة ايام كنا ندفع بانفسنا الى اخطر المزالق اذ نقول او نفعل تحت تأثير الانسانية التي نشعر وحدنا بالمسؤلية تجاهها وبعد :

الا تدلني ياسيدي على السبب الذي من اجله تعتصمون بالحكم ويشاركهم فيه من لايدانيكم جدارة ونزاهة ولعله ينحدر عنكم الى حيث يسود به وجه التاريخ؟؟ انك ان دللتني على هذا السبب الذي يضطركم للبقاء في ندوة تحتل المكان الاول في الشعب ويزاملكم فيها الاخير من ابنائه ، تحجب عني كثيراً من الوساوس والهموم التي ضاق بها صدري واظلمت لها نفسي .

افهم جيداً انكم لاتلبون دعوة الداعي الى مجلس لم يسامركم او يواكلكم او يشاركم فيه نفرٌ هم من الطبقة التي تعتصمون بها وتشخصون لها ، وأن الانتساب الى هذه الطبقة شرط اول في الداعي والمدعو حرصاً على منزلتكم في نفوس الشعب ومكانتكم السامية التي تحتلونها بين يدي منصبكم السامي وعملكم الجبار .

افهم هذا فهماً صحيحاً ، وافهم بعد ذلك انكم لا تمدون يداً للحكم الا على اساس العمل الصالح والخدمة الحقة والايمان الوطيد بان مزاولتكم للاعمال الوطنية بريئة من كل ما يريب الحق ويطمئن اليه الباطل ، لانكم

من ماضيكم وحاضركم ما ينهض دليلا على انكم كنتم ولا تزالون تخلصون في كل ما يعهد اليكم به من عمل ، وليس وراء الاخلاص في الرجل الحر شيء يحمد عليه .

افهم كل ذلك يا سيدي واما الشيء الذي لا افهمه فهو ما المعت اليه في حديثي لكم يوم زرتكم في مجلسكم الموقر ، من انكم تعتبرون كل رجل تولى منصباً يداني منصبكم او يحاكيه من طبقتكم ، ومنصبه هذا يؤهله لدعوتكم ويحملكم على تلبيته ثم لا تستنكفون من صداقته واستدعائه الى مجالسكم في كثير من المناسبات لمجرد ذلك المنصب .

أفكان المنصب يا سيدي وحده دليلا على شرف الانسان وسمو منزلته في نفسه وقومه ?? ام نرى في الانسان تشريفا واكبارا للمنصب الذي يتقلده، فاذا اسفّ هذا الانسان اسف معه المنصب حتى ينحدر عنه ويتقمصه من تؤهله للاضطلاع به خلال لحمتها العمل وسداها الاخلاص ???

عفوا يا سيد .

فلست اخصك وحدك بهذا الحديث ولكني اتخذك عنوانا للنفر القليل الذين يهيمن عليهم الحق فيما يعهد اليهم به ، امثال السادة شكري القوتلي وهاشم الاتاسي ومصطفى النحاس واحسان الجابري ورضا الشيبي وصالح جبر وغيرهم ممن أستهدفهم في حديثي هذا واخاطبهم باسمك .

اريد ان افهم ، لماذا لم تنسخوا من سجل الاحرار في ديوان الشعب ، كل من تقمص منصباً وكان به سبة على الامة وعنواناً سيئاً لها ?? ولماذا لم

تحولوا دون من قامت زعامته على اللصوصية والخيانة ان يصل الى منصب يعيث به على حساب الامة التي وكلت اليكم امرها واعتصمت بكم منه؟

واذا كنتم مكرهين على قبوله في مجلس الحكم لامر يعلمه الله وانتم ثم لا تستطيعون الجهر به ، فلماذا لا تتضافرون على قمعه بشتى الوسائل وتبثون حوله الارصاد كيلا يصل مرة اخرى الى سلطان الشعب فيحط من قدره ، وتعلنون الامة ما يضمر وما يظهر لتكون على بصيرة من امره وتنيب في مستقبلها الى الله من تأييده وتعزيزه وتكون البلاد في حيطة من شروره ؟

ومن هي الطبقة العليا من الناس ايها السيد ؟؟ أهي هذه العصبة التي تبتل ايديها من دموع الشعب وترتوي قلوبها من دمائه بما يحيطونه به من مكر ويبثون حوله من حبائل ، حتى اذا تولوا مقدراته بتزلفهم للاجنبي او تملقهم عتاة الامة او تهديدهم ذوي السذاجة والجبن من الشعب او الضرب على ايدي الاحرار المخلصين فيه ، رفعوا رؤسهم كالسلاحف تحت الماء الكدر ورفع كل منهم عقيرته يدعو الناس اليه قائلا : اني انا الله لا اله الا انا فاعبدون .

اهذه هي الطبقة العليا من الناس يا سيد ؟؟ ام هى اولئك النفر الذين تقرحت جفونهم من السهر على امتهم وخشنت جنوبهم من التقلب على المضاجع النابية في سبيل الوطن ، وضحوا بنفوسهم ايام الثورة على مذبح الحرية والاستقلال ، ثم انجلى الافق عن هؤلاء وهؤلاء ، فاذا الخونة المارقون يتمتعون بالحياة في ظل الحكم الجائر ، واذا احرار الامة المخلصون تضيق بهم الارض ولا تتسع لهم الا المقابر ؟؟؟

الا ترى معي يا اخي انا نعد السكر او الزنا او اللواط او الميسر في الرجل من عامة الشعب وهو يتستر، موبقة لا توبة منها وتجتنب انت وانا وحتى رعاع الناس، الدنو منه، والجلوس اليه، والعطف عليه، ثم نرى كثيراً من ذوي المناصب العليا يزني اويلوط جهاراً ولا يجلس الى مائدة ليس عليها خمر او ميسر ويضيف الى ذلك كله ظلم الشعب وارهاقه ولا نرى فيه ما يحجبنا عنه ولعلنا نفتخر بالقرب منه والتزلف اليه، ذلك لماذا ???

أفتعذرني بعد ذلك ان قلت :

صعاليكنا قلدتها الظروف مناصب لم نجترع صابها
فان انت جئت النوادي حسبت رؤوس المجالس اذنابها
توغل انذالنا في البلاد وبزوا المناصب اربابها
رقوها على عهد «مندوبنا» وقد زاحموا امس حجابها

اذن فما على هذا العامي السكير المتهتك وهو يتستر ثم يحتقره الشعب، ما عليه اذا شاء ان يدفع غول الزندقة عنه، إلا أن يوغل في الشر فيقتل ويرهب وينهب ويسلب فيجتمع حوله لمة من شذاذ الافاق ويهدد بهم كل حر يحاول زجره فيصل بفضل هذا الى المنصب الذي يتيح له ان يجهر بما يشاء من محجور المتع ويحرز اذ ذاك رضا الخاصة من الامة والزلفى الى الطبقة العليا منها .

كيف تحمون مناصب الامة السامية من عتاة الشعب وشذاذ الافاق اذا لم تحيطوها بسياج من التضحية في سبيل الكرامة التي ترفع الخاصة عن

مستوى نفر يرون الفسق والكفر والخيانة والارهاب طريقاً يفضي بهم الى مناصب الحكم ومجالس التشريع ، ثم لايأبهون لما يُحذر منه القانون وينعى عليه الدين وينكره العرف ، لانهم اصبحوا يهيمنون على القانون ويستخفون بالدين ويسنون للامة عرفـاً خاصا بهم لايتجاوزهم الى احد من الناس حتى يمسى في حظيرتهم ؟؟؟

اعرف اناساً يعملون مخلصين في حقل العلوم والاداب ، واخرين يخدمون المجتمع خدمات لاتقتصر على العلم والدين ولكنها قد تتجاوزهما الى الادارة والحكم وهم بعيدون كل البعد عن مجالس الزعماء والاعيان لبعـدهم عن المناصب والسيطرة القائمة على الظلم والارهاق ، فمن اية طبقة نعد هؤلاء ؟؟ أمن الخاصة في عرفنا وهم بعيدون عنها وهي بعيدة عنهم ، ام من سوادالعامة وقد ارتفعوا عنها ثقافة وعملا ؟؟

ولعلي انا ممثلَ الشعب ،أربأ بنفسي ان اجالسهم ، واتغافل عن استقبالهم اذا طرقوا بابي لامر فيه شرفي وشرف منصبي ، لاني لا ارى عليهم صبغة الحكم او لقب المنصب او سيماء البغي والشقاق في الامة .

كم يؤلم الحر العربي ان يرى امته اليوم في اشد اوقاتها حرجاً ، تلتمس من ابنائها نفراً يعمل باخلاص يعتبر الاجنبي به ويقتنع بانه نواة حية في حقل الحياة الحرة التي تؤهلنا لان نقبض على نواصي الحكم بأيد لايساورها شلل وقلوب لايرين عليها هوى وابصار لايساورها زيغ .

فالى متى نعتمد الاجنبي في النظام الذي نسنه والثقافة التي ننشدها والزي الذي نلبسه والطبع الذي نتخلق به؟؟ أفليس عندنا وفي تراثنا انظمة وثقافات

وازياء واخلاق ، نأخذ منها مايبقي على امجادنا ثم نعمد الى الغرب فنأخذ عنه ما يمس حياتنا ليكون لنا قومية نمتاز بها ونعول عليها في تكوين امتنا ؟ ؟

والى متى نعد من الطبقة العليا ، اناساً لمجرد غناهم او بطشهم او القابهم او مناصبهم ، واذا فتشنا نفوسهم اهوى بنا البحث عنهـا الى حضيض من الحياة ليس تحته تحت ؟؟ أفليس من العار علينا تجاه انفسنا وتجـاه الاجنبي المطلع على كل شيء في خاصتنا وعامتنا ، أو ليس من العار ان نجعل مقياس الرتب العالية فينا ثروة او لقباً ونغضي عن النزاهة والاخلاص والوفاء والصدق التي هي رأس مال الامة الحية في العالم ؟ ؟

افتحسبون ان كل من وصل الى منصب سام في الامة فكان اميراً او وزيرا او نائباً ، قد ناله ذلك بفضل خلق او نبل او ثقافة ؟؟ كلا يا سيدي ان هذه الخلال لا تقع في مقدمات الوسائل التي يتذرع بها المدني عندنا ولا عندكم ولكنكم تعلمون كما نعلم ان العوامل التي كشفتُ النقاب عنهـا هي التي اصبحت سلماً يصعد او يهبط عليه الانسان الى متع الحياة الدنيا ؟؟

لقد كان مشرعنا الاعظم لا يدني منه الا المؤمن ، والمؤمن في عرف الناس يومئـذ من عمل بكتاب الله وسنة رسوله واخلص في ذلك العمل سواء لبس الخز او تلفع بالاطمار البالية ، وسواء سكن القصور او اضطجع على البواري ، فهل نسير بسيرة الرسول الاعظم فـلا نقيم وزناً لغير من عمل بما يقتضيه القانون المدني واخلص في ذلك العمل سواء لبس الخز او تلفع بالاسمال وسواء اكان يملك القصور عـلى ضفاف دجلة او يبيت على حسك السعدان ؟ ؟

الرسالة الحادية عشرة

الشبيبي
محمد الرضا

الشاعر المعروف ورئيس المجلس النيابي لحكومة العراق وقد تقلب في عدة وزارات وهو نجفي المولد والمنشأ، بغدادي الموطن يتمتع بثقة شعبه نزاهة في الحكم وصدقاً في القول واخلاصاً في العمل وهو في العقد السادس من حياته ·

ايها الرئيس الجليل :

لقد احببت ان اخاطبك بالشاعر ولكني ، وانا ابن الشعب كيفما كان ، عدت فخاطبتك بلقب الرئيس مفضلا زعم الشعب على زعمي ، بيد اني وانا مجروف بهذا التيار احب ان اناديك بيني وبين نفسي بلقب « الشاعر » المحبوب .

لا ادري يا سيدي كيف يجهل الشاعر الملهم منزلته في الامة فلا يسمو بها في نفوسهم الى حيث يعتز بلقبه ويزاحم الانبياء والحكماء في صدور الاجيال ؟؟!

لعل الشاعر هو المسؤول اذ يهمل التوجيه الذي يفتح امام شاعريته طريق الحياة الخليقة به ، فقد يكون شاعراً عراقياً يكب على دراسة شاعر مصري ويتأثر به لانه مصري ولان المصري في مفهوم شعبه ارقى من العراقي فيوغل في هذا التأثر الى حد الاستحالة فيه فيصبح ، وهو في العراق ، شاعراً مصرياً يناجي النيل والترعة وينسى الفرات ودجلة ثم يغفل عن ان الشاعر مسؤول عن ارضه قبل ارض اخيه وعن سمائه قبل سماء زميله فيلصق شاعريته بارضه وسمائه ويستلهم لها ارضه وسماءه ثم يعكس في مرآته ارض الناس وسماءهم فيستلهم لتلك من هذه ويكون شاعراً عالمياً في شعبه

قبل ان يكون شاعراً شعبياً في عالم الناس .

واذ يتغنى في الخمرة والمرأة وهو في النجف ابعد المدن عن تعاطي هاتين، كيف يتسنى له ان يصلح مجتمعه وهو المسؤول عنـه قبل كل ناشيء. فيه لانه الشاعر فيهم وهل الشاعر الا سراج الامة ؟

« ان تغنى شادياً في شعره — خلب الالباب بالسحر الحلال »
« واذا الظلمة غشت افقنـا — بعث الشعر سليطاً للذبال »

فالشاعر ياسيدي هو المسؤول عن اصلاح شعبه وبهذا الاصـلاح يفرض احترامه على قومه ، وما أنكر ان مشقة الاصلاح قد تفضي بالشاعر الى البؤس والشقاء والوحشة من الناس ، ولكنها مشقة لو رافقت الشاعر معها حكمة ترشده وتأخذ بزمام عاطفته لتبين من خلال تلك المشقة امـلا يعلله بالسعادة بعد الشقاء وبالرجاء بعد اليأس وبالراحة بعد التعب ، ثم لرأى نفسه يتمشى مع قومه الى حياة يكون فيها موضع احترامهم ومحل ثقتهم ، وينزل من نفوسهم منزلة القديسين من حكماء ومشرعين .

ولكنا نرى الشاعر اول مايشعر ، يعمد الى اسوأ خلال الشعراء فيتبناها لنفسه ويغذي الشرور في بني جنسه فيعرض لأقوم ركن في بناء المجد المقدس في الامة ويحاول هدمه ، بينما يكون الشعب في أمس الحـاجات الى شاعر مصلح يرفع من قوائم هذا النبأ ويرمم المتداعي منه فيضيف اسمه الى اسماء المصلحين قبله فتضرب به الامثال وتقام له التماثيل في النوادي وعلى الصدور وفوق الابراج .

الشاعر كبير في الامة ولعله اكبر قائم على خلقها او بعثها من جديد ، امة خليقة بالحياة ، فهو الملهم بروحه ما لا يتصل به الحكيم في تفكيره ، اذا امعن في درس الانسانية التي كان لها قبـل ان يشعر ليخدمهـا وهو شاعر ، ودرسه هذا قائم على الفكر والخيـال اللذين يوجهان الشاعرية في معرض الالهـام .

اما ان يسترسل في شهواته ويسخر من هذا التوجيه ويعتبر نفسه مجبراً على مايقول ويفعل من وراء هذا الالهـام ، فيمثل لنا ابا نواس في النجف او الازهر ، واعمى المعرة في حدائق لندن او باريس ، ويعمد الى وصف المرأة او الخمرة او الزهرة في عهد توالت نكباته على قومه فضغطهم الظـلم حتى صبغت دماؤهم وجه السماء وحتى زعزع صراخهم تخوم الارض ، أما ان يفعل هـذا او شيئاً منه فليس خليقـاً بأن يكون الشاعر المصلح الذي يسمو بنفسه في صدور قومه ويكون القائم على بعثهم امة جديرة بالحياة .

فالشاعر شيء والشاعر المصلح المجدد شيء آخر فامتهان الشعب انما يتوجه نحو الشاعر باعتباره عاريا عن الاصلاح والتجديد ، واحترامهم يناله في عرض تجديده واصلاحه ، من اجل ذلك ساد امتهان الامة العربية لاكثر شعرائها اذ قصروا شعرهم على النواحي السقيمة في الحياة ، فشعر ابي العتاهية الذي نظم لينشد بين القبور قاموا بتمثيله في القصور ، وشعر ابن ابي ربيعة راحوا ينشدونه بين الخرائب وعلى الاطلال .

فما احوجنـا يا سيدي الى الشاعر الذي يجس النبض فيشخص الداء ثم

يركب الدواء ، وهل في الامة العربية اليوم مثل هذا الشاعر فنسألها عن لقبه اين محله من القاب المجتمع ونحكم على سموها وانحطاطها بسمو هذا اللقب وانحطاطه ؟ ؟ ؟

نعم لدينا من هذا النوع ولكن نفر ضئيل تسأل عنهم الامة في جيش لجب من الشعراء المسئولين عن امتهم وفي الطليعة الاولى من اولئك النفر انت ايها الشاعر الحكيم والمصلح المجدد ، وها هو البرهان بين ايدينا ما تلاقي ديوانك الجديد المعنون بمثل قولك :

اضاع صوابي عامل غير عالم سيسأل عنه عالم غير عامل

وقولك :

ياعبيد المال خبر منكم جهلاء يعبدون الوثنا

وقولك :

شر العصور وفي العصور تفاوت عصر به تتقدم الاوغاد
انظر الى الاعجاز كيف تصدرت وعمائم السادات كيف تساد

ففي هذا وامثاله من شعرك وشعر ابيك واخيك ونفر آخر من قومك برهان على ان لدينا شعراء خليقين باكبار الشعب تجديدهم وجهادهم ، لذلك نراهم في المنزلة اللائقة بهم تحت سماء الامة وليست المناصب التي يتقلبون فيها الا دليلا على ان الشعب يسمع ويبصر فيفكر ويقدر .

ايها القائد الجليل

لقد درستك وانا طالب وانت معلم يوم كنت تشخص الداء في جسم

الامة وتصف الدواء حيث تقول وانت مشرد عن وطنك :

بغداد اشتاق الشآم وها انا الى الكرخ من بغداد جم التشوق
هما وطن فرد وقد فرقوهما رمى الله بالتشتيت شمل المفرق

هكذا وقبل عشرات السنين كنت وحدك او معك مثلك تدعو الى الوحدة العربية التي يتبارى اليوم في الدعوة الى تحقيقها والائتمار بها اعيان الامة شعوباً وحكومات .

منذئذ كنت تلميذك اتأثرك في كل ما تقول حتى زرتك في النجف فرأيتك لا تزال مجهول القدر مخذول الناصر ، رأيتك امة وحدك تجلس فرداً وتفكر فرداً ، كثير التحديق الى الافق والشخوص الى السماء تستلهم الصمت ، فلا اسمعك الا في كتاب ولا اقرؤك الا في صحيفة ، وما زلت تدأب وتجد وتجادل وتناضل ثم تصبر وتحتسب حتى عرف القوم قدرك ، واتصلوا من ضميرك بسلك تصل معه الى الحق بين يدي الله فما تدعوهم الا اليه ، هتفوا باسمك وحملوك على رؤوسهم الى المنصب الذي سما بك وعلا تحتك ، فكنت في منصبك الرفيع اكثر تواضعاً منك قبله ، وفي افقك السامي كنت اكثر دماثة وقرباً من قلوب اخوانك في اللحم والدم لاتفرق بين صغيرهم وكبيرهم ، جليلهم وحقيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، كنت في هذا الافق ادمث اخلاقاً منك قبل ان تسمو اليه وتشرف على الشعب الذي عرفك فرفعك اذ وقفت على اصلاحه حياتك وضحيت في سبيل عزته ورفعته زهرة شبابك الغض .

منذ سموت الى منصبك في الحكم وانا ازور النجف مرة تلو مرة فاجد فيها القصور تشاد فتتضاعف من اثنين الى اربعة الى ستة ثم الى ثمانية عشرة وهكذا دواليك ستزداد عاما بعد عام تحت لوائك وبين يدي اخلاصك الحي وعملك الجبار .

قصور شامخة الذرى لم تشد في وطنك الاول ومهبط روحك الاولى لنعيم الدنيا الزائل ، ولكنها شيدت للخلود باسمك ، هي هي معاهد العلم الذي تغنيت به في قصيدك واشرت اليه في نشيدك وقلت هذا هو العلاج الشافي من الموت منذ فقهت الحياة وألهمت الاحساس بها في حظيرة الشعر الحي الخالد .

كم فوجاً تخرج على يديك منها وكم يتخرج ؟؟ عشرات الاطباء والمحامين والاساتذة والمهندسين اليوم يتوغلون في البلاد العراقية للاصلاح ، هم خريجو قصورك هذه او معاهدك التي اقمتها وقمت على الاصلاح فيهافكنت الشاعر حقا ، والمصلح حقاً ، ثم كنت القائد الفاتح والحكيم المجدد .

ولكم كنت مغتبطاً في عامي هذا وانا في الناصرية احد الوية العراق ! اذ زارني الدكتور شاكر اسكاف وبالغ في اكرامي دون ان اعرفه او اذكر شخصه حتى اذا عرفني هو بنفسه وانه احد خريجي تلك المعاهد السامين كلماتي يوم كنت ازورها واحاضر فيها ، وانه منذ اثنتي عشرة سنة يحمل لواء الثناء على اتأثره بتلك الكلمات .

افلا اكون مغتبطاً يا سيدي بان تتلمذت عليك ثم زرت معاهدك

واصبحت فيها خطيباً مصلحاً ثم لمست بروحي اثر هـذا الاصلاح في الشعب حتى كنت شريكك في تقديرهم واكبارهم ، ولمـا تزل تلحظني وانت في عليائك ، بالعين التي كنت تلحظني بها ايام كنـا معاً على بساط من التراب في الصحن العلوي او على ربوة وادي السلام ؟؟؟

ما احب ان استقصي خلالك في هذه الرسالة لانها ليست ديواناً يحيط بشخصك من جميع جهاته ، ولكنها ذكرى تعيد الى خيالي حقيقتك وانت تملي علي بعينيك الهادئتين وصوتك الخافت ومن ورائهمـا روحك الطيب وعقلك الرزين ، تملي علي في زياراتي المتوالية عليك في مكتبك وعلى ضفاف دجلة حيث يهبط الروح الامين بالهامه عليك ، كنت تملي علي ما يسمو بتلك الحقيقة في نفسي حتى يبوئها مكانة تهيمن على روح الشاعر .

احب ان اشكر لك في هذه الرسالة خلة واحدة لعلها تبرهن وحدهـا عن انك خليق باحترام الشعب لك وجدير بان تكون عنواناً سامياً له . ولعل هذه الخلة تبدو حقيرة في جنب ما يضطلع به المصلح في شعبه من اعباء الحياة ، ولكن زهد كثير من ذوي السلطان فيها رفعها الى المنزلة التي تبدو معها حلية الفضائل في رجال الحكم ، تلك الخلة هي سلامة قلبك ولسانك ويدك مما يصم العمل الصادر عنك وانت في منصبك ، تلك هي النزاهة !! نعم النزاهة في الحكم !!! وقليل اربابها في عهدنا الجديد الذي نسعى فيـه الى وحدتنا وتعزيز قوميتنا المنشودة .

لم اجتمع بانسان يطلق لسانه بالحكم على الشخصيات الا وكنت في

مقدمة من يرفع من رجالات الدولة العراقية اخلاصاً في العمل وحرصاً على المنصب الذي يعتز به الحكم وتقدسه الامة. أفلسنا يا سيدي، والاجنبي يشرف علينا، امس ضرورة الى الابراه عن اهليتنا للحكم واشد احتياجاً الى عظمتنا في نفسه من ان نتنادى الى الوحدة ولما نزل نصفع وجه العروبة بكل يد تحمل الصولجان او ترفع العلم ؟؟؟

نعم !! ان اسمى ما يرفع السلطان العربي في نظر الاجنبي المشرف عليه، جدارة بالحكم ونزاهة فيه، واخس ما يضعه من نفسه ويسف به الى موطأ قدميه، الجهل والظلم، والاجنبي المسيطر لا يبرح يرى القوة تظاهره على السيطرة ما دامت الامة في سلطان جائر، حتى اذا قيض الله لها رجالا اشربوا نفوسهم حب الوطن والانسانية فعلموا ثم عملوا باخلاص، بدأ المسيطر اذ ذاك يجمع رحله ويقطع علائقه ويستعد لوداع الشعب الذي انتدب للوصاية عليه والعناية بشؤونه، وانتقلت القوة من يده الى القادة الساهرين على مصالح الدولة وكيان الامة.

فنزاهتك في العمل هي الثروة الكبرى التي اثمرها احساسك في الشعب منذ شعرت فابرزت شعورك قطعاً من كبدك موزعة على ضفاف الرافدين وبردى والاردن والنيل فكنت الشاعر الملهم، والمصلح المجدد وكان منصبك هذا وليد اخلاصك لشعبك وتفانيك في الحق الذي الهمك الشعر، ثم كانت هذه النزاهة التي تشرف على الامة من كرسيك الكبير بك والذي ضمن لك وفاء اخلاصك وسيضمن لعقبك من بعدك اخلاص امتك

وبلادك له ولاعقابه .

بقي شيء واحد اريد بثه اياك : هو ان مادة الشاعر لا تنفد بنفاد شبابه، الا ان يخيم عليه اليأس ويقنط من الوحي ، وهذا اليأس والقنوط لا يهيمنان على الشاعر الحكيم الذي لم يفرط في الحياة الدنيا تلبية لشهواته ، فان الاعصاب التي هي مناط الشاعرية فيه ولعلها الاوتار التي يوقع الفن عليها وحيه والهامه ، هذه الاعصاب لا تتهدم بالحكمة والنضج ، ولا يعطلها عن تجديد النغم الا استرسال النفس في حمأة الرذيلة ، وايماني انك اسمى حكمة وشعوراً بالحياة من ابن ابي سلمى الذي بلغ الثمانين ولم يزل الشاعر الحكيم .

فما بالك ولما تزل في كهولتك صمت وسكت وسكنت حتى خلنـاك نسيت الشعر او تناسيته دونما عذر يبرر هذا النسيان وذلك التنـاسي ؟؟ أفليست دجلة مرآة قصرك وحديقتك في الكرادة المحبوبة لجيرتك وزائريك؟ أو ليست تلك النسمات العابثة بك في اصيلك وسحرك خليقة بان تجدد الشعر في نفسك كلما اخلقه الزمن بتبييض شعرك وتغضين جبينك ؟؟؟

أو َليس اكبار الامة عملك واخلاصك في سبيل تمدينها وتحضيرها اكبر عامل على ان تستمر في شعورك بالحياة فتستخرج لنا من كنوزها الدفينة في زوايا نفسك الحافلة بروائع الحكم وفرائد الابداع ؟؟

فماذا اسكتك يا سيدي ؟؟ وقد انهى الثمانين ابوك وهو يثمر شعورك وينهج نهجك ، وكنا نسمعه في هذه السن فنوسع احداقنـا لنتحقق من شبابه : اغاض فيه ام حـال بياضا نحسبه شيباً وهو شعاع الامل الفياض

في نفسه ؟؟

عد يا سيدي الى شواردك واوابدك ، عد الى عبقريتك الكامنة وراء نفسك المصهورة بعواطفك الثائرة ، عد الى نغمك العبقري المحبوب وردد على مسامعنا قولك الخالد :

كثير محبوك الذين تجلدوا   واما الذي قاسى هواك فواحد
دواوين هذا الشعر تفنى وللهوى   هوى الروح ديوان من الشعر خالد

الرسالة الثانية عشرة

صالح جبر

بغدادي الاصل ، عصامي المجد اتصل بالحكم فتقلد منصب الوزارة عدة مرات فكان قبلها متصرفاً وله في الاماكن التي تنقل فيها عدة اصلاحات رفعت منزلته في الشعب وهو اليوم يشغل منصب رئيس الحكومة بالوكالة ويكاد ينهد الى العقد الخامس من عمره ·

ايها الفاضل الكبير!!

لم اجتمع بك حتى درست سيرتك من قومك وحتى علمت ان الخليقين بزيارة الشاعر الحساس والكاتب الحر قليلون في عصر كثر ادعياء المجد فيه، ومن هذا النفر القليل انت واملك في الطليعة الاولى منهم.

ما اذكر اني زرت سياسياً على غير موعد منه وفي وقت قلما يفرغ السياسي للزائر فيه وكنت معجباً بتسامحه واقباله علي كأن لم يزعجه وطروقي وكأن لم يكن ثمة نظام عرفي في الاجتماع الى رجال السياسة الذين لا يتسع وقتهم لمثل هذا التسامح، ما اذكر ان ذلك كان مني مع احد سواك، وكنت اراني اذ أطرق الباب مرتاحاً الى انك ستلبي طلبي في الدخول وتجلس الي كأن لم ازعجك بهذه المباغتة ولم ارهقك باحتكار الساعة التي تنصرف فيها الى راحتك في بذاتك وعلى فراشك.

وكثير هؤلاء الذين يتكلفون سياسة الناس ويدعون اضطلاعهم باعباء الزعامات يحسبون من الرئاسة غلظ القلب وجفاء الطبع بين يدي شاعر يتحسس الحياة، او اديب يلفظ كبده على طرسه وهو يسجل حسنات المجتمع وسيآته ثم يبعثها سجلا خالداً يهذب بها المستقبل ويربي عليها الانفس.

كثير هؤلاء الذين يضعون على ابوابهم جلاوزة يسألون الزائر من هو ؟ فان كان من صنف اسيادهم دخل والا فالجواب قاصر على ان « البيك » نائم او غائب ولعله يسمع صوته من وراء الجدار وهو يعربد بين يدي مومسة وكأسه يستوحيها اصلاح شعبه وتهذيب امته .

كثير يا سيدي هؤلاء الذين يحسبون المنصب الذي يعرقون ويغرقون في سبيله ، سيارة تجتاز بهم الشوارع واعينهم معقودة بالافق فما يعيرون الجماهير المحتشدة في الاسواق عينا تجس او اذنا تحس خشية ان يلتقي بصرهم بما يكرهون النظر اليه او ان تعي اذنهم ما لا يطيقون الصبر عليه فيوحي ذلك اليهم من عبر الحياة ما هم في غنى عن درسه ومعالجته .

سبحان الله ! ألا ترى واحداً مثلك يسعى المنصب اليه ويجذبه بالرغم عنه الى العمل في حقل الحياة ؟ أكلنا نسعى الى المنصب حتى تكل ايدينا وارجلنا والسنتنا في التهالك عليه والانغماس فيه ؟ حتى كأنه علة وجودنا وكأن الحياة وقف على الامر والنهي في حظيرة السلطان ؟ ؟

سبحان الله ! أيكون الرجل في المجتمع يكدح ليله ونهاره متلفعاً بثوب العمل الذي يدفع عنه بؤس الحياة ، أيكون هذا متواضعاً خلوقاً دمثاً انسانا حتى اذا هيأ له القضاء منصباً خلص من كل ما يمت به الى انسانيته وارتفع الى حيث لا يعرف المجتمع الا انه بؤرة فساد لا يعيره لحظاً ولا يعد له انملة وكانت الحياة في نظره هزءاً بالاشراف وسخرية من عامة الناس الذين كان منهم ، ثم تقرباً من زملائه وتملقاً الى ساداته الذين رفعوا بضبعه حتى

صار فيهم ؟؟

سبحان الله يا أخي ! كم صديق كان لي في بغداد وغير بغـداد قبل ان يلبس ثوبه الجديد ، واذ كنا نعتز بالحياة التي تضفى علينا كثيراً من الانسانية بين علم وأدب وفن تسبغ علينا خفة من روح ورقة من طبـع ودماثة من خلق ، اصبح اليوم بعد ان تقمص منصبه او ذاق طعم المادة الاثيمة يتعمد الصلف والعتو والخيلاء حتى كأنه مخلوق من فراعنة مصر او طواغيت آل مروان وكأنه لم ينبت على ضفاف دجلة والفرات بين نخله الباسق وحدائقه الغنـاء .

علّم هؤلاء يا سيدي ان السيادة في الناس ليست وقفـاً على الانف الشامخ والطبع الجاف والخلق السيء ، علمهم ان السيادة هيمنة على القلوب، بما يشفعها السيد من تواضع وتحبب حتى يكون ألوفاً مألوفـاً يدرس العقول والاخلاق التي سادها فيضمن سيادتها له ولاعقـابه الذين ينهجون نهجه ، علمهم ان أسمى خلق في الزعيم تعهده اقلام الكتاب وتحاميه السنة الشعراء لانهم هم الامة وعلى تحريرهم يقوم تحريرها ،فاذا هضموا وامتهنوا كانوا عبيداً ارقاء ومشت الامة من ورائهم ترسف في قيود الذل والاستعباد .

لقد جرّ علي هذا البحث في رسالتي اليك ايها المصلح ما لمسته بروحي من الفرق بينك وبين كثير من زملائك في الخلق السامي والعمل الصالح وقـد كانوا قبل المناصب اكبر منهم اليوم ؛ اما انت فقد كنت صغيراً حتى اذا علا بك المنصب وكبر ، كبرت وعلوت شأن العباقرة الذين سادوا العـالم

وجلهم يقول :

لا بقومي شرفت بـل شرفوا بي

وبنفسي فخرت لا بجـدودي

اما الغاية التي من اجلها ابعث اليك بهذه الرسالة فهي شيئـان اولها : اظهار اعجابي لك بما كان منك من عمل ظهر لي أثره في كربلاء والنجف والكوفة من انشاء طرق وحدائق وشوارع وتعبيد امثالها ، ولكم كان ذكرك معقوداً بالسن من كنت ادرس الحياة على السنتهم ونحن نجتاز عشرات الاميال بين المسيب وكربلاء في ظلال النخيل والقصور لم يرهقنا غبـار ولا ازعجنا صعود وانحدار فظلنا نذكر بدموع الابتسام ايام كنا نجتاز هذه الطريق على حمار ادبر او في سيـارة أكل الدهر عليها وشرب اذ لم تكن الطريق صالحة الا لمثل هذه العجز من السواري .

سامحني يا سيدي اذا قلت لك : خير لمن يلي الحكم ان يكونوا تراباً من ان يحتكر هذا الحكم ثم يكون لصاً ، وخير له ان يكون لصاً من ان يكون خشبة تسندها الكرسي ، ولماذا ؟؟ لان اللص ينبـه الاعين ويثير الالسن فتضمن هذه للامة ان لا يخلفه لص آخر واما الخشبة التي لا تتحرك فليس فيها ما يوقظ عيناً او يحرك لساناً ، وهل السكون يبعث الحركـة في الكائن ؟؟ اللهم الا ان يسكن الشيء ليحرك غيره فنتخذ من جمود الحاكم تحريك المحكوم ، وأين هذا المحرك بسكونه قلوبنا وألسنتنا .

سامحني اذا قلت لك ، وقد جبت العالم من أقصاه الى أقصاه فلم اجـد

حا كماً يعلو منصبه ليحكم وفي قرارة نفسه شخص للعدالة يسدد منطقه ذا فكر ويطلق لسانه اذا قال ، اللهم الا من خشي الضرب على يده من مناوئه اذا ظلم فكان عادلا في الحكم ولكنه غير نزيه في اندفاعه الى الحكم ، من أجل هذا ساد الفساد في العالم وجن جنون العبقرية في تلوين الارض باصباغ هذه الدماء . واوحى الله الى بنيه فقال :

الظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

لعلك يا صاحبي معجزة هذا العصر بما تفعل وانت على منصة حكمك ، فقد بدأت اكذب هذه الظنون التي اقامت ، بيني وبين التصديق ان في العالم حكيماً ، سداً حائلاً يعسر على الواقع دكه ، لقد بدأت اكذب ظنوني وانا ادرس حياة رجالنا العرب فارى مثلك من يسهر لينام شعبه ، ويشقى لتنعم امته بالسعادة في ظل امانيها التي تحلم بها منذ قرون .

على اني انكر عليك ان تعمل وحدك وتترك غيرك يستوحي هواه فان المصلح لا يؤتى الحكمة حتى ينشدها لغيره كما توخاها لنفسه ، فان حكيمين في المجلس اقوى على اقامة نصاب الحق من واحد ، وثلاثة اقوى من اثنين ، فكن عبرة لزملائك فيما تعمل ثم اندبهم ليكونوا مثلك ، ولعلي مصيب اذا قلت لك اجبرهم على ان يتأثروك في تدعيم هذا البنيان الذي يندبك لتدعيمه مجدك وعروبتك بله انسانيتك الاولى .

ولست مستهدفك شخصياً بهذه الرسالة التي ابعث بها الى الحق في بطون

التاريخ ، وانما لمست بعض اعمالك وجلست اليك فوجدت انك مصدرها حقاً فشئت ان تكون رمزا فيما اقول لكل عربي تبوأ منصبا ينظر اليه المظلوم بطرف منكسر والظالم بعينين حائرتين بين خوفه ورجائه ، أيمينه على ظالمه ام ينتقم للحق منه ؟؟؟

ما احوجنا الى من يلحظ نفسه وهو يصعد الى منصة الحكم : من اين جاء والى اين يذهب ؟؟ بماذا تبوأ هذا المنصب ولماذا ؟؟ ماذا يترك في نفوس الناس اذا عدل وماذا يترك فيها اذا ظلم ؟؟ ماذا يسجل له التاريخ وكيف يقرأ ابناؤه هذا السجل في صدور الايام ؟؟ ثم يلحظ بعد ذلك : أيبني فيما يحكم ام يهدم ؟؟ وكيف يجب ان يخلد ؟ خلود الحق في قلب الكون ام خلود الشيطان على هامش الحياة الحافلة بالآثام ؟؟

ما ادري ولعل غذاء الروح بعد الموت هو هذا الذكر الذي يمنى به المرء بعد موته ان سيئاً وان حسناً ؟؟ فالروح بعد الموت ، وهي خالدة طبعاً ، تأكل حسناتها او سيآتها بفم كل حي حتى ترد على الله يوم الحساب الاكبر ، ولعلنا نحن الاحياء يعهد الحق الينا بمكافأة المحسن ومجازاة المسيء فيما نقول ونفعل ، فاكون انا العبرة وانا المعتبر ثم لا ادرك ذلك الا ان اشعر فافكر فافقه السر الذي من اجله امدح فلانا واذم فلانا ، على ان اكون الحكيم فيما اقول وافعل .

ايها الصالح المصلح !!

لقد جمعتني واياك زيارة كان ثالثنا فيها على ما اذكر ، الاستاذ كامل

الجادرجي صاحب جريدة الاهالي ، ولعل ما اشرحه لك الان هو الامر الثاني الذي استهدفه برسالتي اليك ٠

لقد سألتني عن مشاهـداتي في رحلتي الى العراق وشكوت لك فيما شكوته ٠ تنكر الزمان للنجف فوعدت بالتفرغ لاصلاحه ثم استطردت الى الكنوز المخبأة في غيابة المشهد العلوي المقدس ، وكيف مهدت لدخولك المخبأ السري مع من تثق به ويثق بك من سدنة الحضرة العلوية ورجال الحكومة ثم اسهبت لنا في وصف ما اشتملت عليه الخزانة من جواهر يعجز الوصف عن حدها وبيان روعتها ٠

كنت تصف وكنا نرتاع لوصفك ٠ فرائد ونوادر من المعـادن الثمينة والاحجار الكريمة في شتى الاشكال والصور والتماثيـل ، وكنت تمعن في اطراء عظمتها وتغرق في اكبار الفن المسبغ على صورها نقشا ونحتا وتلوينا ثم تأسف للاهمال المزري بها في غير نظام يحفظ جلالها وجمالها ، وعلى غير عناية تصونها من التلف ، وانك تفرغت لتنظيمها وحفظها بما يصون كرامتهـا ويحفظ روعتها عدة ايام خرجت على اثرهـا مطمئن النفس الى سلامتها من ايدي العابثين بتسجيلها في سجل خاص تحتفظ به الحكومـة تحت اشراف مجلس خاص من اعيان البلاد ورعاة الامانة في الامة ٠

ولقد بالغت في كرامة هذه الجواهر ونفاستها وتقدير اثمانها الى بضعـة ملايين من الدنانير ، وكنا نشخص اليك وانت مسترسل في الوصف والتقدير كانا نستمع الى اغرب ما تتلقفه الاذن من عجائب السير وغرائب الاحداث

في العالم ، ولقد كنا نسمع شيئاً مبهماً عن هذه الكنوز ، ولكنا لم نثق من صحة النقل على لسان من سمع ممن سمع ولم يبصر ، اما وقد سمعنا منك وانت الشاهد المبصر المتحسس من كل ما وصفت وامعنت في تقديره واكباره فلا يسعنا الا ان نشخص اليك ذاك الشخوص ونؤمن بما تنقل عما رأيت بعينك ولمست بيدك .

ملايين من الدنانير مدفونة في ضريح الامام ابي الحسن ومنشورة على قبره وفوق المآذن والقبب وهو العابد الزاهد في كل ما يشتمل عليه ذلك المخزون من كنوز هي في علم الله وحده تُجد ، وبعينه وحده تُرعى وتُحفظ .

ملايين من الدنانير في قبر من لم يصنها ولا حفظ لها حرمة في حياته تتدفق عليه بعد وفاته ، فماذا يصنع بها وهو تراب بعد ان زوى النفس عنها ايام كان يجتزىء من اللباس بالطمر البالي ومن الطعام بالقرص الخشب وفي متناوله اطائب الحياة ؟؟

امير المؤمنين وسيد العابدين يطلق الدنيا ثلاثا فيأكل الملح بالخبز الاسود من الشعير والجلبان ويلبس القطيفة الرثة المرقعة بخيوط من ليف ثم يفترش التراب ويتوسد الحجر ويبكي على نفسه فلا يُسمع الا قائلا : آه آه من نار لظى ، آه آه من نار نزاعة للشوى ، ثم يقول : لو شئت لاهتديت الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ، ولكن اعينوني بورع واجتهاد .

امير المؤمنين وامام المتقين ينتهر ابنته زينب اذ وضعت بين يديه الطعام خبزاً وملحاً ولبنا ويقول لها : اتريدين ان يطول وقوفي بين يدي الله يا زينب فتكثري من الوان الطعـام بين يدي ؟؟ ارفعي لونا وابقي لونا ، فتهم بان ترفع الملح وتبقي اللبن فيقول : لا ! ارفعي اللبن وأبقي الملح .

امير المؤمنين وشيخ الزاهدين يجن جنونه اذ يرى ابنته تتجمل يوم عيدها بعقد تراود عنه خازن بيت المال بضع ساعات ، فيهم بعقابها وهو يقول : من اخبرك ان المسلمين يرضون بان تتجملي بعقد لكل امرأة منهم حق فيه ؟؟ ثم انتزعه منها واعاده الى مكانه وعادت هي الى البيت منكسرة القلب .

امير المؤمنين واول المسلمين يكنس بيت مال المسلمين بيده ، ويكوي اخاه عقيلا بسيخ محمى أن طلب ما ليس له فيه حق من مـال المسلمين فيضج اخوه فيقول له : اتضج من نار سجرها المخلوق ولا اضج من نار سجرها الخالق ؟؟

امير المؤمنين هـذا الذي اذا انتصب للصلاة كان كالتمثال واذا سجد كان كالخشبة الملقاة من خشية الله فلا يشعر بغـير الله مطويا في نفسه ، يعبد الله بكل جوارحه ساكنة صامتة فاذا سُمع لهـا حس فانما تفصح بغير لسان قائلة : الهي ما عبدتك خوفـا من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكني رأيتك اهلا للعبادة فعبدتك ، الهي !! كفاني عزا ان اكون لك عبدا وحسبي فخرا ان تكون لي ربا ..

امير المؤمنين هذا ، ايها المدره الحكيم يستقيل من الدنيا في حياته ويقبل عليها بعد موته ؟؟ وامير المؤمنين هذا يطلق الدنيا وينفر منهـا وهو حي ثم

يواصلها ويرضى عنها وهو ميت ؟؟ حاشى امير المؤمنين ان تردهيه الدنيا او ان يقر على زخرفها حياً او ميتاً .

بالله ربك يا اخي ، سل مرجع الامة اليوم باي لسان ينطق الشرع فيجيز ادخار هذه الكنوز اجيالا وهي معطلة والله يقول : الذين يكنزون الذهب والفضة ثم لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم تكوى بها جباههم وجنوبهم، هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكنزون.

بالله عليك ! سلهم لمن يدخرون هذه الكنوز في ضريح الامام وشيعته تعاني من الجهل والفقر والمرض اشق ما يعانيه شعب كتبت له الحياة الحافلة بالآلام والاثام ؟؟ لمن يدخرون هذه الكنوز وفي النجف عاصمة ستين مليوناً من الشيعة ستون في المئة مريض في السل فقط بله المرضى التي تعاني غيره من الامراض السارية الفتاكة ؟؟؟

سلهم يا اخي !! ايغضب الامام علي ان تُنفق هذه الاموال في سبيل الله فتظلل اعلامها آلاف الطلاب في جامعات تنحط عنها جوامع اوروبا واميركا، ويستشفى بها آلاف المرضى في مصاحّ للطب الحديث، يسعد بها البائس، ويصح العليل، وترقأ دمعة المحزون .

لمن يدخرون هذه الكنوز ؟؟ ألِلمهدي وقد وعدنا الله على لسان رسوله بان يخرج فيملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً ؟؟ أمن يرسله الله ويضمن لنا تأييده بالعدل والقسط يحتاج الى كنوزنا وذخائرنا ؟؟ وهل امرنا الله بان نُعدّ له الذهب والفضة لينفقها علينا ؟؟؟

انا لا اصدق ان سيدي ابا الحسن الاصفهاني يغفل عن مثل هذا ، وانه يعتقد بان الامام ابا الحسن يتألم في قبره للبؤساء الصاخبين حوله يستصرخونه الشفاء من المرض والخلاص من الفقر ويستغفرون الله على لسانه لذنوبهم وآثامهم ، ثم هو يرى الكنوز المذخورة في كنفه والذهب مصهوراً على ضريحه وجدران بيته ، ويعلم ان ضريح اخيه وابن عمه سيد الرسل عار من كل ذلك.

ان لا اصدق ان هذا السيد المجدد « كما يبلغني » في كثير من الاحكام التي جمد عليها الرجعيون من الفقهاء ، لا اصدق انه ، وهو يصغي كل يوم الى ضريح الامام مما يلي الرأس ، لا يسمع نداء ابي الحسنين حتى الاستغاثة ، يندبه ويندب زملاءه من العلماء الاعلام لاغاثة المرضى والفقراء والمعتوهين وذوي الجهالة من امته ، بما يكتزونه من الذهب والفضة وكرائم الاحجار النفيسة فوق ضريحه وتحته منذ قرون كانت الشيعة خلالها ولم تزل عرضة لمصائب الدهر والجهالة والفقر حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة. واصبحوا مثلا سائراً في التأخر والانحطاط .

ليضعوا هذه النفائس ، اذا لم ينفقوها في سبيل الله ، في متحف مرصود يحج اليه العالم فيروا عظمة الامام في نفوس شيعته بعد الف عام ، ليخرجوها من مدافنها لترى هي وجه الله وتتحدث عن عظمته في نفوس العلماء ، وهواة الفن المسبغ على صورها واشكالها من زخرفة ونقش .

ما الفائدة من دفن هذه الفنون وقد اهديت الى الامام ليظهر بها فضل الصانع الاول والاخير ثم فضل المهدي والمهدى اليه ؟؟ أفلا تتحدثون ياسيدي

بنعمة الله الذي خلق هذه المعادن ثم خلق حماة الفن الذين صاغوا منها تلـك المعجزات القائمة على هذه الفرائد من اوان ومصابيح وأصص ترتاع لها عقول الجبابرة من عباقرة الامم ؟؟ أفلا تتحدثون بابرازها الى العقول بما تثمره العقول والى الافكار بما تبدعه الافكار ثم الى الاسماع والابصار بما يضيق عن وعيه السمع والبصر ؟؟؟

أخرجوها يا سيدي لنخرج بها من ظلمات الجهل الى نور العلم ، اخرجوها لنمشي على ضوئها في طريقنا الى الحياة التي تعصمنا من الظلم وتصون كرامتنا عن العبودية وتدفع بنا الى حيث نعز ونسمو ويكون مصدر هـذا السمو وذلك العز عظمة اجدادنا في نفوس محبيه من قبل ومن بعد .

قد اخطىء في فهم كل حكم شرعي ، وقد اكون جاهلا فهم القرآن والسنة ، وقد لا يكون في رأسي نواة اصل بها الى استنباط الاحكام عن ادلتها ، قد يقصر فهمي عن ذلك كله وقد يضيق صـدري عن القلب الذي يتسع لفهمه ، واما ان افهم ان الكنز هذه النفائس تحت الارض غير الجهـل والجمود ممن لم يفقهوا الشرع فذلك ما لا يستطيع صرفي عن فهمـه الا وحي يهبط علي من السماء .

كنوز مخبأة هي لنا لا ينازعنا فيها احد ، ونحن في أمس الحاجات اليها بين مرض يفتك فينا وفقر يهتك سترنا وجهل يكـاد يقضي بناشئتنا الى الحضيض الذي يضمحل معه الدين وتتدهور فيه الاخلاق، اللهم الا ان يدّعوا قصر اليد عن تناول هذه الجواهر والتصرف بها وان يد المرجع مغلولة عن

العمل من عالم ينازعه سلطان الدين او حاكم يقوم على امره ، وهذا ما لااظنه كائناً من عالم اذ لا اعتقد ان مرجعنا ابا الحسن اليوم ينافسه او يعاكسه احد من علمائنا ثم لا يكون هذا من حاكم يعلم ان هذه الكنوز ملك الامام السيد وليه يتصرف بها تصرف البابا في خزائن بطرس الرسول ، ولا يعارضه ملك مسيحي في العالم .

ولم نسمع بعالم فكر في صرف هذه الكنوز او افتى بجواز صرفها في السبيل التي يدعو اليها صاحبها وقام في وجه حاكم او عالم ، فعسى ان يتنبه لضرورة التفكير في هذه المخبآت واخراجها من مدافنها ثم انفاقها في وجوه البر والاحسان لينال الامة من فضل امامها بعد موته اضعاف ما نالها من فضله في حياته ، فان اثمان هذه الجواهر لو تنازلت الى مليون دينار لكان فيه بلغة تصل بنا الى نهضة تضمن لنا الحياة التي نحلم بها منذ قرون .

وبعد ، فاتقدم اليك ايها الصالح المصلح بالرجاء ان لا تعد هذا الاستطراد خروجاً عن موضوع رسالتي هذه التي ابعث بها اليك ذكرى اجتماعنا في دارك العامرة ، والامل وطيد بان نراك في مستقبلك اثقب رأياً وامضى يداً منك في ماضيك فتكون مثلا صالحاً لزملائك من مصلحي امتك ، كان الله في عونك وافاض على يدك الخير لشعبك وبلادك .

الرسالة الثالثة عشرة

العبيدي

السيد حبيب ، ينتمي الى الاسرة النبوية ويحمل لقب الافتاء في الديار الموصلية تقلد عدة مناصب منها نيابة الامـة بتمثيلها في مجلس التشريع ، يقطن الموصل . ويكاد ينهي العقد الثامن من سني حياته .

سيدي الاستاذ « الحبيب »

على قصر ايامي تحت سمائك اخيراً ، وضآلة تفكيري ايام عرفتك قبل سنين في ظلال النيربين ، اراني حريصا عـلى صلتي بك كأني منك ، وكأن شخصك عريق بتبوء المكانة السامية من نفسي .

ولكم ابوء بخسران فيما اكتب اذ ابعث برسائـلي الى العراق وليس فيها ، في الطليعة الاولى منها رسالة تحمل اليك شكرى واخلاصي فيما اشعر تجاهك ، أفما كنت موضوع كل اديب يشعر ، وكل عالم يفكر بما تشعرانت وتفكر ايها المفكر الحكيم الشاعر؟؟

لقد زرت الموصل واحسب انك احد اعلامها فاذا بك الموصل كلهـا واذا الموصل بك غرة في جبين العراق الناشيء ، والموصل كانت مصدر الفن من عهد الرشيد ايام ازدهار المدنية في العراق ، افـلا تزال كذلك في عهدك يا حبيب العراق ، وانت الشاعر الشاعر ؟؟

شيئاً واحداً اكبرته فيك فوق اكباري كل صفة كبيرة تحدرت اليك ن هاشم ، ذلك هو : اعتزالك الناس وازدراؤك الغوغاء منهم ثم اصطفاؤك من تطمئن الى علمه وادبه واخلاقه ، فقد رأيت صيوانك على شاطىء دجلة خليقاً بالشاعر المفكر ، يقطن فيه او ينزل ضيفاً عليه .

كم للعزلة يد صناع في خلق العالم والاديب والفنان ؟؟ تصقل الروح فتطبع القلب بطابع الحق المهيمن على النفوس ، ولعل هذا الطابع هو مرآة الفن الذي نشرف منه على سر الوجود المدفون في صميم الحياة ثم لا يتبينه الا الشاعر .

لقد اعاد الي طرافك هذا المضروب على تلك الربوة تحدق بها دجلة كالسوار وتطل بنا على الغيطان والسهول حتى ينتهي البصر . لقد اعاد الي ذكرى دار العروبة لاحمد زكي باشا على ضفاف النيل وقابلت بينك وبينه فاذا هو انت واذا انت هو .

جلست واياه بضع ساعات كانت كلها شكوى من الدهر والمجتمع وغيرة على العروبة والاسلام وجلست واياك كذلك فكان حديثك حديثه وكانت نظراتك ونبراتك كانما هي وليدة عينيه وشفتيه ، فما اشبهه بك . واشبهك به عالما اديباً ومفكراً حراً .

اما حديثه فقد كان يتجلى لي في النقمة على ادباء مصر الذين جازوا كل بحث في الادب الى الطعن على الاسلام ، وكان حديثك لي كذلك ولكنك حصرته في النقمة على الشاعر الرصافي بما اخرجه المجتمع العراقي من رأي جديد في كتابه « رسائل التعليقات » الذي صدر حديثاً وانبرى للرد عليه الاستاذ المفكر « دريني خشبة » في مجلة الرسالة المصرية الغراء .

تقول لي : ما ادري كيف غفل قلم المراقبة عن هذا الامر واباح له اخراج كتاب يتسمم النشء في كل جملة منه ، بينما نفكر ونمعن في التفكير

بخلق جديد يحفظ النشء من سموم الافكار القائمة على البغي والالحاد في الدين ، أفكان العراق يا اخي في حاجة الى هذا التضليل على ابواب حياته الجديدة المضطربة في وجه هذا التيار الجارف من الزخارف والاباطيل ؟؟

أفما كان الدين الاسلامي فضل على العرب ولمحمد بن عبدالله فضل عليهم بهذا الدين ؟؟ أو ما اخرج امته بدينه هذا من ظلمات الجهل والذل والفقر الى فجر المدنية والعز والثروة الصالحة من الاخلاق بل المال الذي هو حطام الدنيا ، افما كان العرب عبيداً ارقاء للاكاسرة والقياصرة فحماهم من البغي والاستعباد وقلدهم امرهم ثم خولهم هذه الملوك عبيداً تدين بدينهم وتخضع للحكم القائم فيهم ؟؟

أوَ ما عاد عهد العلم والحكمة والحضارة جديداً في عهدهم فبسطوا ظلهم على الارض وامتد سلطانهم من اقصى الشرق الى اقصى الغرب بفضل محمد ودين محمد وعروبة محمد واخلاق محمد ؟؟

أوَ ما كان منهم الفيلسوف والرياضي والطبيب والمفنّ والشاعر وكل اولئك لا تزال آثارهم تدرس حتى اليوم في اكبر جامعات اوروبا واميركا بفضل محمد ودين محمد واخلاق محمد وعروبة محمد ؟؟

فبماذا اساء محمد الى العرب ، بل بماذا اساء الى العالم ولا يزال التاريخ يحفظ قرآنه الذي جمع الاديان كلها في دين واحد يصلح للعلم والعمل ، ويصلح للمادة والادب ثم هو صالح لدين العالم ودنياه ؟؟ ولا يزال المنصفون من مؤرخي الغرب والشرق على اختلاف اديانهم واهوائهم يعترفون لمحمد

بالفضل على الانسانية عامة وعلى العرب خاصة بما جاء به من ناموس ينتظم العلم والاخلاق في حظيرة الدين ؟؟

بماذا اساء الينا هذا المصلح الاعظم حتى يقوم من اهله وخاصة من قومه اناس حصروا عقولهم في دائرة الشهوات ثم انبروا للنضال في معرض العقول الخالصة للحق ، يطعنون بلا فكر ، وينتقدون بلا اناة ، ويسخرون بلا ادب؟

واذا كان العرب قد وصلوا بفضل الاسلام الى الحضارة التي بسطت ظلها على العالم ولا تزال الى اليوم محل اعجاب الامم الحية من شعوب الارض ، واذا كنا نسعى في لم شعث الامة العربية وتوحيدها واعادة مجدها المسلوب اليها ورفع دعائمه على الاسس التي وطد اركانها الخلق العربي والدين الاسلامي ، اذا كان ذلك كذلك فكيف يسوغ لنا ان نعمل على هدم هذه الاسس او نربي الناشئة على امتهان كرامة الدين ونبذ الاخلاق التي بها اقمنا تلك الدعائم وعليها رفعنا هذا البنيان الذي نتبارى اليوم في ترميمه وكشف الغبار عنه ليضيء لنا فجراً اطلت شمس الحضارة من ورائه على افق العالم ؟؟؟

اعلم يا استاذ انا بالمرصاد لكل شعوبي فاسد في قوميته وخلقه ، فسنملأ الارض ضجيجاً وفي استطاعتنا بحول الله ان نملأها ، ونحن رجال الحدباء ، خيلاً ورجلا على كل من تحدثه نفسه بالنيل من كرامة محمد ودين محمد وعروبة محمد ، فان محمداً لم يمت ولن يموت ، وان قرآنه لا يستطيع الدهر بما فيه من حول وطول ان يقضي على احكامه او يشوه من بيانه ،

بخلق جديد يحفظ النشء من سموم الافكار القائمة على البغي والالحاد في الدين ، أفكان العراق يا اخي في حاجة الى هذا التضليل على ابواب حياته الجديدة المضطربة في وجه هذا التيار الجارف من الزخارف والاباطيل ؟؟

أفما كان الدين الاسلامي فضل على العرب ولمحمد بن عبدالله فضل عليهم بهذا الدين ؟؟ أو ما اخرج امته بدينه هذا من ظلمات الجهل والذل والفقر الى فجر المدنية والعز والثروة الصالحة من الاخلاق بل المال الذي هو حطام الدنيا ، افما كان العرب عبيداً ارقاء للاكاسرة والقياصرة فحماهم من البغي والاستعباد وقلدهم امرهم ثم خولهم هذه الملوك عبيداً تدين بدينهم وتخضع للحكم القائم فيهم ؟؟

أوَ ما عاد عهد العلم والحكمة والحضارة جديداً في عهدهم فبسطوا ظلهم على الارض وامتد سلطانهم من اقصى الشرق الى اقصى الغرب بفضل محمد ودين محمد وعروبة محمد واخلاق محمد ؟؟

أوَ ما كان منهم الفيلسوف والرياضي والطبيب والمفنّ والشاعر وكل اولئك لا تزال آثارهم تدرس حتى اليوم في اكبر جامعات اوروبا واميركا بفضل محمد ودين محمد واخلاق محمد وعروبة محمد ؟؟

فبماذا اساء محمد الى العرب ، بل بماذا اساء الى العالم ولا يزال التاريخ يحفظ قرآنه الذي جمع الاديان كلها في دين واحد يصلح للعلم والعمل ، ويصلح للمادة والادب ثم هو صالح لدين العالم ودنياه ؟؟ ولا يزال المنصفون من مؤرخي الغرب والشرق على اختلاف اديانهم واهوائهم يعترفون لمحمد

بالفضل على الانسانية عامة وعلى العرب خاصة بما جاء به من ناموس ينتظم العلم والاخلاق في حظيرة الدين ؟ ؟

ماذا اساء الينا هذا المصلح الاعظم حتى يقوم من اهله وخاصة من قومه اناس حصروا عقولهم في دائرة الشهوات ثم انبروا للنضال في معرض العقول الخالصة للحق ، يطعنون بلا فكر ، وينقدون بلا اناة ، ويسخرون بلا ادب؟

واذا كان العرب قد وصلوا بفضل الاسلام الى الحضارة التي بسطت ظلها على العالم ولا تزال الى اليوم محل اعجاب الامم الحية من شعوب الارض ، واذا كنا نسعى في لم شعث الامة العربية وتوحيدها واعادة مجدها المسلوب اليها ورفع دعائمه على الاسس التي وطد اركانها الخلق العربي والدين الاسلامي ، اذا كان ذلك كذلك فكيف يسوغ لنا ان نعمل على هدم هذه الاسس او نربي الناشئة على امتهان كرامة الدين ونبذ الاخلاق التي بها اقمنا تلك الدعائم وعليها رفعنا هذا البنيان الذي نتبارى اليوم في ترميمه وكشف الغبار عنه ليضيء لنا فجراً اطلت شمس الحضارة من ورائه على افق العالم ؟؟؟

اعلم يا استاذ انا بالمرصاد لكل شعوبي فاسد في قوميته وخلقه ، فسنملأ الارض ضجيجاً وفي استطاعتنا بحول الله ان نملأها ، ونحن رجال الحدباء ، خيلاً ورجلا على كل من تحدثه نفسه بالنيل من كرامة محمد ودين محمد وعروبة محمد ، فان محمداً لم يمت وان يموت ، وان قرآنه لا يستطيع الدهر بما فيه من حول وطول ان يقضي على احكامه او يشوه من بيانه ،

وان مجـد العرب لا يقوم الا على اساس الاخلاق التي اقامها محمد ناموساً للعرب يصعدون باتباع سننه حتى الملكوت ويهبطون باجتنابها الى الدرك الاسفل من جحيم العبودية والذل »

ذلك ما احببت ان اسجله لك ايها السيد من الخلق الفاضل والمبدأ الحي والعقيدة السامية في هذا الكتاب الخالد ، وذلك ما كنت معجباً بخوضك فيه وانت تمعن في بيانه عـلى من حولك من رجال الحدباء الذين يسمرون في دارك العامرة ليلة كنت نزيلك فيها ، ولعلك تقيمني على عذر في اختصار حديثك وتلخيصه الى هذا الحد فان ما اثبتـه انما هو ما علق في ذهني من ذلك الحديث البالغ حد الاعجاز ٠

ولقد تعجب يا سيدي اكثر من عجبك هـذا اذا قلت لك ، ان نادي القلم في بغداد عندما بلغـه حيف الرصافي بتناوله الاسلام في كتابه ، وكل الى الاستاذ « دورى » درس الكتاب وتلخيصه ثم قراءته في جلسة تعقد خصيصاً له ، وكنت من شهود تلك الجلسة وسامعي ذلك التلخيص فلم يأت المحاضر على جملة واحدة يشعر السامع فيها بجور الرصافي عـلى الدين وباعثه ، وعلى العكس كان يثبت جهـاد الرصافي في سبيل الدفاع عن الاسلام ٠

وبعد ايام تطلع علينا مجلة الرسالة الغراء طافحة بنقد الكتاب وفيها جمل الرصافي الجائرة بنصها ، وفيها بغيه على الدين بصراحة ما بعـدها صراحة حـتى حسبت ان الاستاذ دورى كان يحاضرنا في نادي القلم عن

غير هذا الكتاب وكانه درس كتاب الابطال لكارليل وكشف بمحاضرته عن رأي هذا الكاتب الانكليزي في محمد ودينه ودفاعه المتعصبين من مستشرقي اوروبا عن صدق محمد في قرآنه وصحة ما سن للعالم من نظام عبقري خالد .

ولا ادري اي عذر اقيم الاستاذ الدوري عليه ؟؟ هل كان مستخفاً باعضاء نادي القلم فحاضرهم عن كتاب لم يطلبوا اليـه ان يحاضرهم عنه ؟؟ ام مر بالكتاب مر الكرام فاخذ الحسن واغضى عن السيء ؟ ؟ أم اجترأ ببضع صفحات منه كانت لحسن حظ النادي من حسنات الكتاب ؟؟ ام شاء ان لا يتسع الخرق على صديقه الرصافي ولا يحدث في النادي ضجة تؤول باعضائه الى الانشقاق اذ كان فيهم الناقم على الرصافي والراضي عنه ؟؟؟ احد هذه العوامل كان لا محالة وفي ذلك برهان على حكمة الاستاذ وحسن اناته أن عزل النادي بمحاضرته عما ليس في مفهومه ولا هو من اسسه التي بني عليها …

وبعد فكم احترم هـذه العاطفة فيك يا سيدي فقد ابرهت لي عن انك مسلم صحيح العقيدة ثابت الايمان ، وانك هاشمي تحدرت من صلب محمد بن عبدالله مصلح العرب الاكبر ، وانك قديم على احسن ما يكون القديم بخلقك وزيك وعروبتك ، وجديد باسمى معـاني الجدة عملا واخلاصـاً وتفكيراً ، أفما كان القائم على تكريمي في دارك شبـاب هم من صلبك وجلهم يملك ناصية العلم الحديث بين محـام وطبيب ؟ اذن فما احراك بلقب

الماجد في الطريف والتالد ٠

ولا احب ان أغفل حديثاً كان له تأثير بالغ في نفسي اذ حملك عليه سؤال القاه بين يديك سائل قد يكون متعنتاً على ما اذكر حيث قال : ما الحكمة في جواز زواج المسلم من المرأة المسيحية وعدم جواز ان تتزوج المرأة المسلمة من الرجل المسيحي ؟؟

فأجبته انت ، ولله انت في جوابك السديد وبعد نظرك في تجرير الاسلام مما يشوه حكمه او يعمي حكمته على الناقد المتعنت ، وخلاصة جوابك الحكيم فيما يأتي :

لما كان القرآن يجل المسيح وأمه ويعظمها ويجعلها في عداد القديسين والانبيا. كانت المرأة المسيحية في بيت زوجها المسلم عالية الرأس معتزة بدينها فما تشعر في بيتها ومع شريكها في الحياة ، بما يخدش عقيدتها ويكسر قلبها الزاخر بعواطفها الراسخة في صلب كيانها ، ولما كان الدين المسيحي يمتهن كرامة محمد ولا يعترف بنبوته وصدق دعواه ، ثم لا يقيم لشريعته وزناً في الحياة ، كانت المرأة المسلمة في بيت زوجها المسيحي خافضة الرأس ذليلة النفس تشعر بين كل لحظة ولحظة باحتقار دينها وامتهان عقيدتها ، وذلك ما يكبت عواطفها ويقيمها على مضض تتجرع من ورائه الغصص وتقيم معه في جحيم من عذاب الدنيا ٠

والدين الاسلامي لم يقرر في منهاجه الخالد حكما يذل به المسلم ذكراً كان ام انثى ، ففي حكمه هذا على المسلم ان يتزوج بكتابية وحجره على

المسلمة ان تتزوج من كتابي حفظ الكرامة المرأة مسلمة كانت او مسيحية او يهودية ، إذ لم يسيء اليها في عقيدتها التي نشأت عليها وغذت بها عواطفها حتى صارت أماً تغذي بلبنها العواطف .

فلئلا تكون المسلمة في دار الكتابي ذليلة حجر عليها الاسلام الزواج من غير المسلم إبقاء على عزة نفسها وكمالها الانساني ، ولئلا يكون الدين الاسلامي حائلا بين الانسان واخيه ، وهو دين مدني بفطرته ، اجاز للمسلم ان يتزوج من غير المسلمة ليكون هذا الزواج صلة تربط المسلم بغيره فلا يكون مدعاة للشقاق والتنافر بين بني الانسان…

فلم يكن حجر الدين على المسلمة ان تتزوج من غير المسلم ناشئاً عن عصبية مقيتة ولا عن نقص اجتماعي في نظام دينه ، وانما يلحظ هذا في الدين الذي ينسب الكذب الى محمد في دعواه وينزع الثقة من صلاح دينه للحياة ثم يحجر على فتياته وفتيته الاقتران بفتية ذلك الدين وفتياته ، فلو قدس الكتابي نبي الاسلام كما يقدس الاسلام انبياءه ورسله لما عدمت الاديان هذه الروابط التي تصل الامة بالامة والانسان بالانسان »

فما احراك ، على ما قلت ، بان تكون مشرعاً ومصلحاً ومجدداً ، فالفكر مهما سما فلا يسمو بالمفكر على انسانيته ، ولكن الذي يسمو به على هذه الانسانية ويحشره في زمرة العوالم العلوية انما هو اخلاصه فيما يفكر وثباته على العقيدة التي يثق بصحتها وخلودها ، ولقد كنت من هذا النوع اذ لحظت فيك وانت تفكر ثم تقول ، انك كنت مخلصاً في تفكيرك وقولك

لم يأخذك به عجب ولم يحملك عليه تعنت او اعنات ٠

ولا احب ان اختم رسالتي اليك قبل ان اشير الى ميزة لك قد تتجلى في كثير من قولك وكتابتك ، تلك الميزة هي ميزة الشعر التي عرفك بها العالم العربي قبل ان يعرفك بميزة العلم والفقه فيه ٠

انك لشاعر يا اخي ، وحسبي ان اثبت شاعريتك في هذه الرسالة للتاريخ لا لك ، وبماذا يكون الحر شاعراً ويكون الشاعر حراً اذا لم يخلد مثلك بقولك :

زهرة الوادي اليك المشتكى — والى واد به نشرك فاحا
كل ليلي إن تشاني سحر — ومسائي عاد ان شئت صباحا
زهرة الوادي انا بلبله — أملأ الوادي غناء ونواحا
فأمري بلبل واديك ، فان — شئت غنى واذا ما شئت ناحا
ليتني كنت فراشاً مد في — افقك الظل اذا مد الجناحا

ليتك يا اخي كنت ايام ابراهيم واسحاق الموصليين فيشعران شعورك في هذا الوادي ويقيمان فريدك هذا دعائم للالحان التي استعبدوا العالم بها ، أفأنت قائل هذا ايها الحبيب ؟ ثم أأنت القائل بعده :

ما خلت اهليك موتى — وانت يا شرق قبر
أما لديك شعور — فلا يهزك شعر

*

عقتك ابناء سوء — من قبل عقوا الجدودا

لقــد اضاعوا قديمــاً وما اصابوا جديدا

انك لشاعر يا اخي ، وان في بيت واحد يحمل هذا الشعور لبرهانا على الشاعرية الخصبة والروح الفيــاضة بالشعر ، اذن فأذع يا صديقي افكارك الحرة في نظمك ونثرك لتصلح شعباً يحتاج الى اكثر من شاعر مصلح مثلك ولعلي اعود الى الافاضة في البحث معك عما نحن في أمس الحاجة اليه من علم وتفكير ،فقد أرد العراق ثانية وتكون لي فيه جولة اخرى أدون بها رسائل أخر كانت وليدة سمر وتفاهم بيني وبين علماء وادباء قطر العراق المحبوب الى العروبة واهلها ، أفأنت على استعداد الى مثل هذا البحث يا سيدي الحبيب : فالى اللقاء القريب .

الرسالة الرابعة عشرة

سوق الشيوخ

بلدة النائب الكريم ابي الجواد الشيخ محمد حسن حيدر ، وهو من علماء وادباء المنتفك ، ومن اعيان البلاد العراقية المرموقين ، منزلته سامية في نفوس شعبه ، نشأ في النجف وبها تثقف ثم عاد الى وطنه وانتخب عنه في مجلس التمثيل العراقي ويكاد ينهد الى العقد الخامس من سني حياته .

أي ابا الجواد !!!

يتساءل الناس في سبب هذا الحب الذي تنعم به في قلوب عارفيك حتى كأنك في كل قلب . ويراك كل منهم اكبر مما ترى نفسك حتى كأنك في كل عين عين ، أفلا تقر الحقيقة في نفسك انك في كل صدر منهم قلب نابض وفي كل وجه عين بصيرة ؟؟؟

انت يا اخي من شواذ الطبيعة اذ كنت حريصاً على كل قلب أن يعيك وعلى كل عين ان تقرّ بك ، ثم لم تقف عند هـذا حتى كنت كما تحب ان تكون فوعاك القلب الذي احببت ان تسكنه وقرت بك العين التي شئت ان تكون قريرة بك .

قلب طرفك في قلوب الناس واسبر غورهم فهل تجد فيهم من يحرص حرصك ثم يحقق هذا الحرص فيثبت في قلب من احب وتقر بـه عين من يشاء ؟؟؟ تلك هي معجزة الطبيعة فيك ، فان احداً من ابنائها يشاء ويحقق مشيئته ، ويحب ثم يُقر حبه ، لم يترعرع في حجرها بعد .

وكثير من الناس لم يفقه السر الذي بعث في نفسك هذا الخلق ورسم في لوحها هذه السجية حتى كنت نسيج وحدك ان لا يكن في العـالم كله ففي العالم العربي وإن لا يكن في هذا ففي العراق الذي هو مهبط العروبة

وموئل العرب .

أفقليل على العـالم ان ينبغ فيه افراد قليلون يعتز بهم النوع البشري ويفاخر الملكوت بسمو ما تخلقوا به من سجايا تضمن لهم المحبة في القلوب والثناء على الالسن حتى اصبحوا في افق ينحط عنه نوعهم ويشاركهم فيـه نوع اسمى من الانسان ؟؟؟

ولعلي ارى غير قليل ان يكون من هـذا النوع فرد واحد يحرز هذه المنزلة في العالم ، لاني ، وانا الرحالة العـالمي ، لم اقبض بيدي يد رجل في الشرق او الغرب قد اخلص لنوعه حتى اصبح مثـلا أعلى فيه ، ولا تحدث اليَّ رجل فلمست من وراء لسانه قلباً يمتد اليَّ قبل يده ، ولا نظرت في عيني رجل الا واوغلت روحي في روحه فأشرفت منها على واد سحيق تتردى فيه الفضيلة وتغور في قرارته مكارم الاخلاق :

فاسمى رجال هـذا النوع الانساني من ملك فضيلة الى جنب مائة من الرذائل ولعل اكثر من نصف المجموع البشري من يملك الف رذيلة ثم لايملك فضيلة واحدة الا وهي طريقه الى الرذيلة ، من اجل ذلك تأصل الشر في نفوس البشر حتى اصبح غريزة يتقوم بها الانسان ، وحتى تعذر على الخير ان يناهضه ويخلق لنا افراداً تمسك النوع ان ينهار فيتلاشى .

عزيزي ابا الجواد !!

وما احبها كنية الى نفسي وابرد حرها على كبدي ، ان في العـالم اليوم تسعماية من كل الف من يعمل ليعيش بذاته ثم لا يلحظ غيره ، وليس فيـه

عشرة من الف تعمل لذاتها وقد تلحظ الغير فيما تعمل ، وهناك في ثنايا هذا الثوب البشري الفضفاض ، من تشعر به الروح ولا تكاد تقع عليه العين ، من يعمل الخير للغير ، ويلحظ ذاته ، واما من يفعل الخير في سبيل نوعــه وينسى نفسه حتى كانه معدوم ، فهذا ابعد من ان تقع عليه العين وتشعر به الروح الا في خيال الشاعر وقد يتحقق فيما لا يشعر الحس .

فكن يا ابا الجواد من هذا النوع الذي يعمل الخير لغيره وينسى نفسه ، افتكون؟؟ ولعلك كائن بما ارى واشعر في مجتمعك اذ لم اتحدث ولا تحدث الي شخص عنك الا وكنت عنوان الفضيلة الدائرة على الالسن .

فانت اذن من شواذ الطبيعة ومن هؤلاء النفر الذين يفخر بهم نوعهم على النوع الذي يفوقه من هؤلاء الذين يجمعون الى جنب الرذيلة ، ان صحت ، الف فضيلة وفضيلة ، بريئة من ما يشوب العمل الصالح من نية شر او مغبة سوء .

انت رجل اوتيت من العلم ما يعوز شخصك ، ومن الادب ما تستهوي به الادباء ، ومن الفن ، وخاصة الشعر ، ما يحمدك اليه هواة الفنون ، ومن الاخلاق السامية كالمروءة والغيرة والشهامة ما تخلد به في قلوب الناس ، ومن الاباء والشمم ما تخف به على جليسك ويدني منك اصلف الناس طباعاً واخشنهم قلوباً .

ثم اوتيت الى كل ذلك ، رقة في طبع ، ودماثة في خلق وسخاء في يد ، يضمن لك كل ذلك منزلة رفيعة في نفوس شعبك ، ومكانة سامية في قلوب

اخوانك الذين يشركونك في العلوم والاداب ، حتى كأنك بهذا كله ، صلة وثيقة بين العامة والخاصة ، وحتى اصبحت الرجل الوحيد المخاطب بقول الشاعر :

ابا جواد يا كثير الخلان يا واسم الجود باسمى عنوان
توجت في السوق شيوخ البلدان عمائم احتلت قلوب التيجان

لا اريد ان تكون معصوماً يا اخي ولا تريد لنفسك هذه العصمة ، ولا اظن احداً في العالم يدعيها لنفسه ، اذن فانت من طينة هؤلاء البشر يصيبك ما يصيبهم من حسنات الدهر وسيئاته ، ويقع عليه ما يقع عليهم من سانح الطير وبارحه .

فالذي يجمعك بالناس على شرفات العز ويربطهم بك في نعيم المحبة انما هو ما ذكرت من اطايب ثمار الطبيعة في تكوينك وروائع فنونها في تلوينك اما الله خالق الطبيعة فهو القائم على تخليد هذه الصفات فيك وعلى معونتك في توثيق تلك الصلة بينك وبين الناس بامدادك من لطفه وكرمه .

فليست الخلال الحسنة ضامنة لذيها ان يخلد في قلوب الناس محترماً محبوباً ، ولكن احاسن الخلال هي التي تضمن له هذه المنزلة ، فصفاتك التي اسرت بها قلوب اخوانك ليست حسنة فحسب ولكنها احسن الحسن مما يرفع الناس ويضمن لهم الخلود في رفعتهم .

ان كرم الطبع وسخاء النفس وبراعة الادب وتذوق الفن واباء النفس والتضحية في سبيل الواجب ثم الصبر على مكروه ما يجر ذلك عليك ،

ان هذا من احاسن ما يسعد به من توفر لديه ، وان في هذا وحده ضماناً للنفس من الزوال وابقاء عليها في عالم الخلود ·

وغير عجيب ان يكون فيك ما ارى فان التربة التي جبلت منها ، والمحيط الذي نشأت فيه ، والاسرة التي ترعرعت في حجورها ، كل ذلك ساعد على تقويم كيانك وتثقيف روحك وتهذيب طباعك ·

فابوك ، الذي هو عميد اسرتك ، ان لم يكن هو باعث النهضة الجديدة في العراق فهو احد المقدمين في بعثها ، ومحيطك « المنتفك » هو اللواء الاول الذي يعتمد عليه العراق في نهضته وتحريره ، وتربتك « سوق الشيوخ » هي التربة الزكية وهي النجف الثاني في العراق ·

أفليست النهضة الادبية تكـاد تفوق الاعجاب في شبابها المثقف وشيوخها المحنكين ؟؟ حكمة في الشيوخ ، وحماسة في الشبـاب كوّنتا في هذه البلدة لفيفاً من الرجال يحملون بأيمانهم النهضة في العراق وطنية وثقافة ·

تلك هي تربة سوق الشيوخ وذلك هو نتاجها · أفعجيب ان تنبت ، فيما تنبت ، ابا الجواد وامثال ابي الجواد ، وفيها من الثقافة الفطريـة ما يعوز جامعة علم وفن وفيها من الاخلاق ما يقيم في الشعب دعائم يقوم عليها بيت الامة المعمور ؟؟؟

فالله لا يخلق وحده الانسان يا ابا جواد حتى يكله الى البيت والتربـة والمحيط ، واذ تضع البـذرة في الحقل وتتوقع خصبها ، فاختر لهـا التربة الصالحة وأقم عليها من تربيتك ما يضمن لها الخصب والزكاة ·

ولعلي اسهبت في محاضراتي عندكم وعلى ملأ سوقكم العامرة وفي مكتبة الارشاد التي ينضوي تحت لوائها شباب السوق وعلى رأسهم الاديب الحبيب حمدي آل حمدي . لعلي اسهبت كثيراً في هذا الموضوع ، وقد اتيت على شيء منه في الرسالة التي وجهتها الى « نادي القلم » العراقي من هذا الكتاب .

اما ادباء السوق والناصرية الذين شملوني بعطفهم في الحفاوة التي رفعتني فيهم عن منزلتي ، اما هؤلاء فلهم فصل خاص في كتاب غير هذا سيصدر قريباً انشاء الله .

نعم يا ابا جواد !

لقد فسرت هذه العواطف التي كانت قصيدة عزيزي الجواد في مقدمتها ، لقد فسرتها بانها احدى حسناتك الحسان ، وانها بذرة من بذورك نمت واينعت ، وفي حقل هذا الكتاب ، كان نموها وخصبها .

على اني الومك ولا اعذرك في كبت هذه العواطف حتى جاءت فوضى ، أفعندك من الصبر حتى تصغي انت واقول ؟؟؟ فاني اعهدك في ايامك هذه اجارك الله منها وحرس قلبك من كل ما يسوء ، اعهدك ضيق الصدر قليل الصبر ، افتسمع ؟؟

عليك ان تعمل جهدك في تأسيس جمعية للشباب المثقف ، وان تعمل على بناء ناد فخم يلم شتاتهم ويجمع كلمتهم ثم عليك بعد ذلك ان تتعهد هذه الجمعية وذلك النادي بوسائل التنشيط والتعزيز حكومة وشعباً ، فقد

رأيت من الذكاء الفطري في شبيبة « السوق » ومن الاندفاع في سبيل الادب ما يؤلمني جداً ان لا ارى له جامعة تربط حلقاته في سلسلة تنتظم العلم والادب والفن .

لم اكون مغتبطاً في ان ازوركم ثانية في هذا العام واراكم قد نفذتم هـذا الاقتراح ، ووقفت بينكم خطيباً ادعوكم للعمل المثمر في حقل الحياة ، فان العمل المثمر لا يمكن ان يكون وليد الفوضى وانما هو وليد النظام .

أفتحقق لي هذه الامنية فنصل بفضلها الى وضع قانون لهذه الجمعية التي ارجو ان يكون اسمها : « شباب الشيوخ » ويكون احد بنود ذلك القانون اقامة سوق مباراة للشعر والنثر على رأس كل عام ، وعلى ان اكون من شهود هذه السوق كل سنة ولعلي ادخل في مباراتها ؟؟

هذه امنية لي اؤكد رجائي في تحقيقها وليس ذلك على الجواد وابيه وشباب السوق ببعيد ، فان الامة بحضارتها ، والحضارة انما هي عصارة الثقافة فيها ، والثقافة وليدة العلم والادب وهذان انما يقومان على التضامن والتضامن انما ينهض بالامة في مؤسسات تنشأ للتفاهم والتعارف والتآلف والتفكير .

يا صاحبي :

ان من الحياة لمعجزة للشاعر الحساس مثلك ، أفما ترى ان الخلود فيما يسوده النظام من جماد ؟؟ ان منه ما يعمر ملايين الاعوام ، فـاذا انحط الى النبات كان حده الاعلى في الخلود بضعة آلاف سنة من السنين ثم اذا ترقى النبات

لى الحيوان زالت عنه سمة الخلود واصبح المعمر لا يكاد يتعدى المائة من سني حياته .

أفكان حتما طبيعياً على الحيوان اذا انحط الى الجماد ان يكتب له الخلود وعلى الجماد اذا ارتقى الى الحيوان ان يكتب له الفناء ؟؟ كلا يا اخي ليس الخلود والفناء من لوازم اي هذين ، ولكنهما وليدا نظام الحياة وفوضاها ، فعلى مقدار انتظام الكائن جماداً او حيواناً ،في سلك النظام الطبيعي يكون خلوده، وعلى مقدار تسرب الفوضى اليه كان فناؤه .

جرب النظام بنفسك طعاماً وشراباً ومناماً ولباساً وحركة وسكوناً تجد القوة التي تنشأ عن هذا النظام تشير لك الى الخلود النسبي ، ثم جرب الفوضى في كل ذلك ، فكل بغير جوع واشرب على غير ظمأ ونم في النهار واعمل في الليل وتحرك عند التعب واسكن عند الراحة ، تجد الضعف الذي ينشأ عن تلك الفوضى يشير لك الى الفناء النسبي .

وكلمة النسبي في الخلود والفناء هنا تعني ان الخلود والفناء الازليين لا يتحققان في الوجود ؛ الا حينما تفرضه عقلاً على الوجود فان الخلود الازلي خليق به وحده ، واما خلود الكون فهو نسبي لانه بالنسبة الى خالقه فناء . وبلحاظ ما يندرج فيه خلود ، ولعلك ترجع فيما يغنيك عن التوسع في هذا البحث الى الرسالة الثانية من هذا الكتاب .

ألمت الى هذا البحث بشي يسير لأدلّ على ضرورة النظام في حياتنا الراهنة وان تقهقر الامة العربية ناشيء عن الفوضى السائدة في حياتها ،

فالاخلاق التي هي نواة الحياة فوضى ، والعلم الذي تتكون به الحياة فوضى والادب الذي تتلون به الحياة فوضى ، والفن الذي هو روح الحياة فوضى .

فاذا تسربت الفوضى الى مادة الحياة وهيأتها ولونها والروح المتغلغلة فيها من مبدعها الاول فكيف يكون خلودها ومن اين ؟؟ أفلا تقول معي يا اخي ان الخلود نظام قائم في الخالد وان الفناء فوضى قائمة في الفوضوي ؟؟

ولعلك تقول : هل تضمن لنا الخلود اذا عمدنا الى تنظيم ما اقترحت علينا من تأسيس جمعية وناد في بلدنا « سوق الشيوخ » ؟؟ اظنك اكبر من ان تقول ذلك ولكني اجيب على هذا الفرض من يدور في خلده شيء من هذا السؤال :

ان الخلود خلودان معنوي ومادي ، اما الخلود المادي فقد فاتنا ايجاده او وجوده لان الفوضى الازلية في كيان الانسان تحول دون الخلود ان يناله من النظام الحادث ، فقوة استمرار الفوضى من ملايين او آلاف السنين تجعل من الصعب الشاق على النظام الجديد ان يضمن الخلود المادي للانسان ، وانما يمد في اجله على مقدار اجل هذا النظام ، وليكون الانسان خالداً بمادته، يحتاج الى التقيد بالنظام على مقدار استمراره في تلك الفوضى .

واما الخلود المعنوي فكائن بالنظام لان النظام امر معنوي يؤثر في عالمه فوق تأثيره في عالم غيره ، واما الفوضى التي هي كسر النظام وهدمه فيكون تأثيرها على المادة القابلة للنظام ، أولا ترى ان الطب الروحي يؤثر على معنى الانسان فوق تأثير الطب المادي على مادته .

فكم يكون من الشاق على الطبيب ان يعيد رجل الانسان بعد بترها بينما نرى التهذيب الخلقي يسهل عليه ان يعيد الى الانسان ما يفقده من خلق؟ فالروح لشدة اتصالها بالتيار الروحي العام المسيّر بنظـام الكون الاعظم، تتأثر بالنظام الروحي الجديد، واما الجسد فلبعده عن التيار الروحي بكثافته التي فصلته عنه، ضئيل التأثر بالنظام المادي الحادث .

اذن فالخلود الذي اعنيه من نظامكم الذي ادعوكم اليه انما هو خلود الروح، اذ نرى ان الادب المشمول بالفوضى عنـدكم سوف يزول بزوال اجسامكم فاذا تعهدتموه بالنظام ضمن له هذا النظام خلوداً نسبياً تعيشون فيه بارواحكم آلاف السنين مع من يعيشون من اولي العلم والفن الذين يصحبوننا في الحياة معهداً ومعبدا .

الا ترى ان امرأ القيس، وزهـير بن ابي سلمى، وجريرا والفرزدق وبشارا، وابا نواس وابن الرومي والرضى، وابا تمام والمتنبي والبحتري، وغيرهم من بناة العلم والادب والفن، خالدون مع الاجيال بارواحهم في اجسادنا، وسيسايرون الاجيال بعدنا ؟؟؟

هكذا اريد لكم الخلود بما اقترحه عليكم من نظام ينشأ عنه عمل روحي خالد في بطون التاريخ يدرسكم به الناشيء فيتخلق بما تخلقتم به ويسير على النهج الذي سننتموه قبله وقد مر على هلاككم قرون .

افلستم انتم اذ ذاك القائمون على هذا الناشيء بروحه وبدنه ؟؟؟

وبعد فماذا اقـدم لك وللشباب الشيوخ، في السوق والناصرية من

عاطفة تجعلني في حل مما طوقتم به عنقي ايام وجودي بينكم؟؟ هل الا أن اسألكم ان لا يبرح ذكري قيد افكاركم في مجتمعاتكم التي يشيع فيها ادبكم السامي ، وفنكم الخالد ؟؟؟

اعز الله بكم الادب وحرس لنا مهجة ابي الجواد ...

الرسالة الخامسة عشرة

الفرقدان

(١) ابو موسى (٢) وابو كاظم

(١) السيد جعفر القزويني نائب لواء الحلة في مجلس التشريع العراقي واحد اعيان البلاد ومن اسرة ماجدة وبيت عريق في الفضل والنبل حلي الاصل ويقطن اعظمية بغداد

(٢) الحاج طالب حاج علي نائب لواء الناصرية في مجلس التمثيل العراقي ، احد زعماء المنتفك ومن الملاكين الكبار واصحاب الغيرة على امته وبلاده .

عزيزيَّ النائبين الكريمين

لقد ترك حديثكما اليَّ عن كتابي القصصي الحديث ، في نفسي أثراً لا زال اضطلع بعبئه اذ لم استطع الرد عليه مفصلا وانا بينكم في منزل ابي كاظم ، والوقت قصير لا يتسع لغير المجاملة التي كنا نتبادلها اصيل ذلك اليوم .

حاولت كثيراً ان أتبسط في الجواب عليه ولكن لطفكم واكتفاءكم بالاشارة اليه حالا دون هذا التبسط ، وكأني شعرت ان كلمة واحدة اجبتكما بها كانت كافية لان تردكما عن ظن جرتما به علي . وهو تعمدي نشر فصل خلاعي في العراق ، بينما كنتما تحرصان على ان لا يصدر مني الا ما تعتزان به وتقيانه برهاناً على سمو الادب الذي ينتمي اليكم باسمي واسم بلادي « جبل عامل » من اجل ذلك رأيتكما تعدلان عن هذا الظن اذ قلت لكما انه مترجم ، ورأيت ان الخوض في البحث زيادة تتفضلان عليها ان نخوض بحثاً آخر ، فكتمت في صدري ما أحببت الكشف عنه ثم ادخرته الى مثل هذه الساعة التي ابعث اليكما هذه الرسالة فيها .

لا تؤاخذاني ان فاجأتكما بهذا الحديث الذي لم تنتظرا مني الخوض فيه قبل اشياء كانت تربطني بكما وكان الاخلق بي ان اخوض فيها واطرح بحثاً

طويناه ساعة نشرناه وكنا مطمئنين الى تفاهة الخوض فيه اكثر مما خضنا ، ألا تؤاخذاني ان كان ذلك مني ، فان رسائلي هذه لم تكتب لاربابها فحسب ، وانما هي سجل تاريخي يحمل الى ابناء عصري ثم الى الاجيال المقبلة مـا يستوحيه الشاعر ويستلهمه الفنان :

دخلت على السيد الحكيم في النجف ، على أثر اخراج هذا الكتاب « في باريس وقصص اخرى » فرأيت عنده شيخاً على جبهته « اثر من سجود » وهو من طلبة العلم العامليين وكان قد ورد العراق وانا فيه وكنت خلفته ورائي في الكاظمية ، فبهتت اذ رأيت بين يديه هذا الكتاب وعهدي بـه قد ورد العراق في سبيل الفقه لا الادب ، وكنت اكثر دهشة اذ رأيتـه ، وقد بوغت بي ، يزوى الكتاب وراءه ليصرفني عن رؤيته فادركت انـه بعد ان غادر النجف الى الكاظمية عاد يحمل هذا الكتاب وفي نفسه شيء على صاحبه .

على اني كذبت حدسي وانا اعـلم ان حدسي لا يكذب وقلت : لعل وراء الغيب ما لا اعلم ، ومن حديث السيد الحكيم لي فهمت ان الشيخ كان يطلعه على ما في الكتاب من خلاعة ومجون وعلمت بعد ذلك ان بعض النفوس المريضة لا يرجى شفاؤهـا تحت سماء النجف وربما زادت مرضاً حتى تهلك .

قال لي السيد الحكيم : لقد عدت في كتابك الجديد الى نشر ما لاينبغي لمثلك نشره وانت في النجف حديثاً ومن طلبة العلم فيه قديماً ، قلت ماذا في

الكتاب ؟؟ قال : شيء من المجون ، قلت : هي عين الحكمة التي كان يرمي اليها الشيخ بهاء الدين في كشكوله ، والسيد نعمة الله الجزائري في انواره ، والجاحظ في تبيينه ، والاصفهاني في اغانيه ، وفي يقيني ان مكاتبكم لا تخلو من هذه الكتب كلها او بعضها .

فلمَ تنكرون على الحوماني ان ينقل قصة فيها شيء لا يزيد على قصة يوسف في القرآن ولعلها اخف محملاً من هذه والحكمة في كلتيهما واحدة لو امعنت في قراءة الكتاب ، ثم لا تنكرون على البهائي المقدس ما جاء في كشكوله يصف الاحليل :

ولما توتر يافوخه وسكرج او قارب السكرجة
ختمت بخصيي باب استها كما يختم الكيس الاسرجة

هل كان الفقيه اذ ذاك ابعد نظراً واسدّ راياً في اباحة ذلك من فقيهنا اليوم ، ام كان هؤلاء المؤلفون زنادقة مثل الحوماني ؟ ؟ أعندكم جواب يا سيد ؟ ؟ لا ! ! الا ان تقول تتبدل الاحكام بتبدل الايام او تحمل هذا على ذاك وتسكت فأسكت .

والتفت الى الشيخ الذي لا يزال يهتز عصبه من العروبة وصاحبها فسألته لماذا حملت معك هذا الكتاب من الكاظمية ؟؟ قال للتسلية ، قلت لو حملت معك « ارشاد القلوب » لكان اخلق بك فضحك ولم يشأ ان يجيب عليه ولكنه قال لي ، وانا اودع : ثق ان كتابك سوف لا يراه احد في النجف بعد . . . مسكين يا شيخ !!!

ولقد فهمت بعد عودي الى الكاظمية على لسان الاستاذ عز الدين آل يس « ان الشيخ اخذ الكتاب منه وتكلف السفر الى النجف ليطلع العلامة الحكيم وزملاءه عليه » فيثبت لهم زندقة الخوماني ويحول بينه وبين الشهادة التي يلتمسها منهم ، والتي تخوله تعاطي مهنة الفقه في بلاده وبفضلها يزاحم الشيخ وزملاءه على اللقمة السائغة التي يتبلغونها عن طريق التفقه في الدين »

اوردت عليكم هذه النادرة الطريفة لتروا مبلغ ما يصل اليه العلم عند اهله اذ يحمل بعضهم كتاباً مطبوعاً فيه جزء يسير مما في كثير من كتب الفقهاء الاعلام فكاهة ومجوناً ، يحمله ليطلع عليه بعض العلماء ويثبت لهم صحة حكمه على صاحب الكتاب في انه زنديق مارق .

أرأيتما يا سادتي كم نحن في حاجة لتعزيز العلم في معاهد تخرج لنا امثال هؤلاء ؟؟ فكم آسف ان ارى بلداً يضم افقه امثال اساتذتنا الهداة الاصفهاني ، وكاشف الغطاء والحكيم والجزائري والهاشمي والتبريزي وامثالهم من العلماء الاعلام وفيهم المجدد والمصلح والحكيم ، كم آسف ان يتخرج على مثل هؤلاء اناس يصل بهم العلم الى مثل ما سمعتم .

فها كم الحكمة فيما اوردت مما انكره الشيخ علي في كتابي القصصي الراهن ، وفي الفصول التي كنت انشرها على صفحات العروبة وفيها شيء من المجون :

ما ارى الشارع قد تخلى عن كل جزئية تمس الانسان في كيان حياته الا وبحثها او دار حولها او اشار اليها ، ففي قوله : « ناقل الكفر ليس بكافر »

رد صريح على من ينسب الكفر او الزندقة او المروق لمن يصور حضارة قوم خلطوا بين الخير والشر في حياتهم ، تصويراً صحيحاً كاملا ، فكان اديباً في تأدية رسالة فرضها عليه شعوره بضرورة هذا التصوير .

واذا صور ناحية الخير في جيله واهمل نواحي الشر كان ادبه ناقصاً كما لو نقل الى الاجيال المقبلة صور الحياة الدنيا واهمل صورها العليا ، فان الادب الحي هو ما اشتمل على صور الحياة كاملة غير منقوصة لئلا يكون كاذباً في ادعاء كونه مرآة عصره ، والمرآة تعكس ما يستقبلها من اشياء الحياة جليلة وحقيرة .

هكذا تعلمنا الكتب المقدسة ، ففي التوراة قصة « بنات لوط » وفي القرآن قصة « يوسف » وهما من الادب بالمنزلة التي عرفها كل حي شاعر . ثم لم نجد من ينقم على الناقل ، أفترانا ندرك جانب الخير ادراكا بالغ الاثر في النفس اذا لم نشعر بالشر يزاحمه وينافسه في الحياة ؟؟

فلم لا تحجر الحكومات امهات الكتب الادبية في المكاتب العربية امثال الاغاني والبيان والتبيين والامالي والمحاسن والاضداد والمستظرف ، ومعاهد التنصيص والكشكول ونحوهـا من الكتب القيمة التي لا تخلو صفحاتها من المجون والخلاعة الى جانب الحكمة والعظة ، أكان الجاحظ وابو الفرج والقالي والبهائي وغيرهم من اقطاب العلم والادب ، أكان هؤلاء من الانحطاط في المنزلة التي لا يفقهون معها حدود الادب والعلم فتجاوزوها الى الجهل والاسفاف ؟؟ فاذا كان في ادب هؤلاء نقص فاين هو الادب الكامل ،

أفي الكتب التي ينشئها امثـال هذا النفر الضئيل الذي يستغل كلمة الحق ليذيع باطله ويضلل الامة بتدجيله وريائه ؟؟؟ ان هذه الانشودة قد طوح بها الزمن واصبح توقيعها على الاسماع مملول النغم سخيف التلحين ، فليأتونا بنغم يصقل الروح ويغذي الفكر ويبعثنا من مرقدنا المظلم لنشرف على الحيـاة الجديدة في افق حافل بالنور .

فالكتـاب القصصي الذي اصدرته في العراق وفيه شيء ضئيل من الفكاهة والمجون انما يصور حياة الغرب من هـذه الناحية وحياة الشرق من عدة نواح ، والقارىء الاديب يفقه السر الذي حملني على نشر الخلاعة فيه ، ففي كل قصة فكرة اصلاحية تنتهي بالحكمة التي من اجلها اقدمت على نشر الفصول الخلاعية الى ابن تفضي بالخالع ، ثم فيها ، الى ذلك ، ، كشف عن نواحي الحياة التي يحياها الغربي ويراها ضرورية له بينما يراها الشرقي فتقاً في كيان اخلاقه التي يعتز بها ويعدها عنصراً اول من حياته

أليس من الادب ان ننقل الى ابنائنا حياة اناس عاصرونا فتـأثرناهم في كل شيء مما انتجته افكارهم بين علم وادب وفن ؟؟ ثم أليس من الضرورة الملحة ان نحيط بهم كما احاطوا بنا لنقف على الاسباب التي سيطروا علينا بها فكنا منهم مكان المأمور من الآمر ومكان التابع من المتبوع ؟؟ وكيف يتسنى لنا ان نشرف عـلى حياتهم مـا لم نضطلع بأعباء الدرس والبحث والترجمة والنشر لحياتهم بكل ما يتغلغل فيها من علم وادب وفن ؟؟

علينا ان ننشر كل مـا اتصل بنا من حياتهم سخيفاً كان او طريفا ثم

علينا ان نأخذ الطريف ونتخلق به وان نعالل السخيف فنتحامى اسبابه، وليس علينا ان نتحامى نشره لئلا يظهر انا الغرب في افق الفضيلة عاريا من الرذيلة فنضطر اذ ذاك لحمله على العصمة التي لا نعترف بها لاحد في العالم بعد الانبياء واوصيائهم ، أفكنا نحن قبلا وبعداً ممن لا ندعى العصمة ونقر معترفين بانا نجترح الرذيلة الى جانب الفضيلة ثم لا نرى حرجاً في نقل هـذه الخلال عن حضارتنا السابقة الى اجيالنا الحاضرة والمقبلة ، ولا ننقم بالسنتنا او اقلامنا على اديب او عالم صوّر لنا هذه النواحي في حياة من تقدمونا ، بينما نراقب ادباءنا اليوم فنصمهم بالزندقة والمروق اذا تأثروا اولئك الاعلام بتصويرهم الحياة كما هي بين الخير والشر ؟؟

لقـد اطلت عليكما استطرادي في البحث الذي لا يروقكما الاسهاب فيه ولكنه بحث خليق بالنشر في وجه الفئة الجامدة التي تحـاول الغض من الادب الحي والتشيع للادب العقيم في عصر نحن احوج مـا نكون معه الى تأديب اولادنا بالادب الذي خلقوا له، لان زمانهم يغاير زماننا وافقنا لا يتسع للحياة التي تتسع لها افاقهم .

ايها النبيلان !!

ان في تضافر كما على العمل في سبيل الحق ، عـبرة لزملائكما في مجلس التشريع ، فلقد رأيت ذلك يكاد يكون طبعاً فيكما، وما لمحت سيارة ابي موسى الا وقلت هذان الفرقدان فلا البث الا وقد كنتما وكانت الصلة التي جمعتكما وبعثتكما معا هي في صالح الامة ومن اجـل مظلوم تنتصران له . او ذوي

حاجة تقضيانها له ، فما احوجنا ، ونحن في عصر كثير الظلم بين اهليه ومشى الحق بين يدي الباطل خافض الرأس خافت الصوت ، مــا اشد احتياجنا الى رجال يضحون من اوقاتهم في دفع ذلك الظلم ونصرة هذا الحق على الباطل، فهل كنتما الا احد هؤلاء النفر القليل الذي يهاجر من اقليم الى اقليم فيتحمل الاذى فيما يقول ويفعل ليصل الى هذه الغاية التي تسمو بذيها في وجه كل عمل لا يطمئن اليه الرجل الحر في قومه ؟؟

لقد خبرت بنفسي ان ما تتقاضيانه من خزينة الدولة لقاء عملكما لا يعدل اجر المنزل الذي تسكنان فيــه وان المنصب الذي ينتدبكما اليه الشعب لا يعزز منزلتكما في الامة ولا يزيد مجدكما عزة ومنعة، ولعل النقص الذي ينال ماتخلفانه من عقار وملك لتفرغا الى العمل في العاصمة لا يعد له شيء مما ينالكما بين يدي هذا المنصب من طيب الاحدوثة وجميل الذكر .

فانتما اذن تعملان لوجه الله، وفي سبيله تضحيان ما وراءكما من عقار يتلف وجاه ينافسكما فيه من يخلفكما عليه ، فكم يظلمكما التاريخ وهو غافــل من هذه الايادي البيض التي تسديانها للامة والنشء المقبل على الحياة .

لا ! ان للتاريخ حكمة لا يدركها الا الحكيم الشاعر ، فقــد يرسل هذا التاريخ من اقصى الارض الى اقصاها من يتحسس ويشعر ليؤدي رسالة الحق في بلاد لم تنبته ارضها ولا اشرقت عليه شمسها لتدلنا هذه الحكمة على ان للحق عيناً ترعى من وراء الغيب ، وفماً ينــادي بين السماء والارض :

« لا يذهب العرف بين الله والناس »

ثم لمن نكتب يا سادتي ؟؟ ألى غير هؤلاء الشباب الذين نهيء لهم المستقبل السعيد او نهيؤهم له ؟ ؟ وهؤلاء كيف يقبلون على الكتب والصحف وقد تثقفوا في المدارس التي لم نحرسها من الفسق والزندقة ولم نحرص على ابنائنا الذين يتغلغلون في احشائها ويترعرعون في حجورها ؟ ؟ أيعدون ايديهم ، وقد نشأوا هذه النشأة ، الى غير الكتب الحافلة بما يتلاءم وثقافتهم ويتفق واهواءهم التي رافقتهم في حياتهم الدراسية وهي اسمى حياة الناشىء واعمقها حنيناً في نفسه ؟ ؟

وما هي هذه الصحف وتلك الكتب التي تملأ فراغ نفوسهم ، هل هي الا الاوراق الحافلة بالشهوات؟؟ افلا ترون الى الصحف مصرية او سورية تكاد تكون نسخة طبق الاصل عن الصحف الغربية التي لا تحفل بما نسميه خلقاً ، ولا تقيم وزناً للتقاليد التي ينذرنا مجدنا وديننا بعقبى تركها الوخيمة في حياتنا التي مهدوا لنا السير اليها تحت ظلال الخلق المحمدي في كتابه وسنته ؟ ؟ ؟

من اجل هذا كله رأينا ان الناشىء لا يفتح كتاباً او صحيفة الا من هذا النوع ، فكان لا مندوحة لنا ، ونحن نحاول صرفهم عما نراه محظوراً عليهم ابقاء على مجدنا وقوميتنا ، من ان نجرهم على الطريق نفسه الى الحظيرة التي يخلعون فيها لباس المروق ويرتدون لباس العزة والشرف والخلق العربي السامي .

فعمدنا اذ ذاك الى تأليف الكتب وانشاء الصحف التي تحمل شيئاً مما

يلائم نفوسهم المريضة والى جانب هذا الشيء. اشياء هي بمثابة علاج لذلك الداء المستعصي الا وهي الحكمة والموعظة الحسنة بين يدي الخلاعة والمجون وهذه هي عين الطريقة التي مارسها شيوخنا القدماء. وادباؤنا المجددون في العصور السالفة حرصاً على ناشئتهم وابقاء عليها من التلاشي امام سيل الالحاد الجارف

وبعد فكم تمنيت ان تطول ايامي بينكم ايها السادة الغُيُر على الدين والعروبة ، وان يطول غداء هـذه الروح التي شربت ارواحكم في مجالس يسودها الادب والعلم والخدمات الصالحة للبلاد والامة .

هل نعود ؟ ؟ ويضمنا مجلس ابي موسى وحديقة ابي الكاظم ، فاري ابا كمال وابا زهير يخوضان في الابحاث التي تملي علينا كثيراً من نواحي الحياة وهما يعالجان المجتمع وهو يئن تحت كابوس الداء الممض في الامة العربيـة جمعاء ، هل نعود يا سادة ؟ ؟ ؟

نعم سنعود انشاء الله فالى اللقاء ..

الرسالة السادسة عشرة

الباقر

السيد باقر السيد احمد الكاظمي ، ابو كمال ، رئيس تشريفات الديوان الملكي لحكومة العراق ، كاظمي الاصل هاشمي النسب عربي النزعة ، جعفري المذهب ، صلب في عروبته ودينه واخلاقه . ويكاد ينهد الى العقد السادس من سني حياته .

نعم يا ابا كمال !!

هل تسمح لي ان اكتب اليك هذه الرسالة بشيء غير يسير من عاطفتي؟ فقد ملت الكتابة بهذا العقل المسكين الذي يكل تحت الخاطر وينوء بعبء اليراع الجائر وهو صابر محتسب، وقليلا ما يكتب الشاعر بعقله كما يكتب الحكيم بعاطفته، على اني احببت ان اشذ في «وحي الرافدين» فاجعله وحي عقل لا وحي قلب الا في هذه الرسالة التي يحملها النسيم الغربي الجميل الى ضفاف دجلة حيث يصطبح ابو كمال على شاطئها الجميل ومعه الاخوان الاحبة، ابو موسى وابو كاظم وابو زهير وابو عبد العزيز.

تالله ما ذكرت تلك الساعات الا وشعرت باني فارقت اهلي يوم فارقتها، واني وانا هنا بين اهلي غريب في حنيني اليها، على اني ما احسب ان يكون السبب الباعث على رسالتي هذه اليك انما هو هذا الحب وذلك الحنين ولكنه شيء منه لا كله.

ان ميزتك التي لا تزال منذ عرفتك قبل سنين عديدة، تحتل المكان الاول من نفسي هي بلاغتك، وهذه البلاغة قلما يوهبها رجل اوتي حظاً عند الملوك، فما رأيت المقربين في دواوينهم الا من هذا النوع ... الذي يتحدث اليك بقلبه من وراء لسانه ويصغي اليك باذنه، ويعلي عليك بلسانه ؟؟ كلا

يا اخي ان البـلاغة في نظري هي ان تصغي الي بعينيك قبل اذنيك وان تتحدث اليَّ بقلبك قبل لسانك ، ولعلي غير مخطئ . اذا قلت لك : ان القلب وحده هو السامع المتكلم .

أفما تسمع الاذن بالاصغاء ، والاصغاء يستوحي الفكر والفكر منوط بالقلب ؟؟ واذا قال اللسان او حاول ان يقول ، أفما يعرب عن ضمير المتكلم والضمير يستلهم القلب ؟؟ ثم اذا اراد ان يبصر المرء هل يتبين المرئي ما لم توجهه الارادة الى تبينـه ، وهل الارادة الا ملكة تصدر عن القلب ؟؟ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، ما ابلغ ما يقول الحق من وراء القلب!

ان هذا الذي يقول بقلبه ويسمع بقلبه ثم هو لا يبصر الا بقلبه انما هو انت يا ابا كمال ، أفما تحب ان تكون هذا الرجل عند الحوماني ولو جحده كل كاتب وكل شاعر ؟؟ لعلك تقول حسبي ان انزل هذه المنزلة من نفس شاعر واحد الا وهو الحوماني صاحب العروبة ، وحواء ، ووحي الرافدين وو ..

ايه ابا كمال الا تزال تتحدث الى سامعيك كما كنت وهم يحدقون بك ويحسبونك او يحسب البعض منهم انك تحتكر الحديث وحـدك ولعلك وحدك الجدير بالقول فيما تتحدث ؟

تالله ما احببت ان اسمع في مجلس اكثر ممـا اتكلم الا في المجلس الذي تكون انت المتكلم فيه لاني اذكر جـدك امير المؤمنين ببلاغته ونعراته ونظراته واشاراته اذ أصغي اليك وانت تتحدث وتنظر وتشير ، وانـك تعلم ان الحوماني بعيد في كل مـا يسجل على نفسه ، عن الرياء والتملق

والتضليل ...

ولكم كنت مغتبطاً ، وانا هاشمي النزعة ، اذ سمعتك تتحدث في منزل ابي الجواد ان كنت تذكر ، ثم علمت انك باب الملك الهاشمي ، فتنفست واكثرت من شم الهواء حتى ملأت رئتي ، وقلت : احمد اليك الله ابا كمال ان كنت انت باب الملك الهاشمي المفدى وان كان هذا اللسان بين فكيك وذلك القلب بين جنبيك .

ولم اكن مغتبطاً فحسب بما رأيت وسمعت ولكن كنت متوسماً بان البيت الهاشمي هو بيت فيصل والغازي وفيصل ... اذ كانوا ملوك العرب وكنت انت لسان العرب تترجم لهم قلوب الناس وتعرب لهم عن ضمائرها بما اوتيت من بلاغة في القول وبراعة في التفكير .

أفما يحتاج الملوك اول ما يحتاجون ، الى لسان عبقري يحيي ويميت؟؟ يحيي اذا مات الحق ويميت اذا حيَّ الباطل ، ثم يكون هذا اللسان سداً حاجزاً بين الملوك وبين الرعايا ، ان لا يستفحل الظلم ولا يسود البغي في المحاكم والملوك في غفلة عنه ، وان تعم الرحمة ويشمل العدل في ظلال العروش والرعايا بعيدة عنه ؟

أوَ ليس الملك في حاجة الى صلة مثلك تجلس الى مكتبك والوفود على جلالتها تحدق بك وانت قائم خطيباً فيهم بذلك اللسان المرن الجذاب وذلك المنطق المعجز بحصافة الرأي وسداد التفكير ، تكشف لهم عن حقيقة العرش المؤيد وعن القلب الذي ينبض بحياة الامة عليه ، وعن الفكر الذي يعمل

للعروبة والانسانية فيه ، وعن الطرف الذي يسهر على راحة الامة وسعادتها فوقـه .

تتحدث الى النـاس عن حقوق العرش عليهم وواجبهم عليه ، وعن ان عرشاً لا تكلأه سواعد الامة ولا تحمله كواهلهم ولا ترفرف عليه قلوبهم ليس بخليق ان يهيمن على الارض التي تقلهم والسماء التي تظلهم ، وان شعباً لايسوده ملك يملأ التفكير قلبه ويمـلأ القلب صدره ويسع صدره العالم ، ليس هذا الشعب جديراً بالحياة الحرة بين الشعوب الحية في التاريخ .

وقديماً كانت الملوك تدل بالبطانة والحاشية التي تملأ قلوب الامة رهبة ورغبة بفصاحة الالسن وبلاغة المنطق . وتعتز بالخاصة من رجـالها الادنين لما تمتاز به عقولهم من روعة الحكمة وتزدان به نفوسهم من حلية الادب ، والحكمة والادب هما كل ماتحتاج اليه الملوك في استهواء القلوب واسترقاق النفوس ، ولعل حكمة بطانة الملك وادبها دعامتان عليهما يقوم عرش السلطان وبهما ترسخ قوائمه على سدة الملك وفي صميم الخلود

ولعل من يقرأ رسالتي هذه يحسب ان ميزتك التي تسمو بك في منصبك قاصرة على البلاغة ، من اجل ذلك احب ان اشير الى انك كنت في بحثك الفقه وضرورة الاصلاح الديني من ناحيتي الدارسة والتجـديد في الاحكام الفرعية ، كنت عالماً ناضج الفكر سديد الرأي ، وكنت اذ تبحث القضية العربية سياسياً محنكاً نحتاج في نهضتنا الحديثة الى كثير من تفكيرك واخلاصك .

وبعد أفلا ادلك على خلة فيك يتنكر لك من اجلها نفر من الناس ينكرون ، وهم ناس ، امثالها في كل من خصه الله بها دونهم ؟؟ لذلك كانوا حرباً على ارباب هذه الخلة يناصبونهم العداء ، لا لانهم بشر مثلهم ولكن لانهم مخلوقون اقوى منهم نفوساً واوسع عقولا واكبر قلوباً ؟؟

ألا ادلك على هذه الخلة الشريفة فيك والتي افضلها ، انا شخصياً ، على كل خلالك ، لا لانها فضيلة فيك وحسب ، بل لاني منيت بها مثلك فكان لي في قومي مثل اولئك ، نفر يلصقون العيوب ويخلقون الذنوب لمن لم يتزلوا معهم الى الحضيض فيشاركوهم ضعة الهمم وخسة الانفس وسفالة الاخلاق ؟

تلك الخلة هي الصراحة ، والصراحة فحسب ، واذا قلت الصراحة فانما اعني الصلابة في المبدأ ، والجهر بالحق ، والاحتفاظ بالعقيدة ، وتحامي الرياء والتملق والتدجيل ، كل ذلك في صميم الصراحة التي من اجلها تنكر لك نفر من الناس ونقموا عليك بها ، ولعلهم يدركون انها اولى مزاياك الشريفة وانها مظهر من مظاهر الكمال الانساني في المرء ، وان الانسان ما لم يكن صلباً في عقيدته ثابتاً على مبدأه محتفظاً بجلاله التي يمتاز بها شخصه ، فلن يكون صادقاً في اداء رسالته الانسانية الى افراد نوعه .

الصراحة الصراحة يا اخي هي ام الفضائل في الرجل الحر ، وهي طريقه الشائكة التي تفضي به الى الجنـة محفوفة بالمكاره ، والصراحة اشق عقبة يتسلقها الحر الى افق تعز فيه شخصيته ، ويعتز به جانبه ويقوم عليه كيانه .

أرأيت ان الرجل الصريح هو مرآة الطبيعة الكامنة في نفسه ، فاما ان

يكون احمق الى حد الجنون فهو في عداد السفهاء ، واما ان يكون عاقلاً فيعمد الى جوهره وينقيه من اوضار الحياة الدنيا كيلا تعكسه الصراحة في مرآة نفسه ملطخاً بالرذائل ، اذن فالصريح الحكيم اسمى انواع الانسان اذ يلجأ بصراحته الكاشفة عن حقيقة ذاته ، الى حكمته التي تحجر عليه التلون والتقلب فيبرز في نوعه كما هو في ذاته ، مثالا صالحاً للانسان الحي الكامل .

واذا كان المجتمع ، كما تراه وأراه ، معرض الوان شتى تصطبغ بها الاجساد ، والنفوس من ورائها ذات الوان شتى تصطبغ بها الارواح ثم لا تلاؤم بين الروح والجسم الذي تلبسه ، فكيف نتوقع من هذا المجتمع ان يرحب بالصريح الذي يلبس على جسده لون روحه ، بينما كل فرد منه يتلون جسمه بين كل يوم ويوم وبين كل ساعة وساعة بل كل لحظة ولحظة بالوان شتى لا عهد للروح بها منذ لبست او ألبسها المجتمع هذا الثوب الفضفاض الذي نسميه جسما ؟

الصريح بغيض الى الناس منذ كان لانه فرد شذ عن نوعه بصراحته ، اذ هو ذو لون واحد تصطبغ به روحه وتلون بهذا اللون جسده ، واما نوعه فقد لبس الالوان التي لاتنم عما وراءها مما تتلون به الروح بين يدي طبعها الاول ، ذلك ما نسميه الملق والرياء والتدجيل والزيف والكذب والبهتان والتضليل ، الى ما هنالك من خلال المرء التي تحطه من عالمه الى عالم هو بالحيوان اشبه منه بالانسان ، ولعل الحيوان اسمى نوعاً منه اذ هو بريء من هذا التلوين .

وانت يا اخي من هؤلاء النفر الذين شذوا عن المجتمع بصراحتهم وصلابتهم وعدم تلونهم ابتغاء شيء من حطام الدنيا ، لذاك اراك بائساً لا تطمئن الى مضجع يؤويك ولا الى خل يؤآسيك اللهم الا نفراً انت منهم وهم منك قد استووا معك في هذا الافق وآثروا ان يكونوا احراراً على ان يكونوا عبيد رق .

واذا غالطت الشاعر الحساس بابتسامك حيناً وتجلدك حيناً آخر لتوهمه انك سعيد فبماذا تكذب ما تلفظه عيناك من نظرات ملؤها الألم والبرم بالحياة ، وبماذا تؤول هذه الغضون الشاحبة على جبينك ولما تجز شبابك الى كهولتك ؟ افأنت سعيد وبين عينيك وفمك ناظراً ومتكلماً ، لغة فصحى تنادي على انك شقي بوحدتك في عالم تحسه ولا تمسه ، عالم لم يحمل شكلك ولا عقلك ، عالم بعيد عن تفكيرك الحر وروحك الخالصة من شوائب الحياة ؟؟؟

افتدعي السعادة وعندك من دروس الحياة عبر حصف بها رأيك واستد منطقك وكبر قلبك وذلق لسانك حتى برعت في التحدث الى الحياة عن بنيها ، وسفهت العقل باختياره ادمغة هؤلاء التماثيل مساكن من دون الاحجار وحملت على الطبيعة التي اوجدتك فرداً مستقلا في نوع لو شاءت لجعلته نوعاً منك ؟

أفتكون سعيداً يا أبا كمال ، وربما احتجت الى دينار تشتري به كتابا افلذة كبدك بينما ينثر الدنانير على أرصفة المواخير أناس لم تهبهم الطبيعة

منطقك السديد ولا رأيك الحصيف ثم لم تسبغ عليهم يد الله اباءك وشممك وصراحتك ؟

ألا وان لك شريكاً في هذا الشقاء هو من يكتب اليك هذه الرسالة ، فلقد مرّ به عشرون عاماً وهو يكافح ويناضل في سبيل مبدأه ثم لم يفلح ولم يكد يسلم بجسده من آثام المجتمع ، وما هو هذا المبدأ ؟ أتدري يا أبا كمال ؟ انه الصراحة ، انه الجهر بالحق ، انه الاحتفاظ بالعقيدة ، انه الخلة التي جعلتك في معزل عن النـاس ، يبتسمون لك باعينهم ويودون لو يمزقونك بقلوبهم .

هكذا الناس يا خي ، فان شئت ان تسعد معهم فكن مثلهم مرائيـاً مداجياً مضللا منافقاً متلوناً متقلباً ، تصل بفضل هـذه الخلال (الحية) الى « لباب هـذا القمح ومصفى ذلك العسل » وتتهـالك الدنانير على قدميك فتغيث بها المراقص والمواخير ، وان سمت بك نفسك الهاشمية عن ان تكون مع هؤلاء في الحضيض فاصبر واعتصم عنهم بالحق الذي تنافح وتكافح من اجله وكن صريحاً ما استطعت ، وحراً فوق مـا تستطيع فان السعادة لم تكتب الا لامثالك آخر الامر .

الرسالة السابعة عشرة

نادي القلم

من اعضائـه الشبيبي ، مصطفى جواد ، البصير ، الجواهري ، بطي ، هاشم ، لطفي ، دوري ، وغـيرهم من من فحول العلم والادب ٠

ومنهم الدكتور شريف عسيران ، وهو عاملي الاصل عراقي الموطن ، طبيب ، واديب ، وزعـيم ، بيته منتدى العلماء والادباء ، والفنانين ، يقطن بغـداد ومكان عمله الكاظمية ، وهو استاذ في دار المعلمين العليا ٠

عزيزي الدكتور شريف ،

كنت مغتبطاً بك ايام وجودي في العراق ، وكنت عالي الرأس اذ ادخل منزلك فاجده حافلا برجال العلم والادب ، وكنت اشد اغتباطاً اذ علمت ان اسمى مؤسسة في العراق تعتز بك وترى بيتك ديوانها الاسمى الا وهي جمعية « نادي القلم » التي جمعت تحت اسمها اعلام الادب العراقي واساطين العلم في عاصمة الرشيد .

ولقد كان للنوادر الادبية الطريفة ، والابحاث العلمية والفلسفية الممتعة التي تجري بيننا ونحن ضيوفك ، كان لهذه اثر قيم في نفسي ، وحنين بالغ الى الساعات التي كانت تضفى علينا روائع ذلك البحث تتخلله شمائل ابي توفيق ومكارمه العبقرية يتعهد بها اخوانه واخواته المعجبين بلطفه وعطفه .

وكنت فوق ذلك كله شاكراً يدك الطولى بدعوتك اياي لحضور احدى الجلسات التي يعقدها نادي القلم لاحيط علماً بما يجري فيه من بحث ويكون لي شرف الافادة مما يولده الفكر في القطر الشقيق ، وعلى هذه الجلسة او الجلسات التي شهدتها سأبني رسالتي اليك ، بعد ان احيلك في معالجة الخلاف الذي نشأ بيننا حول بحث « الحقيقة والخيال » في منزلك الى الرسالة السابعة من هذا الكتاب .

لقد تفنن الغربيون في المؤسسات التي ينسبونها الى القلم ، فهناك « نادي القلم » ويكاد لا يخلو مصر من مؤسسة تحمل هذا الاسم ، وهنالك « انصار القلم » و« القلم الازرق » و« القلم الاحمر » و« تزييف الاقلام » و« صرير القلم » و« القلم العبقري » وهنالك كثير من الصحف التي تحمل بعض هذه الاسماء كالقلم الازرق ، والقلم الاخضر ، والقلم المجرد ، و« القلم » ووراء ذلك شركات تستهلك ملايين من الدولارات في الدعاية الى اقلامها المبتكرة ، : باركر ، وترمن ، شيفرز ، الخ .

فالقلم مادة اولى في الحياة منذ كانت ويكاد يكون العنصر الاول في بناء المدنية الحديث القائم على المادة اذا اعتبرنا ان الفكر لا يستلزم القلم في الاختراعات الحديثة وانما يستلزم الحقائق فحسب ، اذ ان اكثر المخترعين يكتشفون الحقائق بالتفكير المجرد ، على ان انصار القلم يعزون هذا التفكير الى الدراسة الاولى القائمة على ترقيم اليراع الذي هو ترجمان الافكار .

وليس هنا مكان البحث وانما اردت ان اعود بالذكرى الى ايام وجودي في مشغن من اعمال الولايات المتحدة ، والفضل يعود بهذه الذكرى المشجية الى « نادي القلم » العراقي ، ان كان لبعث الحنين في نفس الشاعر فضل .

اذكر ان جمعية تأسست هنالك باسم القلم وكان من اعضائها عشرات الاختصاصيين الذين يحملون لقب علامة « دكتور » وقد اخذوا على عواتقهم معالجة كل مشكلة اجتماعية تتعلق بالقلم حتى كانت مرجعاً الكثير من اقلام الدولة ، كقلم التجارة وقلم الصناعة وقلم المعارف وقلم الاقتصاد

وكانت هذه الجمعية تصدر نشرات على رأس كل شهر فيها كثير من توجيه الاقلام الاجتماعية حكومية او شعبية للعمل المنتج في المدنية الحديثة، حتى شعرت، وانا غريب، بما تحدثه هذه النشرات في نفوس الشعب الاميركي من اعجاب بما يبدع الكتاب من انشاء في تحسين العلوم والفنون وتوجيه الافكار الى نواح مجهولة في الحياة المنشودة للشعب.

وكان عدد هذه النشرات يتجاوز الملايين ويخترق حجب الشركات والمصانع والدوائر السياسية والاجتماعية ثم يجوب البلاد الاميركية وقد يتجاوزها الى اوروبا والى العالم القديم وتترجم او يترجم بعض فصولها الى كثير من لغات العالم في الصحف والمجلات والكتب.

وأذكر ان هذه المؤسسة وجهت لقراء نشرتها سؤالا باحرف بارزة يشتمل عليه اطار جميل، ملخص تعريبه: «هل يستغني رجال الفكر في المستقبل عن القلم؟؟» وكنت قد اسست جمعية لشباب العرب في ديترويت اسميتها «انصار العروبة» فحمل الي بعض اعضائها النشرة التي تحمل هذا السؤال ورجاني الجواب عليه فدونت فكرة تصلح للرد احببت ان اسجلها في رسالتي هذه موجهة الى اخواني اعضاء نادي القلم العراقي على لسانك ايها الاخ الشريف:

«ان هذا السؤال يستلزم سؤالا آخر هو: هل يستغني العالم عن تدوين افكاره في العلوم والفنون فيغني المطالع عن الصحف والدارس عن الكتب؟

للجواب على هذا السؤال تمهيد يتناول البحث في التحليل النفسي وعلاقته بالاثير: هل في حيز الخلود ما يصدر عن النفس من حركة مادية كالصوت

والنظرة والاشارة ، او معنوية كالاحساس والتفكير ؟؟ ونعني بالخلود بقاؤها باعيانها محسوسة بالمادة النفسية او الروح لا بما يرمز اليها كالكتابة والنقوش .

فخلود صوت فلان مثلا هو بقاؤه متغلغلا في قلب الاثير بحيث يسمعه الانسان بعد الوف من الاجيال كما تسمعه انت الان مباشرة وهو حي بين يديك لا بالآلة الحاكية التي تحمل صوته فاذا تلاشت خفت معها ذاك الصوت

اما الحركة المادية كالصوت فقد كشف العقل الحديث عما يشير الى خلوده باللاسلكي ، فان تلقف السمع صوت المذيع محمولا على التيار الكهربائي العام يلفتنا الى ان الصوت قوة يتأثر بها هذا التيار فيخزنها في كيانه او تتمثل تعاريج على سطحه فتحكي الصوت ساعة خروجه بشكل تموجات ينتهي الصوت بانتهائها .

فاذا استطاع الجهاز اللاسلكي اللاقط ان يستخرج لنا هذا الصوت ساعة شاء كان الصوت مادة مخزونة في قلب التيار الكهربائي الخالد ، وهذ ما يفكر العلماء اليوم باكتشافه ، وان كان هذا الجهاز قاصراً على اخراج الصوت ساعة ذيوعه كان ناشئاً عن تأثر التيار الكهربائي بالصوت تأثراً سطحياً كما يتأثر الماء باللمس فيحدث عليه تموجات تختلف شدة وضعفاً باختلاف اللمس رقة وعنفاً ثم ينتهي ذلك الاثر بانتهاء التأثر الذي احدثه على سطح الماء .

واذا كان في قلب هذا العالم الخفي المحدق بنا والذي نتقوم به ، تيار

يتأثر بالحركات المادية كالصوت ، وكان هذا التيار مجهولا لدى العقل الكاشف فغير بعيد ان يكون هنالك تيار الطف منه ويتقوم هو به وله قابلية التأثر بما هو الطف من الحركة المادية كالفكر الذي هو حركة روحية محضة ، فيقيني يكاد يقطع بان وراء هذا التيار الكهربائي المبني على حركة الجرم الذي يحملنا ، تياراً روحياً يحيط بالتيار الكهربائي ويقوم فيه مبنياً على حركة الكون المهيمن على جرمنا الارضي ، وهذا التيار الروحي يتأثر بالحركة الفكرية ، إما تأثراً عميقاً يضمن الخلود واما سطحياً يحمل الفكر ساعة صدوره عن النفس .

وهذا ما يسمى او يجب ان يسمى لاكتشافه اولو العقل الجبار ، ولعل في الصلات التي تربط الكون كله ببعضه تفاوتاً يحتاج العقل في تمييزه الى كثير من العمل الفكري المجهد ، فالصلة التي تربط الجزئي بمثله والصلة التي تربط النوع بالنوع هي اقل شأناً في نظر العقل الكاشف من الصلة التي تربط الجنس بالجنس ، وهكذا يصعد الحكم الى ان الصلة التي تربط الجرم بالجرم في تأليف الكون اعظم شأناً من الصلة التي تربط الجنس بالجنس في تأليف الجرم .

فالصلة التي تربط الانسان بالانسان في بيت اسهل تحقيقاً على العقل من الصلة التي تربط الانسان بالانسان في بلد ، وهذه اسهل من الصلة التي تربطهما في بلدين ثم هذه اسهل من الصلة التي تربط انسان الشرق بانسان الغرب فما بالك بالصلة التي تربط انسان الارض بانسان المريخ او المشتري ، ومع ذلك

نرى العقل يتمشى تدريجاً في تحقيق هذه الصلات وتقريبها حتى يحقق وحدة الوجود يوم يصبح انسان الارض متحداً بانسان السماء بفضل العقل .

ولنعد الى صلب البحث : اذا تحقق ان وراء هذا التيـار الكهربائي تياراً روحياً ألطف منه يقوم فيه ويهيمن عليه ، وتحقق ان هذا التيار يلتقط الافكار فيخزنها او يتموج بها كما يلتقط التيار الكهربائي الصوت فيخزنه او يتموج به ، اذا تحقق ذلك ثبت لدينا امكان خلق جهاز روحي بفضل العقل يلتقط حركات الفكر من التيار الروحي دونما حاجة بنا الى ان يتكلم المذيع ويسمع المصغي ، ونصبح في حاجـة الى ان يفكر المذيع في دار الاذاعة الروحية ، والى ان يصغي السامع الى الجهاز الفكري اللاقط

ونرى في عالم الفكر شيئاً نسميه وحيـاً او الهاماً وقد نطلق عليه اسم « توارد الخاطر » اعتقد انه رمز الى الحقيقة التي لم تكتشف بعد ، فقد أتنبه ساعة ما الى فكرة يلهمني اياها موح لا اقوى على اكتناه حقيقته فأدونهـا واذا بي اراها بعد يوم او شهر او عام مدونة لمفكر غيري فإما ارسلها قبلي في الاثير الروحي فالتقطتها بعده او ارسلتها قبله فالتقطها بعدي او ارسلناها معاً ملهمين بها من مفكر غيري وغيره ، وكان هذا الالتقاط بشكل يتصل بالروح ولم نصل الى اكتشاف الصلة التي تربطنا به بعد .

اذا تحقق كل ذلك وكانت حركات النفس مخزونة في الاثير الروحي بشكل خالد واستطاع الفكر البشري التقاطها بجهاز كالجهاز اللاسلكي الذي يلتقط حركة الصوت ، ونسميه الجهاز الروحي او يكون هذا الجهاز نفس

الدماغ يحركه المفكر بشكل علمي خاص فيلتقط فكرة من يريد ان يقرأ افكاره ، في اية ناحية من العالم ، اذا تم هذا كان فيه غنى لنا عن التدوين ولم نحتج الى الكتابة والقراءة وتعطل القلم والطرس .

فللمطالع وهو في بيتـه وعلى سريره اذا شاء التسلية او الاستفادة من العلوم او الفنون ، له ان يدير جهـازه الروحي الذي هو دماغه ، او آلة بين يديه على شكل خاص فيقرأ افكار من شاء من الاحيـاء او الاموات اذ المفروض ان اصواتهم وافكارهم حركات نفسية ينفعل بها الاثير فيخزنها وهذا المخزن يتصل بالجهاز الذي هو دماغ المطالع او آلة بين يديه .

وعلى الاستاذ في مدرسته ان يقف امام تلامذته عند القاء الدرس فيعلن الموجة الروحية التي تحمل رأي فلان العالم او الاديب او الفنان والدرجة التي تصل هذه الموجة بفكر التلميذ ثم يصغون باذانهم الى الصوت المخزون او بافكارهم الى الرأي المدخر في قرارة الاثير الروحي فيقرأون تلك الافكار قديمـة او حديثة دونما كتاب يفتح او قلم يدون .

وعلى المنتجين من العلماء والادباء والفنانين ان يعلنوا تفكيرهم بالاذاعة الروحية في وقت خاص لتلتقط نتاجهم اجهزة المفكرين الروحيـة وتدرس هذه الافكار وتناقش ثم تسجل لهم في الاثير بحيث يستطيع المطالع ان يرجع اليها ساعة شاء في عصر من العصور ، وتعم بعدئذ قراءة الافكار ، ويسود الخير في العالم وينعدم الشر ويصبح الانسان في عداد الملكوت وتتبدل الارض غير الارض وتتحقق وحدة الوجود كلياً بعد ان كانت متحققة فينا بشكل جزئي . »

عزيزي ابا توفيق !!

سامحني اذا شغلتك بضع دقائق في قراءة هذه الرسالة وقراءة غيرها من الكتاب عندما تفرغ للمطالعة وتشعر من نفسك برغبة ملحة للاطلاع على ما هو الى الخيال اقرب منه الى الحقيقة ، وان اقتنعت بان ليس في الوجود خيال كما برهنت عنه في رسالتي السابعة التي نوهت لك عنها علمت ان وراء الحقيقة الراهنة كثيراً من الحقائق التي يعجز العقل عن ادراكها فيحيلها الى عالم الخيالات التي يزعم وجوده في الكون الحافل بالعجائب :

وقليلا الى الماضي الذي كنا نعدّ فيه كثيراً من حقائقنا الثابتة خيالات تعلم ان الشاعر انما يتخيل حقائق لم يكتشفها العقل بعد لعجزه عن ادراكها فترمز اليها الطبيعة على ألسنة الشعراء ليتعودها العقل ويألف كونها فيعمد آخر الامر الى الكشف عنها ويثبتها في عداد الحقائق .

فلا تعجباً ان يصل الانسان يوماً ما الى قراءة افكار الانسان وهو ينظر اليه او يفكر فيه ، بعيداً عنه او قريباً منه ، معاصراً له او غير معاصر لان فضاء الكون قد مزج من حيث نعلم او لا نعلم بين الجرم والجرم وبين العالم والعالم ثم بين الذرة والذرة حتى لا تستطيع احداهما ان تنفك عن اختها الا بالجزئية التي يعسر علينا الاسهاب في تحليلها وتعليلها في هذه العجالة وعلى صفحات كتاب ضيق الافق .

هذا الكون العجيب الذي يصل الانسان منه الى تفكير اعجب ثم يعجز عن ادراك ما يدركه احقر منه كالنحل والنمل ، هذا الكون او هذه

الطبيعة او هذا الخـالق العبقري الجبار ، لا يمكن ان يدرك ولا يمكن ان يترك ، ففكر في كل ما تقع عليه عينك ومـا يتصل بحسك ثم اعرضه على العقل الحاكم تر العظمة مـاثلة فيه بكل ما تسمع وتبصر ثم لا تستطيع الوصول الى شيء من كنه هذه العظمة .

لقد اكثرت عليك فلنعد الى القلم وناديه ، احب الا اسمع منك عن الاستاذ دوري الذي حاضرنا عن كتاب الرصافي ونفى ان يكون هنالك ما يمس محمداً او دينه بسوء وها هي مجلة الرسالة تنقل اقوال الرصافي بنصه وفصه مما هو صريح في الطعن على محمد ودينه ، أفكان الاستاذ دوري يحاضرنا عن كتاب آخر للرصافي ام شاء ان لا تثور ضجة بين اعضاء النادي الذين كانوا منقسمين على انفسهم بسبب هذا البحث ؟؟؟

اعتقد انه كان على نادي القلم حق في ان يعالج هذا الموضوع فاما ان يحكم بخطأ الرصافي او صوابه كيلا يتصل بقادة الفكر خارج العراق شيء من سوء الظن بقادة الفكر فيه ، والبحث في هذا تصويباً او تخطيئاً ليس فيه كما اعتقد مـا يسيء الى حرية الفكر بشيء من الضغط المبني على جمود او جحود .

فالاسلام كان وما زال مناط البحث الحر والجدل القائم على المنطق ، ونحن قادة الفكر الجديد ماذا يقف في طريقنا ان نبحث رأي الرصافي ، هل هو جديد ام قديم وهل هو على خطأ فيه ام على صواب ، ذلك خير الف مرة من ان يشاع بان نادي القلم عهد الى احد اعضائه بدرس الكتاب والنقاش

فيه فكان درسه ناقصاً الى حد انه يكاد يكون غيره .

وشيء آخر لحظته في النادي الموقر انه مر على تأسيسه اكثر من عشر سنوات ثم لا يزال يعقد جلساته في منازل اعضائه ، أليس خليقاً بان يكون له ناد فخم يخفق في سمائه العلم الاخضر ويلوح على بابه القلم الاحمر ، ذاك يشير الى السلام وهذا يشير الى الحرب ؟؟

ان قلمكم لخليق بان يشاد له ناد ويجتمع تحته الشاعر والاديب والطبيب والصحافي والمحامي والامير والوزير ، وفي كل من هؤلاء جدارة التوجيه للشعب العراقي . فقد لحظت ان التجارة والصناعة والزراعة والمعارف والاقتصاد والحقوق والطب والهندسة والكيمياء كلها مفتقرة في العراق الى ناديكم لينشيء لها صحيفة توجيهية على غرار النشرة التي كان يصدرها نادي القلم الاميركي منذ خمس عشرة سنة .

الشعب العراقي بروحه ودمه مظهر من مظاهر القوى الخارقة في المجموع البشري . أفليست طبيعته الملتهبة مثار دمه الفائر وروحه الوثابة ؟؟ أوليس ماضيه ينطق بالمجد القائم على الحمية والاباء والشمم ؟؟ أوليس له من هذا المجد وتلك الطبيعة حرارة تسرع في انهاضه ، وعبقرية تحلق به في سماء العظمة والخلود ؟؟؟

وأي طريق اقرب الى الصاقه بماضيه المجيد حتى يلمس سلطانه الذي هيمن على العالم قروناً عديدة فأنار الشرق والغرب بما ينقل ويبدع من علوم وفنون لا تزال آثارها حتى اليوم منار العالم الحديث ؟؟ اي طريق اقرب الى

ان يشرف على حياته هذه من الطريق يفتحها امامه نادي القلم وفيه الشيخ المحنك والشاب المتحمس ، فيه العقل الناضج والفكر المتوقد ، وفيه المقول الصائب والمنطق السديد والحزم الفاصل والقلم الحديد ؟؟

العراقي ماجد بوراثته ، وسريع التأثر بطبيعته وهذه السرعة تدفع به الى حظيرة الفن اكثر مما تحركه للعلم لان العلم يحتاج الى اناة وتفكير وهذه تتوفر في الدم البارد اكثر ، واما الفن فيحتاج الى العواطف المشبوبة بالدم الحار والفكر السريع .

فعلى نادي القلم ان يعنى بالفنون في بلاد الرشيد لان القلم يرمز الى الفن اكثر مما يرمز الى العلم ،ولهذا يوصف بالاحمر والازرق والاسود رمزاً الى الدم والنار وقلما نجد القلم يتصف بالبياض او الصفرة او الاخضرار لبعد ما بين هذه الالوان وبين اللون الذي يستثير العاطفة ويلهب الدم .

وفي يقيني ، بما اشاهد ، ان العراق سيطبق على العالم العربي في غده القريب ، لسرعة انطباعه بحرارة طبعه ، فالعلوم والفنون تتطلب الذكاء الحاد والفكرة الوقادة وذلك ما لا يتوفر في سوريا ومصر توفره في العراق اذ لم يُمن العراق ببرودة سوريا ولا رطوبة مصر ولم تُمنح مصر الى حرارة جوها ، جفاف الطبيعة ، كما لم تُمنح سوريا الى جفاف طبيعتها حرارة الافق البالغة .

وهذان اي الحرارة والجفاف متوفران في العراق وهما زعيمان في الهاب الفكرة وشبوب العاطفة ، وبهاتين تسرع الحضارة الى الشعب مكسوة

الارض مخضلة الافق بما تبدع من الوان الحياة ·

ذلك ما وعدت به العراقي عـلى صفحات مجلة الزهراء في الصيف الغـابر اذ وجهت الي سؤالا عما اتوسم للعراق في مستقبله من نهضة في العلوم والفنون ، ولعلي أوفي السؤال حقه من جواب ارحب في غير مكان من هذا الكتاب ·

ولكم آسف للعراقي وهو عربي ان يتنكر احياناً لاخيه السوري او المصري ، وهما عربيان ، بدافع التضليل من دعاة السوء الذين يكيدون للعروبة فيكدرون الماء ليصطادوا فيه فاذا السلاحف تحت ايديهم · واذا الاسماك الفارهة بعيدة عنهم ، فعلى نادي القلم ان يبث ارسالياته في الوية العراق ، على وجوه الصحف والسنة الاقلام ، داعياً امتـه الى الوحدة العربية و لوحدة انما تتحقق في ان يشعر العراقي بانه زعيم النهضة العربيـة وان تتوفر عناصر هذه الزعامة فيه الا بان يفتح ابوابه للعالم العربي فتعمر الزوراء والحدباء بالسوري والمصري والحجازي واليمني اكثر مما تعمر بالعراقي·

ففي العراق ، عطفاً على ما تقدم ، طبيعة تخدم العربي في سبيل نهضته ، اخصب ارضاً وارحب افقاً من طبائع الاقاليم العربية الاخرى، ولقد تربت في نفوس العراقيين منذ اعتز العرب بالاسلام ، خلائق موروثة قائمة على العروبة الحقة التي لم تشبها عجمة في دم ولا في منطق ·

أفيشعر الاميركي والافريقي بضرورة قبول العرب مهاجرين الى بلادهم ، يعمرونها زراعة وصناعة وتجـارة ، ثم لا يشعر العراقي وهو من صميم العرب

بهذه الضرورة ؟؟

أو ليست بلاد الرافدين اولى من بلاد الزنج بجهود العربي المهاجر في سبيل حياته افادة واستفادة؟؟ بلى ! ان في العراق لارضاً ينمو فيها غرس العربي المهاجر نمواً يتضاءل امامه كل غرس غذاه بدمائه ودموعه في بلاد يعمرها ويعلم انها ليست له وانه فيها ضيف راحل .

فلو لم يكن لنادي القلم الا هذه الدعوة يوجهها بقوة اللسان والقلم الى الشعب العراقي أن يشعر بان لاخيه السوري والمصري والنجدي حقاً في بلاده مثل الحق الذي له ، لو لم يقم لنادي القلم عمل غير هذا لكان له قبل العروبة فيه يد يلهج بشكرها الحق ، ويعتز بها المجد العربي المدفون تحت سماء الاندلس وعلى شواطئ بحر المرجان .

أفلم تتسع العراق ايام المأمون لثلاثين مليوناً من العرب ؟ أو لم تبلغ نفوس بغداد اربعة ملايين على عهد الرشيد ؟ أو لم يكن خراج منطقة عين تمر وحدها عشرين مليوناً من الدنانير ايام الهادي والمهدي العباسيين ؟

فما بالنا نرى العراق اليوم لا يشتمل على اكثر من خمسة ملايين ، وبغداد لا تضم اكثر من نصف مليون ، وعين تمر لا تغل اكثر من ربع مليون دينار كسباً وخراجاً ، ثم نرى العراقي يحتفظ بهذا العدد ويريد ان يقف عند هذا بينما نرى العربي يقطع البحار ويجوب القفار ليعمر ارضاً تدفع عنه البؤس وبلاده هذه اخصب ارض الله غلة ، والصقها به نسباً وارثاً ؟

على نادي القلم وفيه الصحافي اللبق ، ان يوجه الصحافة في العراق الى

مثل هذه النهضة ، وعلى نادي القلم ، وفيه الاديب الناضج ، ان يوجه الادب الى مثل هذا ، وعلى نادي القلم ، وفيه الشاعر الخنذيذ ، ان يوجه الشعر الى مثل هذا ، وعلى النادي ، وفيه المعلم الحكيم ، ان يوجه التعليم في معاهده الى مثل هذا فقط .

فما يمر بنا اذ ذاك بضع سنين حتى نرى العراقي ينكر نفسه بين يدي اخيه العربي الذي لم تلده سوريا ومصر ليكون غير عراقي روحاً ودماً ، وحتى نرى العراق المؤهل لتوحيد الامة العربية على صعيد واحد وتحت سماء واحدة ، يحمل العلم العربي ويتقلد السيف العربي ثم يهتف بالمجد العربي من اقصى اليمن حتى جبال طوروس .

ان دول اميركا دولة دولة لو بحثنا انساب شعوبها لوجدنا كلا منها مجموعة أسر تنتمي الى شعوب مختلفة الالسن والالوان ، فلم تهلك الآباء وتنشأ البنون حتى صهرتهم الثقافة الموحدة في بوتقة الوطنية ، فلا تسمع على لسان فرد الا كلمة اميركا ، بعد ان كان ابوه يحمل لقباً يصله بشعب لم يعرف اميركا ولا سمع بها من قبل .

وبعد فهل تتقبل وتبلغ اخوانك ، يا شريف ، احر اشواقي وتمنياتي بسمو الفكرة التي يقوم عليها ناديكم من قابل ؟؟ انكم واياهم خليقون بذلك فاقبل وبلغ واسلم لاخيك .

الرسالة الثامنة عشرة

آل أبي جامع

قاسم محي الدين ، عبد الرزاق محي الدين ، كلاهما نجفي المولد والمنشأ يحمل اولهما لقب عالم واديب ، ويحمل الثاني لقب اديب وشاعر ومجدد .

يقطن الاول في النجف وهو في الستين من عمره ، ويقطن الثاني بغداد ويشغل مركز استاذ في دار المعلمين ويكاد ينهد الى العقد الخامس .

وينتسب كلاهما الى اسرة أبي جامع العاملية المعروفة بالعلم والادب والشعر منذ اجيال .

منذ عهد غير بعيد نشأ في الغرب ادب طريف اسموه ادب « الصالونات » ويجمل تعريبه الى ادب « الدواوين » فاحتل المكان الاول من الصحف العالمية وكان الاقبال عليه ثم لا يزال الى الآن بالغاً حد الوصف ، والافتنان في هذا الادب كان موضوع تفكير الادباء والشعراء . كيف يلتقط هذا الادب ؟؟ وكيف يلخص ؟؟ وكيف ينشر ؟؟ فكان الفن عبقرياً في التقاطه وتلخيصه ونشره ، فما تقع العين على اجمل اطار في صدر الصحيفة يعلوه اجمل عنوان حتى يلحظ الفكر انه ادب صالوني فيقبل عليه قبل كل موضوع .

والدواوين والصالونات طبقات في الامة فمنها السامي حتى الملك ومنها الساقط حتى الصعلوك ، اما الادب فليس له وطن خاص ولا معهد خاص ، فقد تروج سوقه في دواوين الطبقة المنحطة وتكسد في العليا ، وقد يأتي العكس فيهما ، لذلك كان التنافس بالغاً اشده بين الادباء المنبثين في الاندية والمحافل ، فالاديب المعهود اليه استطراف الادب الصالوني من دواوين الصعاليك يعتمد على براعته في تصوير الوانه بينما الاديب الارستقراطي يعتمد في تصوير الوان الادب الاقطاعي على مكانته من نفوس المجتمع ، حتى نشأ بين القراء حزبية كادت تشق الشعوب الغربية الى حزبين يفعلان

في مجتمعهم فعل القيسية واليمانية في العرب قروناً متعاقبة .

هذا الادب يعده الغربيون او بعضهم طريفاً ومن بدائع القرن العشرين ويشايعهم على ذلك اذناب الاستعمار الفكري من ادبائنا المتنطعين والذي يحملهم على هـذا التشيع فقرهم من الادب العربي الخالي وضيق صدورهم عن استيعاب روائعه وبدائعه ، فلو قرأوا كتاباً واحداً كامالي القالي والدرر والغرر ، او لو سمعوا بالاغاني وفتحوه مرة واحدة لعلموا ان ادب الدواوين مخلوق في الامة العربية منذ الف عام او يزيد عليها .

وهذا شبيه بالظنون الكاذبة الـتي يذيعها الغربي ويعتنقها الشرقي المائع فيؤمن بها ويدين لها ؛ اهمهـا ظنهم ان المؤتمرات من خلق وابداع هذا العصر ايضاً ولم يصلوا الى ان محمداً نبي العرب سن هذه المؤتمرات قبل الف وثلاثمائة عام فجعل منها مؤتمراً سنوياً عاماً — هو الحج ، ومؤتمراً اسبوعياً خاصاً هو صلاة الجمعة ومؤتمراً يومياً وهو صلاة الجماعة ، ولكل من هذه حكمة يدركها اللبيب المتفقه وان طمسها الغر من فقهاء الامة .

واستمرت هذه الدواوين العربية في الامـــة حتى يومنا هذا وابرزها اليوم دواوين النجف الضاربات المثل الاعلى للامة العربية في الادب عامة وآداب العلوم خاصة ، فالادب العام يتناول النكتة والفكاهة والمجون والشعر ، وآداب العلوم تتناول ادب الدين والعلوم اللسانية وعلم الفلسفة .

فالنجف اليوم وقبل اليوم ظاهرة كبرى من اسمى ظواهر الطبيعة والعقل في الانتاج المفضى بهذه البلدة المجهولة في عالم الادب العالمي ، الى ان

تكون ديوان العرب فيما يسود محافلها وانديتها من نقاش وبحث وجدل ومناظرة ومفاكهة في العلوم والآداب والفنون على اختلاف الوانها قوة وضعفاً وجدة وعتقاً .

ولست اخوض في هذه الرسالة بحث الدواوين النجفية عامة وانما عرض لديوان واحد فيها قد يصلح عنواناً لهذه الدواوين ويكشف لونه عن الوانها بما تبدع الافكار فيه من ادب وفن يخسر العالم العربي كثيراً في دفنهما بين جدر الغري ، وتنطوي كل لحظة فيه صفحة بيضاء ناصعة من سجل الفن الخالد ، ولم ار من هؤلاء العباقرة الذين تعمر بهم الدواوين من يؤدي رسالة البعث الحي في النشر الاهم الا قليلا منهم ، ذاك الديوان هو ديوان الشيخ قاسم محي الدين .

عزيزي الشيخ قاسم ،

وكم احب ان اناديك باسمك عارياً عن كل لقب يحرص عليه من ليس فيه ويزهد فيه من صدر عنه ، أفأنت من هؤلاء الذين يربدون اذ تضفى عليهم الالقاب محشوة بالرياء والتدجيل ؟؟ أو انت ممن تغمرهم سحابة الغم والكرب اذ ينادون باسمائهم المجردة ويغضي مخاطبهم عن تخير الالقاب الضخمة واسباغها عليهم ؟؟

اظنك ترتاح للالقاب ولكن دماثة ما فطرت عليه من خلق سام وطبع شريف الى مرح دوح طبيعي فيك ، تحاول تحت هذا كله ان تخفي حبك الالقاب ، على أن الشاعر لا يطمئن الى شيء من ذاك والحقيقة ماثلة امامه ،

فانت تحب الالقاب يا اخي ولكن الذي يدفع عنك سبة هـذا الحب أن التهافت على اللقب اصبح سنة متبعة في بلدك لا تستطيع الخروج عليها فانت معذور في اتباعها ولعلك مجبر على التطبع بها ٠

ومهما يكن من صلف هؤلاء الذين يتوقعون اللقب الضخم من مخاطبهم وان كان فارغاً ، فانك بعيد بروحك وبدنك عن هذا الصلف ، ولعلك يحبك الالقاب تسبغ عليها جمالا يعريها من الصلف ويكسوها رقة تخف بهـا على قلب الشاعر ، ومن اجل هذا كنت اغدق عليك الالقاب التي اراني متكلفاً منحها لغيرك من هواة اللقب ٠

ولئن كان مرح طبعك وخفة روحك يشفعان لك في كثير من المواقف التي تفرض على زملائك في ان يضعوك ، والمجلس مختلط ، في المنزلة الـتي تخالف طبعك وتلائم وضع الدخيل في هذا المجلس ، فان الغاية التي تستهدفها من وراء ما تفرض على اخوانك في الادب الفكاهي ، وهي استخدام العامة لمصالح تعود بالنفع الجزيل عليه وعلى صنفك ، هذه الغاية اقرب الى الشفاعة في ان تجفو احياناً في مكان الرقة وتكثف في مكان اللطف ٠

ما ابرعك يا اخي في استخدام اولي الامر لمهنتك وزملائك فيها ، ومـا اقواك على تلبية المظلومين في دفع الظلامة عنهم تحت هذا الستار ، ستـار التطبع بمـا يخالف طبعك في سبيل الانسانية المضطهدة ، ولا اكتمك اني لمست منك حب الزعـامة الشعبية الى زعامتك الادبية ، أفأكون مخطئاً ان تماديت معك في هذا ؟؟ فاني احلل شخصك وما احب ان اكون كاذبـاً ،

بيد أني اغبطك على هذه السجية فانها محمودة في الاديب مذمومة في غيره .

ولكم تتمثل لديّ جليل القدر عالي الهمة بغيرتك على كل مـا يشعر الناس بخروجك قيد شعرة عما يجعلك في المنظر الاعلى منهم ، ذلك ما يحماني على اكبارك ، لان تضحية الرجل بما خلق له في سبيل ما هو اسمى واعز ، فضيلة ترفع من قدره وتحشره في عـالم يهيمن على عوالم الدنيا المحدقة به من ابناء جنسه .

فانت ، اذ تخلو الى زملائك ، اروعهم نكتة واطرفهم نادرة واظرفهم فكاهة ، انت مع هؤلاء افكه نديم وارق سمير ، فاذا ضمك مجلس وكانت السيطرة للعامة عليك فيه ، كنت اذ ذاك الواعظ المرشد والحكيم المصلح ، ثم اذا دخلت المحاكم مثلت فيها الامين على حقوق الضعفاء تنتصر لهم وتدافع عنهم ، أفليست هذه خلة يغبطك عليها كل عاقل يفتح عينيه ليبصر وينص اذنيه ليسمع ثم يستلهم قلبه ليفقه ويفكر ؟؟؟

بهذه الشخصية كنت موضع احترام العـالم والاديب ، وموضع ثقة الحاكم والسوقي فكان منزلك ديوان العامة والخاصة وكنت اهلا لان تزار ويُؤنس بك ويؤخذ عنك ، وبهذه الخلال الـتي جمت في شخصك الواحد شخصيات قد تتنافى الا في الرجل العبقري ، وكان ديوانك محجة ادب ومهبط وحي ومدرسة عقول ومحطة آمال .

فديوانك لولا خليط يشوبه من عـامة الشعب احياناً لكان مثلا اعلى للادب الصالوني ، اذ يشتمل على العالم الفقيه والعالم الحكيم ، والعالم اللغوي ،

ويشتمل على الاديب السمير والاديب النديم ، والاديب الشاعر ، ثم يشهده نفر غير قليل من علماء الطب والحقوق والهندسة وارباب الثقافة الحديثة ممن لم ينتظموا في سلك الفئة التي يعمر بها ديوانك من اعلام تراثنا التالد .

يقولون ، وبعض القول هراء وتهذير ، ان اي رجل غني يستطيع ان ينشيء ديواناً يجتمع اليه فيه هواة الادب والعلم ومدنيو الطباع ،، وقد اخطأوا فيما يقولون ، ان اي ديوان يفتح لغاية لم تتأصل في نفس منشئه لا يمكن ان يكون منتدى يضم من يستهدف تلك الغاية ، فالاديب لا يقصد لادبه غير المتأدب ، والعالم لا يقصد لعلمه غير المتعلم ،وهكذا انما يزور الفنان لمجرد الفن زميله الفنان .

اما ان يقصد التاجر الاديبَ والزراع الفنانَ والصانعالعالمَ فذلك بدافع المصالح العامة التي تهيمن على الملأ اجمع ، فقد أحتاج الى الخبازاو الى الحداد او الكناس فاقصدهم ، وانا الاديب، لا لادبي ولكن اصلة تربطني بهم غير الادب فلا يستلزم ذلك ان يكون في مقدور الخباز السخي ان ينشيء ديواناً يحجه اولو الادب والفن .

وليس في مفهوم الاديب ان يكون عالماً نحريراً او فناناً عبقرياً او شاعراً ملهماً ، وانما الاديب من يستهويك فيه خلة ما هي من صميم الادب فتحملك على قصده ومسامرته والركون اليه ، ففي اللغة : الاديب الظريف مصوغاً من لفظة ادُبَ اي لطف وظرف وخف على جليسهولا يكون ذلك كذلك حتى يدرس كثيراً من العلوم ولو الماماً ليتسنى له فقه النفس وتحليتها بما

يستهوي جليسه من النكتة والفكاهة والطريفة النادرة .

وقد كان الملوك يتخيرون من خاصتهم الافكه حديثاً والاطرف نادرة فيتخذون من اولئك ندماءهم وسمارهم وعن هؤلاء وامثالهم كانت تدوّن كتب الادب التي لا تزال ماثلة الى الان تحمل روعة الفنون والآداب ايام ازدهار الحضارة في بلاد العرب .

والادب كالجمال يكاد يكون مجهول الحد تحت مقياس العقل ، ففي نكتة مبتذلة او حديث سائر او خبر شائع لا ترى فيه ادباً اذ يمليه عليك شخص ثقيل على طبعك من حيث لا تشعر ، ثم يرويه لك آخر ممن يشاكلك بروح لا تفقه سرها ، أهي في الطبع ام التطبع ، ولعلها تكون في الدم يحمل اسرار الروح ثم لا نصل الى الصلة بينهما ، يرويها لك هذا ولعله اقل درساً وابلد شعوراً في الحياة من ذاك ثم تستسيغ حديثه المبتذل ويستهويك بالنكتة او الفكاهة التي تخرق سمعك الى قلبك كل يوم ، ذلك لما يسبغ على هذا المبتذل من جديد روحه الذي يشترك معك فيه .

أفلا ترى معي يا اخي ان الفكرة والديباجة اللتين هما ذخر الادب والعلم والفن قديمتان قدم الانسان ؟؟ فأين الجديد اذن ؟؟ الجديد هو اسلوب الاديب الذي يسبغه على الفكرة والديباجة من روحه التي يمتاز بها على غيره وهي هي تلك الشخصية التي يدل بها على عظمة خالقه العبقري في الكون

يكذب من يقول لك : ان الاديب يخلد بفكرته او ديباجته ويستهوي الناس بواحدة منهما ، وانما يخلد ويصعد بتصرفه الخاص بهما وتركيبهما على

الشكل القائم في نفسه وذلك ما نسميه بالاسلوب الشخصي او الذوق الخاص او الادب الذاتي ، فما هي الفكرة الجديدة او الديباجة الجديدة في قول البهاء زهير :

من الآن تعاهدنا ونطوي ما جرى منا
فلا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا
وان كان ولا بدّ من العتب فبالحسنى
فقد قيل لنا عنكم كما قيل لكم عنا
وما احسن ان نرجع للوصل كما كنا

وقول الآخر :

بالذي ألهم تعذيبي ثناياك العذابا
والذي ألبس خديك من الحسن نقابا
والذي صير حظي منك هجراً واجتنابا
ما الذي قالته عيناك لقلبي فأجابا ؟

هل من يدلني على المعنى الجديد او اللفظ الجديد او التركيب الجديد في هذا الشعر ؟؟ ثم هل يستطيع ان ينكر الروعة البالغة في عبقرية قائله ؟ اذن فأين مناط هذه العبقرية التي تنم عن الادب الرفيع فيه ؟؟ انها في الروح التي نشعر بها ثم لا نستطيع حدها بغير قولنا : تركيب خاص في نفس الشاعر اسبغه على الفكرة والاسلوب فامتاز به .

عزيزي الشيخ قاسم ·

انت هذا الاديب ومثلك كثير في النجف وغير النجف من الادباء الذين يجل ادبهم عن الحد بدرس الفقه او الاصول او الحكمة او العلوم اللسانية او البيانية ولكن شيئاً من كل منها اشربت به عقلك ثم اسبغت عليه روحك الملهمة التي لم تخلقها انت والتي حلتك بالادب فكانت معجزة الطبيعة فيك ·

ومثالا آخر على ان الادب حلية في النفس لا يقوى الفكر على تحديدها ولا يستطيع العالم خلقها : الشيخ عبد الغني الخضري ، والشيخ علي الخالدي والشيخ جعفر حمدر والسيد محمد الهادي والاستاذ طاب فليح والشيخ صالح كاشف الغطاء ، والشيخ فاضل مرداد وامثالهم كثير ممن تحلوا بالادب المجلسي الذي يحمده اليهم الجلاس ، ومن اجله يزورهم ويكبرهم ، واذا خلا منهم مجلس الادب يتفقدهم ويسأل عنهم ويشعر بفراغ في نفسه ليراهم ويسمعهم ·

فديوانك ايها الحبيب مدرسة ثقافة وتهذيب ومهبط وحي ، ولو لم يكن فيه الا مكتبتك الجامعة انواع الكتب والصحف قديمة وحديثة ، لو لم يكن الا هذه ، والا رجوعنا اليها كلما ثار بنـــا الجدل حول بحث علمي او ادبي ، لكفى في كون ديوانك حلية من حلى النجف تزدان بها لبة العصر واليهـــا يرجع الفضل في تعالي هذه البلدة على غيرها من مدن وقرى العالم العربي ·

فلا تأس على الدنيا التي يضطرك ادبارها احيانا لاقفال هذا الديوان بضعة اسابيع في السنة ابتغاء للرزق وسعياً وراء القوت الذي يضمن لـــك الاباء والشمم الرفيع ، ويسمو بك عن ان تطلب الى غير نفسك حاجـــة ، لذلك

نجدك وانت في ديوانك تستقبل الخاصة والعامة عالي الرأس ناصع الجبين من وراء عفتك وادبك واحسانك ٠

ولكم يؤلمني ان تمر تلك الليـالي المشرقة بالادب والفن في ديوانك ، والتي كنا نموج بها كالبحر الزاخر مما تفعل بنا الاريحيه بين يدي عـلم تتجلى مسائله او ادب ينبثق فجره او فكاهة تطغى على الاحلام فتفعل فعل الراح بنا حتى يكاد بعضنا يعربد والبعض الآخر يجن ٠

كم يؤلمني ان تمر بنا تلك الليالي ، وابواب السماء تتدفق علينا بالوحي الذي يحلم به كل من لم تشرق عليه شمس النجف ،كم يؤلمني ان لا ينبري احـد منا فيسجل بضع نكات كان وقعها في نفوس اخوانك كما تقـع القطع الذهبية على صرح ديوانك ٠

ولكم كان يؤلمني ان نكتشف كثيراً من روائع العلم والفن المخزون في قلب الطبيعة ثم لا ارى من يعمد الى تدوين هذه الروائع فيبعثها الى العـالم وما يستقبل ، ادبا تفخر به دواوين العرب ، ويغبطها عليه الادب الصالوني في بلاد المغرب ٠

يا لها ساعات في ليال ما احمق تأثيرها في النفس وابهج اشراقها في الخاطر وآلم ذكراها بين جنبي كلما هزتني لها الوحشة واركسني اليها الزمن الحافل بالبؤس في قوم لم تهب محيطهم الطبيعة شيئـاً من الروح الغنية بالآداب والفنون ٠

ساعات في ليال يكاد لونها المـائل بين عيني ، يريني من وراء الدموع

السخينة اشخاصكم بين تلك الجدر المتواضعة ، وتحت ذلك الافق المتطامن شموساً تخترق حجب الظلام الي فتشرق بها نفسي ويرتاح لها خاطري فاطمئن الى هـذه الذكرى في تعليل النفس بالعود اليكم والامتزاج بكم حتى كأنني واحد منكم .

أواه يا وادي السـلام ألا ارى قبل الممات حصاك مل‌ء انامـلي
واشم تربـك وهو اطيب عنبر واذوق ماءك وهو اعـذب سائل
وازق ورق حمـاك حبة ناظري يومـاً ولو بفم الحمـام الزاجل
واظـل ارتاد القبور كأنني مرتاد حي بالاحبة آهـل
في فتية جبـل الغري طباعهم من طيب اعراق وطيب شمائـل
يتنافسون عـلى الفنون فعارف منهـا ومجذوب لهـا بوسائل
هل ترجع الاقمـار بعد افولها سمار اندية لنـا ومحافـل
ونعود بالذكرى الى احضانهـا عود الفصيل الى الرؤم الثاكل؟؟

وانت ابا زهير

لو صح ان يتقمص الشاعر الحي شاعراً حياً مثله لقلت انك تقمصت الشاعر الشبيبي ، حتى كأنك هو عقلا وفكراً وخيالا ، واني لاغمض عيني عن شخصيكما فلا ارى غير روح واحدة تعرب عن فكر يقد اللفظ من صخر ويغترف المنى من بحر .

والى هذه الخلال التي تشارك فيها الاستاذ خلة اخرى تتزعم الادب والفن في كيانك ، تلك هي الحكمة الى جانب الشعر ، وهذه خلة رئيسية عند ابي اسعد تشاركه فيها ، واسمح لي ان اقول لك : تتلمذت عليه في كسبها فان الحكمة لا توهب كالفنون ، وبودي انا الذي كنت في الشطر الزاهر من عمري تلميذاً للاستاذ الشبيبي فيما يبدع لو كنت حكيما مثله ولكني قصرت عن هذه الحكمة التي تضمن للادب الخلود .

فانت يا اخي خليفة ابي اسعد فينا وهو حي لان السياسة حالت بينه وبين رسالة الادب المعهود اليه اداؤها عن طريق الحكمة والشعر معاً ، اذ لا يقوى الشاعر على اداء رسالته مرموقاً بالفضيلة الا وهو حكيم ، واما الشعراء الملهمون تحت سماء الفن العاري من الحكمة فاولئك يؤدون رسالة الانسان كما هو لا الانسان الفاضل الذي يشخص الى الملكوت وهو يصعد في حياته .

فالاستاذ الشبيبي يكاد يعهد اليك بهذه الرسالة ، رسالة الفنان الحكيم ، ويضطلع هو برسالة السياسي المحنك ، وارى انك تتوجه بهذا

العهد الى قيادة الشباب المثقف وتوجيهه الى حيث يفقه الحياة ويسير الى الخلود بخطى سريعة تدنيه من الروح العبقري في الكون .

رزانة واناة وتدبر وبصيرة وهل الحكمة الا هذه ، وحذق وتفكير وبعد نظر ، وهل العلم الا هذا ثم شعور سام وعاطفة ملتهبة الى روعة في الخيال ودقة في التصوير ، وهل الفن فوق ذلك ؟؟ فمن اي هـذه الخلال خلت نفسك ؟؟ وباي هذه الحلى لم تتزين ، وعلى اي هـذه الدعائم لم تعتمد وهي تؤدي رسالتها الى رجال الغد واعلام المستقبل ؟؟؟

عزيزي ابا زهير

ليس للمرء ان يسود الناس ولكن له ان يخلد وهو سيد ، وليس له ان يقول ويفعل وانما له ان يخلص في قوله وفعله ، ثم ليس له ان يحيا وهو ميت ولكن له ان يموت وهو حي ، أفكنت ، وانت الشاعر الحكيم في العراق ، غير هذا الذي يخلد وهو سيد ، ويقول او يفعل وهو مخلص ، ويمر على هلاكه قرون وهو حي يماشي الاجيال ؟؟

ما اشد احتياج الامة العربيـة في هذا العصر الى قائد يدرع الحزم ، ويتقلد الفكر ، ويعتقل الرأي ، فيثير في الشباب حرباً تتناضل فيها الاقلام بين يدي الفكر ، وتتزاحم الانفس في معرض الفن ، وتتنافس الافكار على مسرح الابداع . وليست هذه الامة مفتقرة الى السيف ولكن الى اليد التي تخلق السيف ، ولا هي في حاجة الى المدفع ولكن الى الدماغ الذي يخلق البارود في قلب المدفع ، وهل يصل الدماغ الى هذا الخلق الا من وراء العلم ،

أو هل تحلق اليد سيفاً لم يؤهلها له الفن ؟؟

تلك هي رسالتك في العراق وهذه هي رسالتنا منذ سنين في سوريا .
ولكن هل ادينا هذه الرسالة ؟؟ واذا كنا قد اديناها فهل تركت اثراً في المحيطين يشخص لنا على معهد او في قلب معبد ؟؟ امـا الاداء فقد كان ، وهذه الصحف والكتب حافلة بآثارك وآثار من هم معك في حظيرة الادب والعلم ، فما السر في أنا لا نزال احط منا قبل ان نؤدي هذه الرسائل ؟؟

نعم هنالك سر يكشفه قول الشاعر :

اری الف بان لا تقوم بهادم — فكيف ببان خلفـه الف هادم

ست سنين ونحن ندأب في العمل ، لم نترك صحيفة سياسية او ادبية ، ولا مجلة اسبوعية او شهرية ، ثم لم ندع محفلا دينيـاً او مدنياً ، الا وكان الحق فيه شاهداً على انا خطبنا حتى كلَّ اللسان ، وكتبنا حتى تحطم القلم ، في سبيل هذه الرسالة التي كانت تحمل الى الشعب الحيـاة في تحرير الفكر وتحرير القول وتحرير العمل ، ثم ماذا كان ؟؟

كان العمل في الشعب عـلى تمزيق تلك الرسالة وتكسير الانامل التي تسجلها ورضخ الدماغ الذي يمليها ، ومن كان الحامل عتاة الامة على اقتراف هذه الجرائم ؟؟ هم حملة الاقلام ودعاة العلم وقضاة الدين ، وهكذا لمست السبب في الحيلولة بينكم وبين اداء هذه الرسالة على ضفاف الرافدين ، او الحيلولة بين ادائها وبين تأثيرها في الشعب ، هو من هذه الفئة التي لم تفكر لتقول ولم تقل لتعمل ثم لم تعمل ليسجل عملها الاخلاص في ديوان الحق الخالد

لقد كنتَ ، في الحفلة التي شهدتها بنفسي ، خطيباً اول وشاعراً اول ومع ذلك غمط حقك وتجاهل الحسود قدرك حتى كأنك عدو الفن الذي رفعت رأسه عالياً وانت تمثل الخطيب المصقع والشاعر الملهم من على منبر النجف الاسمى .

اخي الشاعر

ان مدرسة النجف التي اخرجتك وعشرات امثالك من مفاخر الادب العربي الحديث ، ان هذه المدرسة تستغيث بكم وتستصرخكم لمثل هذه الاباطيل ، فماذا على زملائك اذ برعت في موقفك هذا ان يخلقوا منك عبقرياً ابرع واحكم في المواقف التي تليه بتقديرك واكبارك ؟؟ وماذا عليهم ان يسجلوا الوفاء والاخلاص للمهنة التي يشاركونك فيها فتكونوا جميعاً ، قدوة صالحة للنشء الذي يتأثركم في الحياة ، ومثلا أعلى للادب الذي تكبرون به في أعين الملأ ويسمو بكم في عالم الحق ؟؟

ماذا عليّ ، وأنا الاديب ، ان ارفعك وترفعني فنعلو معاً الى حيث نعز ونحيا ، وماذا يجديك ان تركسني واركسك فنرتد معاً الى حيث نتردى في وهدة الخمول ويسودّ بنا وجه الحياة ونترك أثراً سيئاً في نفوس الامة التي تزعم اننا قادة الفكر فيها وبناة المجد لمستقبلها العتيد ؟؟

كيف نعالج هذا الداء ؟ وبماذا نستأصل شأفته من نفوس صغرت حتى هان عليها الذل والتقهقر والجمود ، ولؤمت حتى لم تجد حرجاً في ان تنتصر للباطل وتتنكر للحق فتظلم وتهضم ثم لم تصل الى ان ظلمها وهضمها

سيفضي بها الى الموت الذي يذيقها طعم الرق والعبودية في حياة حافلة بالشقاء والبؤس ؟؟

اما انت فقد ظلمك الادب باختصاصه اياك في تأدية رسالة تجمع بين الحكمة والفن في قوم هذه شنشنتهم في جزاء من يقطع الطريق بين مسكنه ومكان عمله مطأطئاً يستلهم الارض مما تنبت وتلون لينبت هو في معهده مثلما تنبت الارض ويلون ازهاره الناشئة بمثلما تتلوّن ، افليست هذه الرسالة شاقة عليك بين يدي تلك الطبيعة القاسية والمجتمع الظالم ؟؟

لا يا ابا زهير ، ان الحقيقة مهما اثقلت اعناق العباقرة من غواتها بالبلاغ الذي تنتدبهم للاضطلاع به ، فليست بظالمة لهم ولكنها تريد في ارهاقهم ليحترقوا في اتونها الفوّار بالحمم وتنصهر نفوسهم في بوتقة الفن فتخلص من شوائب الحياة الصاخبة تحت وطء العاق من ابنائها الخنع .

فالحقيقة اذ تعهد اليك برسالتها الغراء فانما تتخيرك من افلاذ كبدها لتؤدي مهمتك على الوجه الاكمل اذ رأتك اقواهم ساعداً ، واكبرهم قلباً ، واحصفهم رأياً ، وامضاهم عزماً ، وانضجهم تفكيراً ، افلا تحب ان تكون هذا الرسول ولو تظاهر الانس والجن على ظلمك وانت في السبيل التي تفضي بك الى ان تخرج من عملك عالي الرأس هادىء النفس ناصع الجبين ؟؟؟

اعمل يا اخي وانصب في عملك ثم ذب كالشمعة تحت اللهب لتنير وجه الحق في سبيل امتك ، فلست اول من ضحى بنفسه امام الواجب

وخزن في صدره كثيراً من آلام الحياة التي اضرمها في نفسه ظلم القريب للقريب ، فقبلك نال من سار سيرك مثل الذي نالك ، أفما تسمع قوله :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند

رأيتك يا اخي تحاول ان تقتنع بان العقيدة في اساسها وهم اذ قلت لي في معرض القول عن النفس وتأثيرها بالعقيدة على الجسم ، قلت : « ان هذا لا يفعل شيئاً من دفع بلاء او قضاء حاجة » على ان بحثنا هذا لم تكن له صلة بالدين فاني احترم فيك العقل الذي تعصم به دينك وتراه امس ضروريات الحياة بالانسان .

احب في هذا المعرض ان اتحدث اليك بما اتصل بي عن طريق النفس في عالمها الحديث :

سألني احد مهاجرينا العرب في مدينة سانتياغو عاصمة بلاد التشيلي في جنوب اميركا ، وكنت مدعواً لهـا من احدى الجمعيات العربية ، سألني هذا السائل ، وانا في نادي الجمعية وبين رهط من رجالها : كيف تفسر قول النبي العربي : لا عدوى في الاسلام ؟ ؟ وهل يصح ان ينسب هذا القول للرسول وقد رأينا كثيراً من الامراض السارية العدوى ؟ ؟ سألني هذا وقد شعرت بانه يتعنت بسؤاله ويريد ان ينال من قدر النبي فاجبته :

لقد قال النبي في موطن آخر : « فِرّ من المجذوم فرارك من الاسد » والجمع بين هذين الحديثين ان العدوى قاصرة على بعض الامراض وممتنعة في الكثير منها ولعلي الحظ ان للعقيدة والايمان اثرا في مناعة الجسم واستعصائه

على كثير من الامراض المعدية وهذا ما يتخرج عليه الحديث الاول ، امـا الثاني فيعطينا ان بعض الامراض التي منها الجذام يستعصى على العلاج المعنوي فلا يقوم بدفعها ايمـان او عقيدة ، والارادة في الانسان تختلف قوة وضعفاً باختلاف البشر ايماناً وشركا .

قلت هذا وكان في السامعين الاستاذ ناظم ظبيان وهو طبيب ومهندس، فوقف واستأذن ليتكلم فكان حديثه كما تسمع : ان العلم الحديث كشف لنا بالمجاهر ان الانسان ينبعث من جسده شعاع دائم يتلون هذا الشعاع بألوان النفس، فاذا قويت ارادة الشخص او عقيدته وهو يقدم على عمل ، ينبعث من جسده شعاع احمر واذا كان ضعيف الاعتقاد والارادة خرج الشعاع أصفر ، وفي طبيعة الشعاع الاحمر قوة على الاحراق فوق طبيعة الشعاع الاصفر

من هذا نصل الى ان كثيراً من الامراض السارية يمتنع عليها ان تتسرب الى جسم العائد وهو قوي الاعتقاد بان لا عدوى ، اذ تحترق الجرثومـة التي يحملها الهواء من نفس المريض الى جسم الصحيح بقوة احراق الشعاع الاحمر بينما لا يقوى الشعاع الاصفر على احراقها فيما اذا كان العائد ضعيف الاعتقاد بعدم تسرب تلك العدوى ، اما النهي عن عيادة المجذوم فيعطينا دليلا على ان بعض الجراثيم لا يقوى الشـعاع الاحمر على احراقه فيفتك بجسم العائد الصحيح مهما قويت عقيدته بعدم العدوى .

ولو شئت ان اقص عليك مما اثبته العقل وايدته التجارب من تأثير العقيدة والارادة على المادة لضاق نطاق هذا الكتاب عن استيعابه ، على اني اعيد

عليك وانا واثق من ان المادة في اصلها مجموعة قوى تحجرت بالارادة ولك ان ترجع الى البحث الشامل في هذا الموضوع من الرسالة الخامسة فعساها ان تنهض دليلا على صحة هذه النظرية .

عزيزي ابا زهير ،

عليك ، وانت مربي النشء وقائد شباب الامة في مستقبلها العتيد ، ان تحكم هذه الفكرة من نفوسهم احكاماً لا يترك مجالا المشكك المرتاب ان يدجل ويضلل على غير علم منه ، ان الحقيقة يا اخي ، عالم بذاته لا يتصل به الا من عرف نفسه وبدأ هذا العرفان بقوله : لا ادري ، ويمكن ، وربما ، ومن المحتمل ، اما ان يقول نعم ، وهذه هي الحقيقة ، وان ، وقد كان ، وسيكون ، وغير ذلك من ادوات الجزم والتأكيد ، فذلك محض خطأ ناشىء فيه عن جهل في ذاته اعماه عن تبين الحقيقة فيما يسمع ويبصر .

واذا كنت استطيع التأكيد في شيء فانما هو ان آخذ على نفسي تفنيد كل رأي يلتمس الحقيقة ويدعي كشفها حتى في نظرية : ضم اثنين الى اثنين يساوي اربعة ، فان في تثقيفنا النشء على اساس الجزم فيما ندعي كشفه لعقماً بيناً في الانتاج ، اذ ما من نظرية يقف عندها العلم الا ويتحجر الفكر معها حتى اذا قيض الله لها من يفكر في تحويرها وزلزلتها ، مشى العقل من ورائه حر التفكير طريف الانتاج وكانت الحياة معه ارحب افقاً واسطع نوراً

عليك ان تحمل رسالة التجديد للنشء الذي عهد اليك بتجديده ، وان علك نواة التجديد حتى تكون مشككاً في كل نظرية لتترك من بعدك حر

التفكير في بحثها والتصرف بها ، واعيذك ان تسن الجمود عليها للجيل المقبل ، فانا لم نتقهقر في الحياة ويسبقنا القوم الا من وراء جمودنا وتحررهم اذ عمدنا الى تطبيق الحياة على الدين وراحوا يطبقون الدين على الحياة ، والدين قانون عام يلزمه التحوير في جزئياته لا كلياته ليلائم الحياة التي هي عرضة للحدوث والتطور .

اما ان يحتجوا علينا بضعف الانسانية في المدنية الحاضرة وانهيار المجتمع بالحروب التي لم يشرعها دين ولا علم فنجيبهم بان هذا انما نشأ من تطبيق الدين على المادة المحضة وعدم لحاظ الكلي في الدين لدى تطبيق الحياة عليه ، فليس الانسان مخلوقاً ليدين بالحياة وانما هو مخلوق ليحيا بالدين ، فالتجديد الضروري انما هو التصرف بفروع الدين وجزئياته ، والاحتفاظ بكليه اصولا ونواميس تماشي الوجود حتى يتلاشى .

افلا ترى ان الكون بأسره ، انما يتجدد بتطور جزئياته وانما يخلد بالبقاء القائم في كليه ، فنحن مثلاً جزئيات منه نحدث ونتطور وكلينا كالانسان ثابت فبثبوت هذا الكلي يبقى الكون كوناً خالداً خلوداً نسبياً ، وبزوالنا نحن الاشخاص يتجدد الكون فيدور او يتسلسل ليضمن بقاء الكلي ناموساً تقوم عليه الحياة ، وفي هذا مثال وعبرة لمن يريد ان يجمد او يتجدد .

وبعد ، يا صديقي هل تتواضع فتغضي عن ان اهمس في روعك كلمة جديرة بختام هذه الرسالة اليك : اني لواثق كل الثقة من ان العراق انما ينهض باهله ويقوم بناء العروبة على اسسه القوية ، بفضل النشء العراقي الجديد

الذي يقوم على تنبيته وتثميره اساتذة امثالك قد اوتوا بصيرة بالدهر وحكمة في التثقيف واخلاصاً في العمل ، فعلى الحكومة العراقية ان تحتفظ بمثل هذا النوع من المربين وعليها ان تعتمدهم في برامج الحياة .

الرسالة التاسعة عشرة

المعمر

السيد معمر حسين، ربيب البيت الهاشمي حجازي المولد، عراقي المنشأ، يعمل في بلاط جلالة الملك الهاشمي فيصل الثاني، وهو ترب الوصي المقرب اليه، ويكاد يشرف على الكهولة من عقده الرابع.

عزيزي الاستاذ معمر حسين

لعل اطرف حديث جرنا اليه البحث في مكتبك ، هو حديث الشيخ العتيق ، وكيف انقلب وهو ربيب البيت الهاشمي ، الى بيت آخر ، دونما سبب يفضي به الى هذا الانقلاب اللهم الا ان يكون تقلب الطبع سبباً فيه

ما كنت احب الخوض في سيرة هذا الرجل ولكني رأيتك حريصاً على الاضطلاع بها ولعلك على عذر في هذا الحرص ، فقد يكون من هو دونك اتصالا بالبيت الهاشمي الذي اقام هذا الرجل واضفى عليه الكنى والالقاب قد يكون هذا اشد حرصاً منك فكيف بك وانت منهم في الصميم ؟؟

ولقد خشيت ان تتهمني بالجبن ازاء ما يتطلبه الحق من شجاعة فيمن يسجل على نفسه خدمة التاريخ ، فلن يقف في طريقي الى الحقيقة الدامغة صداقة او زمالة تقربني من هذا الرجل او تدنيه مني ، فسأفضي اليك بما تعجب للشعر والادب ، وهما ابرز الوان الحقيقة في الحي الحساس ، كيف كيف تضاء لا بين يديه وهو يدب الى منزله الاخير

سأذكر لك حديثين عنه ، اولهما افضى به الي السيد احسان الجابري ، وهو ثقة فيما يقول ، لان ثلاثين سنة مرت به وهو يخدم القضية العربية ، لم تزد الامة الا ثقة به واخلاصاً له ، وثانيهما افضى الي به الشيخ ابراهيم

وهو ابن عم الباشا ، وحسبك به شاهداً من اهله

يقول لي احسان بك : اتعجب من وفود الشيـخ على جلالة الملك السعودي بعد تعلقه بالهاشميين ثلاثين سنة؟؟ قلت اجل قال : اذن تجهل ماضي هذا الرجل ؟؟ قلت ما اجهلني بما لم ادركه فيه ! ! قال خذ مني وتحدث عني :

عندما وقعت واقعة ميسلون وغادرنا الشام في ركاب الملك فيصل الاول، كان اهم ما يوجب القلق في نفسه ويحول دون استقراره حتى لا يكاد يسمع ولا يبصر ، تأخر الشيخ عن اللحاق به ، وهو موضع سره ومستودع امانته ومحل الثقة من نفسه ، وبين يدي جلالته سجل الاسرار التي اؤتمن عليها من امته فعهد الى الشيخ بها واقامه حفيظاً عليها .

بين الساعة والساعة وبين اللحظة واللحظة يرسل الرسول تلو الرسول يتحسس منه ويستحثه سرعـة الخروج من الشام او ارسال ملف الاوراق السرية وهو يجيب بانه خارج لساعته وتمضي الساعة اثر الساعة واليوم اثر اليوم حتى خرجنا من فلسطين ونزلنا البحر ثم خرجنا منـه الى ايطاليا والملك صامت مفكر ذاهل لا يجيب بغير الايماء ولا يسأل بغير الهمس

ولم يكن فقده الاوراق السرية باشد ايلاماً له وفتكاً به من خيبته في ناموسه وامين سره ومستودع امانته ، ومن ضياع ثقته فيمن كان يعتقد به الاخلاص والوفاء لامته وبلاده ، واذ كنا على وشك ان نغادر ايطاليا اذا بالناموس « الباشا » يستأذن عليه فينتدب جلالته من يخلو به ويستخرج منه امانة السر فيعود هذا ويفضي الى الملك بما اثار حفيظته واخرجه عن شعوره

ثم انهال بالسباب والشتائم على الشيخ ولولا اختفاؤه لكان ضحيــة تلك الثورة ، ثم اقسم جلالته ان لايراه في مجلسه الا قتله وبذلك انتهت حيــاة الشيخ في بلاط الملك فيصل الاول ، وعلمنا بعد رجوعنا ان تأخره كان ناشئاً عن تواطؤه مع الاجنبي وتسليمه اوراق الديوان الملكي ، وعلى عمله هــذا بنيت مكانة اخيه في حكومات سوريا التي عقبت خروج الملك فيصل منها حتى اليوم »

ثم التجأ الى سمو الامير عبد الله يقسم له الايمان بانه اضطر الى التأخر في دمشق ليحتفظ باسرار الملك ولكنــه بوغت وهو خارج فأخذت منه الاوراق ثم اخلي سبيله فالتحق بجلالته فرفض قبوله وانخدع به سمو الامير فقبل عذره واستمر في ديوانه

يقول احسان بك : « وقبل بضــع سنوات مررت بعمان فزرت سمو الامير واذا بي ارى الشيخ فيرحب بي وأسأله عن منزلته من البيت الهاشمي الثاني فيجيب : اذا تخلى البيت الهاشمي عن العروبة درست اعلامها وعفت آثارها ، وها هو اليوم يفد على جلالة ابن السعود ويمدحه بالشعر الذي يثبت دعائم العروبة على قوائم البيت السعودي ، فما اعجب ما يكون من هــذا الانسان !!! »

قلت للصديق احسان بك : اتجيز لي نقل هــذا الحديث ؟ ؟ قال ولو اتسع المجال لنقلت لك اكثر من هذا مما يثبت تقلب هذا الرجل وتلونــه وبعده عن ثقة الامة به وبامثاله فانقل عني وأذع فانت في حل »

قلت : اتعتقد ان جلالة ابن السعود يثق به ثقة الهاشميين ؟؟ قال كلا ان ابن السعود ذكي حاذق لايخفى عليه تلون الرجال ولكنه يرحب بكل عضو ينفصل عن منافسيه لمجرد الانفصال واما الاتصال به فيكون منه على حذر »

واما الحديث الثاني الذي افضى به الي ابن عمه الشيخ ابراهيم فاليك نصه : قال : اتذهب الى هذا الدجال المتلون ؟؟ قلت من هو ؟؟ قال فلان ، قلت ما شأنه ؟ قال : لقد خان وعق بتركه البيت الذي جعل منا اسرة ذات مجد في العالم العربي ، ان عمله هذا كان سبة لنا وبرهاناً على انا نجحد الحق ونكفر بالنعم »

« ثلاثين سنة يا اخي ونحن جميعاً نتقلب في نعمة سابغة من الحسين وابناء الحسين لم تترك في نفس هذا الاحمق اثراً يشعر بنبالتنا واستحقاقنا صداقة الملوك واوسمتهم وبرهم بنا وعطفهم علينا ، فماذا يقول الحر مثلك ان وقف على ما كان منه اولا وصار اليه اخيراً ؟ ؟ »

قلت يهمني ان اعرف السبب في تحوله من البيت الهاشمي الى البيت السعودي ، قال : ليس هناك من سبب غير الجبن لانه عندما انهارت فرنسا واعلن هتلر دخول لندن خاف الشيخ على منزلته بل على روحه المائعة فرأى ان لا نجاء له الا بان يتنكر لسمو الامير عبد الله المخلص للحلفاء وينحاز الى جلالة ابن السعود المتهم اذ ذاك بقربه من النازيين فحقق هذه الفكرة الخاطئة وانفصل عن مقر الامير وزعم انه اعتزل السياسة ثم استساغ لنفسه النيل من عرض الامير واتباعه في مجالسه وبين اصدقائه حتى لم استطع ستر عورته بقول او عمل .

وليس انفصاله عن البيت الهاشمي بالامر الخطير عندنا نحن أسرته اذ ربما كان له مبرر من عذر ، ولكن التجاه الى البيت السعودي وهو غني عن السياسة والمال والجاه ، يسجل علينا التقلب والتلون ، بينما لو اعتزل السياسة مطلقاً وقال ما قال عن اميره السابق لما شعرنا بكرامتنا تمتهن وعرضنا تنهشه الالسن والاقلام .

هذا هو السبب الذي افضى بالشيخ الى هوة شاء ان يردي فيها اسرته التي بدأ مجدها منذ اتصل هو واتصلنا باسرة النبي العربي وابناء الحسين الذي ضحى بنفسه وملكه في سبيل العروبة والعرب »

أخي معمر !!

ذلك ما اتصل بي من سيرة هذا الرجل عن طريق ثقة نقلته اليك ، واما ما اتصل بي عن طريق لايحصيها عد ولكنها مضطربة السند جائرة الحكم فلن اتعرض له ولكني استطيع التعليق على كل ما وعيته من سيرته بان الشيخ لم يسر بخطاه الاخيرة الى حيث يبقى على كرامته بين قومه ، ومنزلته من نفوس عارفيه ، لانا لاننكر عليه تنكره للبيت الهاشمي لو ثبت في عزلته كما قال ابن عمه وصان لسانه عن التهم التي يلصقها بسمو الامير عبد الله في محافله ومباذله ، ثم لا ننكر عليه اتصاله بالبيت السعودي لو لم يكن قبله منتسباً الى البيت الهاشمي ولو لم يكن بين البيتين تنافس على الزعامة في العرب .

فكم يسوءني ، وانا صديقه ، ان اسمعه اليوم ينظم مطولات القصائد

في البيت السعودي فيؤهله لزعامة العرب وينفي هـذه المؤهلات عن البيت الذي ينافسه ، وانا الذي سمعته بالامس ينظم مثل هـذه الملاحم في البيت الهاشمي فيؤهله لزعامة العرب وينفي هذه المؤهلات عن البيت الذي ينافسه ، افي هذا التقلب شرف لنا نحن الشعراء الذين ندعي الوحي والالهام وانا لانعرف الكذب ولا التدجيل وان روح القدس انما ينطق على افواهنا وانا نحن الذين نملي صور الحياة المثلى لجيلنا والى الاجيال التي تلينا ، ثم نزعم انا وحدنا ذو و العبقريات التي من اجلها تقام لنا التماثيل وتضرب بنا الامثال؟

ايريد الشيخ ، وهو شاعر كاتب ، ان يعيد لنا في عصر الحرية والنور عهدَ النابغة والمتنبي ومن على طريقتهما من شعراء المدح والذم اللذين كانا غاية الشاعر في حياته بينما نمتهن الشعر او ندعي امتهانه لمعالجة قضايانا الاجتماعية وخدمة الانسانية في الثبات على المبدأ الصحيح والاخلاص للحق فيما نستلهم؟

ان للعروبة اليوم رؤوساً كثيرة تدعي حمايتها والاضطلاع باعباء هـذه الحماية ونحن،مفكري الامة ، نسمع ونبصر ،وقد اوتينا ميزة النقد واكتناه الحقائق فما يفوت ادراكنا رأس العروبة الاكـبر ، ولا يغيب عنا الدماغ المفكر والرأي الصائب والقلب الكبير في رجالات العرب .

فما ينبغي لنا ، ونحن المثل الاعلى للامة ، ان نتبع الهوى فيما نضرب لها من مثل ، ولا يحول دون بلوغنا القمة فيما نقول ، حطام دنيا نتردى به الى حضيض من الذل والهون ، ونسجل على انفسنا ما يسجله الخؤون الغادر بمـا اؤتمن عليه .

افليست العروبة امانة بين ايدينا نحن قادة الفكر في الامة ؟؟ فالى اين نصير بما ندجل ونضلل ، نمدح ونذم لا المدح ولا للذم وفي قرارة نفوسنا علم الصالح والطالح وامتياز الخبيث والطيب ثم نكر اللوم بعنف شديد على الساسة الجهلاء الذين يجترحون عقوق الامة وهم بعيدون عنها بينما نطعنها الطعنة النجلاء ونحن في صميمها

افلا نخجل من انفسنا ؟؟ ونحن دعاة الامة الى النهضة ، يمشي بنا الى الحياة رجال غلف يضطلعون باعباء النظم والدساتير تحت سيطرة الانانية ، فيوردون الشعب موارد الهلكة ويتخذونه مطايا يتبلغون بها شهواتهم ، بينما يغرق الاديب منا في مدح هؤلاء بالشعر الذي يندى جبين الحقيقة حياء منه ، فيصعد به الى السماء وهو تحت الارض ، ويجول به في عالم الملكوت وهو اخس من الحيوان ، كل ذلك في سبيل عز اشرف منه الذل ، وحياة افضل منها الموت ، في سبيل ماذا ؟ ؟ في سبيل حفنة من تراب الارض او خرقة من نسيج الدود

اخي معمر ! !

لا تؤاخذني على هذه الثورة ، فقد اجد من بردها على كبدي ما يطفىء غليلا اجار الله عينيك من لهبه ، ان الشاعر الحر ليحز في نفسه ان يسمع او يبصر من قبيله اناساً شوهوا وجه الفن ، واحاطوا الادب الحي بسور محكم لايشرف الاديب منه الا على جثث صم وافئدة غلف ، الهذا خلق الادب ، وهو الثروة التي يزدان بها العقل وتتحلى بها النفس ؟؟

أرأيت اسخف من ان يخرج لنا الشاعر العربي بين الفترة والفترة قصيدة يمجد بها اعمال ستالين او هتلر، وستالين وهتلر لايشعران بوجوده وليس في شعبه من يشعر بحاجة الى هذا التمجيد بينما نجد في الامة العربية رجالا وقفوا نفوسهم منذ فقهوا الحياة، على خدمة العروبة وبعثها من مرقدها المظلم، وفي كل يوم يسجل لهم التاريخ عملا يهيب بالشاعر ان ينصت فيسمع ويفتح عينيه فيبصر ثم يشحذ لسانه فيقول ؟؟

وهكذا ترى الاديب عندنا وعندكم لا يفتح عينيه منذ تأدب على غير مجد بزغ فجره من افق باريس او روما فيدون الفصول ويؤلف الكتب ومن ورائه مجد كان فجره مطلعاً لهذه الامجاد يستصرخه في ظلمات التاريخ ليبعثه حياً يفيء بالامة الى مجدها الغابر وعزها التالد، فلا يصغي اليه ولا يغيثه، كل ذلك في سبيل قبضة من تراب الارض يسد بها رمقه ويتبلغ بها عيشه.

يقولون: انا نحمل الى الامة العربية بهذه التراجم لوناً جديداً من الادب الحي لننهض بادبنا الى مستوى الاداب الرفيعة في عالم اليوم، نعم يقولون هذا ولكن اين هذا اللون الذي يحملونه الينا ونحن في حضيض ليس تحته تحت، والادب كان ولا يزال سلماً تنهض به الامة من وهدة الذل الى شرفات العز ؟؟؟

افتكون الامة، وهي في اسفل درك من العبودية والذل والجهل والفقر، محتاجة الى غير الادب الذي يحطم قيودها ويمزق حجب الظلام المخيم

في سمائها ؟؟ او تكون هذه الامة المستعبدة في حاجة الى تراجم لامرتين وبودلير واناتول فرانس ، ام الى بعث الادب في كيـان طارق بن زياد وسيف الدولة واسامة بن منقذ ؟؟

ألى ان نتعرف الى ادب في حدود الجمال والحب نفتقر ، والحرية التي هي اسمى مظاهر الجمال لم نعرف لها وجها في الحياة ؟؟ والى ان نحيط بالادب العربي في حظيرة الفن الجميل نذهب ونترك وراءنا الادب الذي يعرج بنا الى حيث نهيمن على الفن ؟؟

وهكذا نرى المفكرين من هـذا النوع احزاباً شتى ، حزب يتشيع للنازية وآخر للاشتراكية وثالث للشيوعية ، ولكل نظامـه المخلوق لغيره ومذهبه الغريب عنه ، اما الحزب العربي الذي يدرس هذ النظم ويمعن في بحث تلك المذاهب ثم يعرضها على سمائه وارضه وينتزع من مجموعها نظاما ومذهبا عربيين يدين بهما للغرب في شيء ولعنصره في اشياء ، اما هـذا الحزب فلم تحلم به الامة العربية بعد .

ترى الحزب الشيوعي مثلا يفكر بدماغ الشيوعية ، ويتكلم بلسان الشيوعية ، ويتخلق باخلاق الشيوعية ، وترى الحزب النازي والديموقراطي كذلك ، فانت اذا جئت بلادنا او فتشت بلادك وجست خلال البيوت تجد بيتا يتكلم اهله الافرنسية فهم افرنسيون بكل حياتهم ، وبيتا اخر يتكلم اهله السكسونية فهم سكسونيون بكل حياتهم ، وهكذا تجد النفوس القلقة والافكار المضطربة من بلادنا وبلادكم التي هي بلاد واحدة .

اما ان تدخل بيتاً له شأنه وله قيمته في المجتمع فترى العروبة بلسانها وفكرها وخلقها سائدة فيه ، فهذا يكاد يكون مفقوداً في بعض القرى البعيدة عن المجتمع النائية عن الحضارة ، تشتمل على اناس لا يزالون يدينون بعروبتهم العرجاء .

وهكذا قـل في هؤلاء المسوخ الذين يحجون الى بلاد الغرب ، فانهم يعودون مختلفي الالوان والاشكال فيبني كل واحد منهم مجدا جديدا في بلاد العروبة وطرازا جديدا لحياتهم في مرافقهم الاجتماعية ، فترى هنا قصرا قد اسبغ عليه الفن اللاتيني ، باطناً وظاهراً ، وترى هناك قصراً آخر قـد اسبغ عليه ربه الفن السكسوني باطناً وظاهراً ، وهنالك قصرا ثالثاً قـد اسبغ عليه بانيه الفن الاغريقي باطناً وظاهرا فتتوفر لديك مجموعـة من الامجاد والحضارات لا تناسب ولا تناسق ولا تآلف يسود اشكالها والوانها فهي كمجموعة من الغربان والعقعق والحمام والعنادل والعصافير في قفص واحد .

اما النفر المثقف الذي يزور الغرب ليحمل من جديده فيشربه قديمـا وتتوفر لديه مجموعة فنية عربية جديدة ، اما هذا النفر فلا تجد له من اثر في بلاد العروبة لان الخلق العربي لم تعززه الحكومات العربية في مدارسهـا وكنائسها ومعاهدها ومساجدها لينشأ العربي اول ما ينشأ متخلقاً باخلاق امته مشبع الروح بالتقديس لقوميته لذلك يذهب الى الغرب وهو غربي ويدرس الشعوب وهو في صميم الشعوبية .

اذكر ان الاستاذ كامل جادرجي صاحب جريدة الاهالي عندكم سألني

عندما زرته عن رأيي في الحروف العربية ، فقلت : تحتاج لاصلاح فقال كلا انا نريد ان نجمد على قدمينا في وجه هذا التيار الذي يرى كل شيء في قدمينا جامداً يجب ان يتغير ، فقلت له صدقت فقد قرأت في صحف لندن ايام وجودي هناك . ان الكتاب السكسونيين امعنوا في نقد الحكومة على عدم عنايتها في اصلاح اللغة بطرح الشواذ منها والاقتصار على الصالح للعصر ، فابت ان تجيبهم الى طلبهم زاعمة ان في ذلك خدشاً للقومية الموروثة .

سبحان الله يا اخي هؤلاء أرقى شعوب الارض يحتفظون بالشواذ في لغتهم لئلا تخدش قوميتهم خدشاً واما نحن فقد بلينا بناشئة عادت الينا من معاهد الثقافة الاجنبية وكل همها ان تقلب الارض فينا لتحيلها اجنبية عنا ، يريدوننا ان نكون غربيين حتى باخلاقنا التي هي وليدة ارضنا وسمائنا . واذا حاولت ان تقنعهم بان الاخلاق والالوان والاشكال انما هي ولائد الطبيعة لا المجتمع فيكادون يجيبونك : يجب ان نتخلق ونتلون ونتشكل بالشكل واللون والخلق الغربي لنكون غربيين بسمائنا وارضنا ولو استحال ذلك على الطبيعة .

وهذا محمود عزمي وهو من ادبائنا الاولين يقول في محاضرة القاها على ملأ من الشباب العرب في باريس وكنت منهم ، يقول : خذوا الحضارة الغربية بقاذوراتها ولم افقه ان في الحضارة قاذورات ، ولكنه يريد ان يقول خذوا كل ما في الغرب حسناً كان او قبيحاً ، افهذا هو الشاب المثقف الذي نتوسم فيه بعث قوميتنا وانهاضها لنستقل بها ونفاخر ذوي القوميات ممن يحتقرون فينا التقليد قبل ان يحتقروا الجمود ???

اخي السيد معمر

ان من المؤلم ان نرى ادباءنا اذناباً للحكام في سبيل قرص من الخبز او سلعة من العرجد ، وقد خلق الله الحكام لينتهجوا الطرق التي يخطها لهم رجال الادب في الامــة ، ومن المؤلم اكثر ان يترك الادباء هذا الواجب فيشتغل الحكام بسن القوانين والانظمــة بينما يشتغلون هم بوصف الازهار والاقمار وتأليف القصص العامرة بالخلاعة والمجون حتى اضطررنا نحن ان نكون منهم فنقول :

اذا افسد الدهر اخلاقنا فمث فالسياسة ان تفسدا
ونافق تسد فبغير النفاق لم يك سيدنا سيــدا

ارجو ان اقف معك في رسالتي هذه عند هذا الحد وان اعود اليك في الجزء الثاني من وحي الرافدين فأشبع الموضوع بحثــاً هو في السياسة اعرق منه في الاجتماع .

الرسالة العشرون

ابو عامر

السيد لطفي علي ، بغدادي المولد والمنشأ يشغل وظيفة قائمقام في ادارة الحكم ، وهو من اشد العراقيين اخلاصاً في عمله ، يعمل الآن في قضاء سوق الشيوخ من لواء الناصرية ويكاد ينهد الى العقد الخامس من حياته .

كنت ، وانا اتنسم عطر الورد والياسم في حدائق لندن وشيكاغو وباريس ، واتنقل في ظلال الشجر الكاسي من اريكة الى اريكة صباح كل يوم ومساءه ، كنت اصعد انفاسي كما يزفر المحموم وربما بكيت حتى بلت خدي بدموع حرى ، ولماذا ؟؟ لاني منيت بهذه النفس الحساسة التي ترى بؤس امتي وشقاءها في كل سعادة اتحسس منها ويتمتع بها غيري .

كنت اتساءل وهذه النفس : اتراني اجلس قبل موتي في حديقة اسبغت يد الفن عليها الوانا من الحياة تحت سماء العروبة ، فارى الشجر دائم الظل ، او الزهر دائم العطر ، وعلى الارائك وجوه لم انكر منها سحر الاعين وفصاحة لالسن ، ولم اطف بين المتنزهين في ظلالها وعلى شطآن جداولها وانا غريب الوجه واليد واللسان ؟؟

حتى جئت بيروت وزرت بعض حدائقها وطفت في ظلالها فتنفست الصعداء اذ شعرت اني تحت سماء العروبة ولكن الدمعة كانت اسبق من من الابتسامة الى الفم اذ جلست بين روادها واسمعهم يرطنون باللغة التي لا عهد لي بها تحت هذه السماء ، فعلمت اني لا ازال غريباً وانا في البلد الذي نشأت فيه .

وتمر بي الايام عجلى فاذا بي اغادر هذا الوطن الى وطن احن عليّ واحدب

الا وهو مجمع الرافدين دجله والفرات ، حيث بغداد بلد الرشيد ومهبط وحي العروبة ومنبت الادب والفن ، وتحملني رجلاي الى حي السعدون فحديقة الغازي وهنالك اجلس ...

فماذا ارى ؟؟ وبماذا افكر ؟؟ وعلى مَ تقع العين وماذا تسمع الاذن ؟ هل للجمال حد يا ابا عامر فيقف الكاتب عنده ثم يلهم القلم فيكتب ؟؟ انا لا اصدق ان في طوق الشاعر تصوير ما يحس وهو شاعر ، ولعل ما يلفظه من عينيه ورئتيه على لوحة الافق الحساسة اذ يشعر بالحياة ،اضعاف ما يلفظه من فمه ليلهم القلم .

قلت هنا ، في حديقة الغازي ، اموت وهنا احيا أفما اجلس ، والزمن ربيع ، فاسمع تغريد الطير ، وهينمة النسيم ، وخرير الماء ، وحتى نشيش الحب المتساقط من عيون الزهر على بساط العشب الاخضر ، وارى قلب الحياة ينبض في فم الاقحوان وعلى خدود الورد وبين اجفان النرجس ؟؟؟ افما اجلس اذ ذاك تحت شجر غرسته يد عربية وغردت بين ظلاله هذه الالسن التي نزهها الله عن العجمة وافصحها بلغة الحق ؟؟

هنا يا ابا عامر اعبد الله تحت سماء الفن على يد من غرس هذه الحدائق او تعهدها بنعمته ، أفليس المحتفظ بالنعم كالمنعم ؟ وانا هذا الذي يتفيأ ظلال الشجر وينعم عينه بالزهر المؤنق والعشب الاخضر ، ويمتع سمعه بخرير الماء ولحن السماء ، انا هذا السابح من هذه الحديقة في افق الخيال المتحجر في قلب الكون ، انما اتصفح على ورق الورد واجنحة الطير وغصون الدوح ،

يد العمري «أرشد» وهو يتعهد هذه الالواح باخلاصه للحياة الى جنب اليد التي غرستها او آذنت بغرسها .

بغداد الجديدة من حي السعدون حتى الكرادة ثم من باب المعظم حتى شاطىء دجلة ، قطعة من جمال الحضارة التي يتيه بها الشرقي على الغربي بما سادها من جمال الفن وروعة النظام ، القصور الشامخة والاشجار الباسقة على ضفاف الشوارع الرحبة والحدائق الغناء والهدوء السائد حتى كأني كنت ، وانا اطوف تلك الشوارع ، في احياء المثرين من امهات مدن الولايات المتحدة .

العراق وقد تركتها ، منذ عشرين عاما ، وانا جرح الصدر بالآلام الممضة التي كنت اتلقاها في احياء المدن وازقة القرى من فوضى تسود الابنية والشوارع وقذارة تغطي الارصفة والقنوات ، وفقر يسيطر على الشعب فلا ترى الا مزملا او مزملة بطمرها البالي ترعى جراءها المراة في الحقول او بين النخيل على حال تفتت الاكباد .

هذه العراق ، اراها اليوم قطعة من عراق الرشيد والمأمون بين بغداد وبعقوبة والناصرية ، وذلك بفضل ما انتجت خلال ربع جيل من رجال فقهوا الحياة في نفوسهم فاسبغوها على امتهم وعلى رأس هؤلاء الرجال ، ارشد العمري في بغداد وصالح جبر في كربلاء وجعفر حمندي في النجف ولطفي علي في الكوفة وسوق الشيوخ .

اي قصر لشاعر الخلود ابي الطيب بنيت يا ابا عامر في وطنه ومهبط

روحه « كوفة الجند » ؟؟ واي شارع وصلت به نادي المتنبي وكوفته كما تصل الذراع بين الكف والكتف ؟؟ واية حديقة غرستها يداك في ساحة النادي ؟؟ ثم اي شجر دائم الخضرة رسمت به يدك الطولى على ضفة الفرات مما يلي الشارع ، خطا وارف الظل سامي الافق يجتازه الشاعر وهو تائه اللب شارد الفكر حائر الاعين ؟؟

كنت والله ، وانا طافح القلب بالامل الغض ، اقرأ روحك السامي على كل زهرة من هذه الحديقة ، وفي كل مقصورة من النادي وعلى كل ورقة من ذلك الشجر ، وفي كل قطرة من سقيط الطل وهو يتناثر عليّ من الشجر وانا اصطبح تحت ظلاله .

اخي ابا عامر !!

واذا ناديتك بهذه الاخوة فانما اشير الى الرابطة الازلية التي تلصقني بك قبل ان تكون واكون ، واحاول جذب روحك الى روحي للشركة التي اسسها بيننا ابونا الاول الذي نفخ في الطين من روحه فكنت انت عاملا مخلصاً وكنت انا شاعراً مخلصاً ، انت تؤدي رسالة العمل في الحياة وانا اؤدي رسالة نشر هذا العمل وبعث الشكر في كيانه .

لم لا نذكر المخلص في عمله ونعترف باخلاصه ؟ أفكان وهو يعمل اخلق منا بالاخلاص ونحن نقول ؟؟ والاخلاص بالقول اسهل من الاخلاص بالعمل واقل قيمة في الحياة ، افلا نقابل اخلاصه المسلوخ من روحه باخلاصنا القاصر على فتح الفم وتحريك اللسان ؟؟ ما احوجنا الى ان نصغي الى الحق قبل ان

نسمع والى ان نسمع قبل ان نفكر ثم الى ان نفكر قبل ان نقول .

فان القول ما لم ينشأ عن تفكير يعوزه البرهان والفكر ما لم يدعمه السماع عقيم الانتاج والسمع اذا لم يبق على الانصات والتنبه لا يكون غذاء للعقل ، من اجل ذلك بعدت الشقة بيننا وبين الحق اذ نقول ولا نفكر ونفكر ولا نسمع ثم نسمع ولا نتكلف الاصغاء ، افهذه خلال من ينشد الحق من وراء القول ليدمغ به الباطل فيحرر نفسه من سلطان الافك الجاثم على النفس لا يدعها تقول وتفعل حرة اللسان واليد ؟؟

انك يا اخي ، في حديقة النجف الكبرى وشارعه الجميل الذي يحمل طابعك الصالح ، وانك في نادي المتنبي وحديقته وشارعه الذي يصله بالكوفة وانك في حديقة سوق الشيوخ وشوارعها ومستشفاها ومغتسلها . انك في هذا وامثال هذا مما انشأت خدمة لامتك وبلادك دون ان تخضع فيه لرقيب آمر او ناه ، انك في هذا كله لأكبر من ان يفيك القلم حق الشكر ويوفيك السلطان الذي يهيمن عليك حق الاجر .

واسمح لي ان اصارحك بان الذي سخر لك قلم اخيك مؤلف « وحي الرافدين » ليس اللطف الذي جبلت منه فاسبغته على هذا الصديق يوم زارك لان الذين اسبغوا عواطفهم عليه كثيرون في العراق وليس لهم في هذا المؤلف ذكر ، ولا سخر قلمي لان يسجل لك معروفك الشامل في هذه الرسالة علم او ادب او فن شاركتني في امتهان واحد منها ، ولكن المسخر هو ما وهبك الله من صدق في القول واخلاص في العمل .

ايها الصديق .

ان الامة اليوم لا تنشد ابناءها البررة شيئاً اسمى من هاتين الصفتين اللتين تلبي امتك بهما وانت تتقلب فيها بين لواء ولواء ثم من بلد الى بلد ، فالعلم والادب والفن والمال ، كل ذلك لايغني الامة شيئاً عن العمل محفوفاً بالنشاط والثبات والاخلاص ، ومن جاس خلال الديار العراقية ، وجول في مدنها ودساكرها ، شعر ، والالم يمض نفسه ، بمقدار ما تفتقر هذه الديار الى الاصلاح القائم على نشاط الموظف الاداري وقيامه بالواجب ووفائه لامته وبلاده .

فانت من الرجال الذين قلوا في المجتمع وكثروا في عين الحقيقة ،فليست العبرة بكثرة الارجل التي تسعى والايدي التي تعمل والاعين التي ترعى ، ولكن العبرة بان ترعى العين وهي بصيرة وتسعى الرجل وهي رشيدة ثم تعمل اليد وهي مخلصة ، فالمفكر الحر المخلص يرى بعين الحق ويسعى بين يديه وليس قليلا من يرى بهذه العين ويسعى بتلك الرجل ثم يعمل بهذه اليد ولكنه اكثر من الكثير .

فرب يد تشير الى الجبل فتدكه ، وعين تقع على صخرفتشقه، بينما تعمل ملايين الايدي في جبل فلا تقوى على ثلمه وتحدق ملايين الاعين بالماء فلا تصدعه، وهو ماء ، بمثل ما يؤثر فيه النسيم وهو عليل ، أفكان ذلك ناشئاً عن كثرة في العدد او قلة فيه ؟ كلا : فان للخوض في هذا البحث عوداً الى الارادة وقد اتينا في احدى رسائلنا من هذا الكتاب على البحث الشافي منها .

اتذكر يا ابا عامر ؟ ولا اظنك تنسى ، اذ يمخر بنا الزورق نهر الفرات الى ابي شعثا. فالحماحم ، ونحن اربعة اذ ذاك لا خامس لنا الا الربان اما غيري وغيرك فابو الجواد حيدر نائب المنتفك وابو يوسف رزين حاكم السوق ، تذكر اذ يمتد البصر الى ضفتي النهر حيث النخيل تتخلله مضارب الصابئة وحيث الشمس تذر تبر الاصيل المترجرج على عثاكل النخل وانامل الصائبيات ونحن مأخوذون بروعة هذا المشهد ، مشهد الجداول تتخلل البساتين والفتية والفتيات يتخللان النخيل والقمر يطل علينا من شرفات السماء ؟؟

اتذكر اذ نحن كذلك نحاول وصف هذا المشهد وما احدثه من الروعة في نفوسنا فلا نطيق حده بغير الاريحية التي تهزنا والسرور الطافح بالامال من احداقنا وعلى مباسمنا؟؟ أفليس هذا الذي تنفعل بهانفسنا مما نسمع ونبصر هو الشكر الذي يسديه طبعنا من حيث لا نشعر ، الى اليد التي غرست هذا النخيل والروح التي اسبغت عليه هذا الفن مختلف اللون والشكل ؟؟

هكذا كان اثرك في نفوسنا ونحن نرتاد حدائق النجف ونطوف شوارع الكوفة ثم نرتاح الى ظلال الشجر الذي غرسته يداك على ضفتي شارع المتنبي وفي حديقة ناديه الفخم الذي رفعت سواريه واقمت عليها البيت الذي يأوى اليه النشء الجديد من امتك .

اتريد يا ابا عامر اكثر من ان يبعث الحق ، وتعالى الحق ، رجلا من جبل عامل في اقصى بلاد الشام ليزور اثرك وينوه بشكرك فيسخر قلمه ساعات يدون بها ذلك الاثر في سجل الخلود ، اتريد اكثر من هذا برهانا

على ان الجميل المطلق لا يضيع والمعروف الشامل انبه من ان يخمله جحود الكافر ؟؟ والشاعر الحكيم من وراء ذاك يقول :

من يفعل الخير لا يعـدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

فانت خالد يا اخي بمعروفك هذا ، انت خالد في نفوس الشعراء المخلصين من قومك ، وانت خالد على صفحات الكتب الشائعة في العالم وانت خالد في ضمير الحق الذي يرعاك ويكلأك اذ تعمل وتخلص فيما تعمل ، ثم انت خالد بعد ذلك على السنة الطير في افنان الشجر الذي غرسته ، وهينمة النسيم الحائر بين يدى الزهر الذي انبته ، وحنين القلوب التي تخفق للجمال في ظلال هذا الشجر وامام ذلك الزهر .

افلا تصغي الى كلمة اقولها لك وهي قائمـة في قرارة نفسك وليست غريبة عنك ؟؟ ارجو ان تسمعها مني وان كانت مل‌ء سمعك وكان همك ان تثبت في نفسك ولو لم يقررها شاعر مثلي ، تلك الكلمة هي : ان العراق لا يزال فقيراً و فقيراً جداً الى كثير من الايدي التي تعمل عمل يدك والى كثير من القلوب التي تخلص اخلاص قلبك ، فلن تستطيع انْ تسد وحدك هذا الفقر وان تقوم وحدك في العراق مقـام الشمس المشرقة في الافق تتخلل اشعتها البوادي والحواضر .

ولكن شيئاً واحداً تقوم به هو خليق بان يقوم مقام الشمس في مل‌ء هذا الفراغ الهائل ذاك هو : ان تمهد بنشاطك واخلاصك لمؤتمر يجمعك وزملاءك يوماً واحداً في صعيد واحد للتفكير في تعزيز النظام الحديث وتطبيقه عـلى

الاقضية كما فعلت في قضائين من عشرات الاقضية لا تزال تنشد مثلك في هذا المحيط .

ان مؤتمراً من هذا النوع يشهده زملاؤك من رجال الادارة على اختلاف رتبهم من المتصرف حتى المدير ويرأسه وزير الداخلية ، ثم يبحث فيه الاصلاح المنشود في الالوية والاقضية والنواحي ، اصلاحاً يتناول قبل كل شيء تنظيم الشوارع وانشاء الحدائق وفرض النظافة على كل مسكن وكل ساكن ، ولعل في عملك واعمال من ذكرته في صدر هذه الرسالة نموذجاً صالحاً لبحث هذا المؤتمر العتيد .

فانك ان فعلت ذلك وتوفقت له كنت مثالا صالحاً للرجل الحي الخالد وكان عملك حجة على غيرك ممن يشغلون مراكز كمركزك ولم يعملوا عملك فيشعروا اذ ذاك بالمسؤولية التي تثقل كواهلهم تجاه امتهم وبلادهم ، واذا لم تتوفق كان صوتك مدوياً في سماء بلادك يناشد امتك الحق فيما تعمل وكنت الوحيد الذي يتردد اسمه على الالسنة في سجل الكون الخالد .

اعمل يا اخي ولا تبال ما يقول الناس فانهم ان قالوا خيراً يخدموا به الحق الذي تخدمه وان قالوا شراً فليسوا اول من جحد الحق وناصر الباطل ، ولست انت اول من عمل للحق وحده دون ان يلحظ ما يقول الناس فيه ، فان العمل نفسه قائل فوق ما يقوله الناس وشاعر بما لم يشعر به احد من الخلق ، افلا يكفيك ان تكون عاملا ويكون العمل شاعراً بك ومثنياً عليك ؟؟

والعمل كان ولا يزال شاهداً على العامل وبرهاناً ساطعاً على اخلاص القائم به يكفيه مؤونة الثناء عليه من هؤلاء الناس المفطورين على جحود الفضيلة وكفر النعم ، ولو كان فيهم خير لما كفر اكثرهم بنعم الله المالئة فضاء الكون ، افلا ترى الى هذه الآيات الشاهدة على عظمة مبدع الكون ، كيف تعصف بشكر المعترف وجحود الكافر ؟؟

وبعد فليس لي قبل ان اختم هذه الرسالة ، الا ان احترم فيك صلاح النفس وكرم الذات ونقاء الضمير ودماثة الخلق ورزانة الطبع وتفانيك في كل ما يدنيك من الحق وينأى بك عن الباطل .

شكاره

السيد ضياء الدين شكاره من شبـاب العراق المثقف يحمل شهادتي الحقوق ودار المعلمين العليا ويضطلع باعبـاء وظيفة قائمقام وتتسع افكاره لاسمى عمـل ثقافي واداري ، وهو بغدادي الاصل ويكاد ينهد الى العقد الرابع من سني حياته .

عزيزي ضياء !!

لقد فاتني ان اسألك عما تحب ان اكنيك به اذ نزلت عليك ولما تزل في ثياب عرسك وكان عطر الزفاف لا يزال يضمخ جيوبك ويفيض على يد مصافحك من اناملك الشاهدة على نعيمك بين يدي عرسك الميمون .

اتراني نسيت او انسى لحظة ما ، يومنا الضاحي في بستان الشلبي ، وتحت اشجاره الباسقة تنساب الجداول الى حوض ينتظمنا حوله والفاكهة تتراقص على سطحه والواحي بين ايدينا يلهم الطير الذي ينصت اليه ، الحان الخافقين ونحن مأخوذون بما نرى ونسمع ؟؟

افأنسى يومنا هذا وتكاد مدينة « مندلي » بعبقرية ما يحدق بها من نعيم الحدائق والخمائل ، تكاد تنسينا ان وراء هذا النعيم بؤساً سيريق عليه كثيراً من دموعنا ونحن شتى تتنازعنا ذكريات اليمة وحنين ينزع بنا الى شربة من ذلك الماء وشمة من ذلك الهواء ؟؟

افتشعر معي ، اني وانا في لبنان اجمل البلاد العربية ، اكاد اسلخ روحي من هوائه ومائه ثم القي بها اليك حيث شئت من ذلك المحيط المتواضع وتحت شمسه المحرقة وريحه السموم ؟؟؟

ما ادري يا اخي لماذا اشعر بكره لهذا الوطن الذي اقلتني ارضه واظلتني

سماؤه منذ فتحت عيني على النور ، واراني اهفو الى كل بقعة من بقاع الارض كأني انشط بروحي من حضيض غائر الى ذروة غنية بالهواء والضياء ، ولعل السبب في ذلك ان هـذا الوطن لم يكن براً بابنائه الذين اراقوا دمـاءهم ودموعهم على صخوره وبين ادغاله ، ثم تراه يفتح صـدره للطفيليات ممن لم يطأ ارضه الا ليمتص دمه ويعرق لحمه ؟

اتصدق يا ضياء ، ان الاديب عندنا وفي هذه البقعة المرموقة من العالم ، مهما سما بادبه لا يشعر بالحظوة من حكومته وشعبه ما لم يكن عاقاً لامتـه بشعوبيته وخيانته وتدجيله ؟؟ اني لمن اليقين بما اقول على مثل ضوء الشمس، ولماذا يا ضياء ؟؟

احببت ان اخوض معك في هذا البحث اذ جررتني اليه ونحن عـلى السطح نسمر عند العزيز السيد ظاهر بندنيجي ، في بحثك عن ادب المنطق، والشعر المطلق ، وقد خضت فيهما كما احب لك ان تخوض ثم ختمت قولك بان في لبنان نفراً من بناة الشعر يُحسد عليهم في الاقطار العربية .

نعم يا اخي ، ان في لبنان علماً وفناً خليقين بان يتبوءا المنزلة المرموقة في البلاد العربية ، ولكن هل تشعر حكومة لبنان قديماً وحديثاً بهذا النفر من ابنائها فتنتزعهم من زوايا البؤس التي لصقوا بها منـذ سيطر عليها الاجنبي فصبغها بالشعوبية حتى تنكرت لمجدها وتراثها واصبحت تعـتز بالثوب الذي تلبسه وهو عارية ليس لها لون ولا زي ؟؟؟

اتصدق ان الادب الذي تفهمه هذه الحكومة فتعززه او تحمل عـلى

تعزيزه وتثبيته ، انما هو ادب ابتر لا اول له ولا آخر ؟؟ انك ان تقرأ هذا الادب تأخذك الحيرة ، أهو عربي ام عجمي ؟؟ واين فكرة الكاتب او الشاعر، أفي الديباجة هي ام الديباجة فيها ؟؟

ادب خليط ، لا لونه حر ولا الروح المشربة فيه حرة ، فقد تقرأ من لونه انه هجين ثم ترى في روحه هجنة اشد تنكر ألعروبة من هجنة لونه، ذلك بما يسود هذه الامة من تنازع بين الاديان وتضارب في المذاهب وتنافس بين العناصر .

لم ار فيما رأيت وقد جبت العالم ، امة تعددت فيها العناصر والعقائد وتنوعت المذاهب والاهواء واختلفت الثقافة والآداب ثم لم تقو على صهرها في بوتقة وطنية شاملة ، لم ار امة هذا شأنها الا هذه الامة المنكودة المحدودة ببضعة اميال من الارض وفي شعب لا يتجاوز المليون من الانفس .

دعنا وهذا كله فما استطيع ان آتي على كل ما يجيش في صدري فابثك اياه في وقت يفرض علينا الرياء والتضليل فيما نكتب ويحول بيننا وبين حرية الفكر القائمة على اساس المدنية السامية التي لا نزال نبكي عليها في عصر النور ، ولنعد الى بحثك في حدود المنطق وبين الاطلاق والتقييد ،

رأيتك تميل الى الادب المطلق والشعر الذي يحرز صفة الشاعرية مهما اختلف موضوعه ، اي الى الشاعر الذي يؤتى ملكة النظم المبني على الاحساس الصادق واللغة الجزلة والتركيب العربي الصحيح ، دون ان تفرق بين كونه حديثاً او قديماً وعالمياً او اقليمياً ، فاذن انت من هواة الفن للفن وحماة الادب للادب ، وقد تحتج لذلك بان الادب العربي عالمياً اكثر منه

عالمياً ، وغني عن البيان سمو الادب العربي وتعاليه على الآداب الشرقية .

وقبل الخوض في تحديد فكرتي حول هذا البحث لا مناص ان اعترف لك بسمو التفكير وبلاغة المنطق وفهمك الادب فهما صحيحاً الى حد انك لا تمر بفكرة رائعة من شعر او نثر الا وتستظهرها وتستشهد بها في نقاشك ، فكان لك في هذا ميزة قيمة على كثير ممن عنوا بالادب فوق عنايتك اذ كانوا قاصرين في عملهم على الادب وتجاوزته انت الى غيره من اعباء الحياة .

الغرب عالم ، والشرق اديب ، !! هل تحفظ عني هذه الكلمة وتذيعها بجرأة في الاندية التي يخوض فيها الادباء بحثاً من هذا النوع ؟؟ وليس في كلمتي هذه ما يعني تجريد الغرب من الادب والشرق من العلم ؛ ولكنها تعني ان الغرب اول ما يعنى بالعلم ثم بالادب، فهو عالم اولا واديب اخيراً ، وان الشرق اول ما يعنى بالادب ثم بالعلم ، فهو اديب اولا وعالم اخيراً .

وليس في كلمتي ايضاً تفضيل الادب في الشرق على الادب في الغرب ، ولا تفضيل العلم في الغرب على العلم في الشرق فقد يكون هذا او ذاك وقد يقع العكس فيهما ، على اني اريد ان احقق البحث في ان الاختصاص يغلب على الطبع الغربي ولذا سادوا في العلوم ، والاطلاق يغلب على الطبع الشرقي ولذلك سادوا في الآداب اذ لا يؤخذ في مفهوم العالم كونه مطلقاً لسعة العلوم وضيق الاجل ، اما الادب الذى هو تصوير الحياة او تخيل مثلها العليا فلا يستحيل عليه ان يتجاوز الاقليم الى العالم بفضل الفكر الرحب والقلب الكبير .

والعالِم المطلق هو الاديب لا العالم، لان من يلم بجميع العلوم خليق بصفة الاديب الذي يستلزم هذا الالمام ليشرف على الحياة فيقومها بلسانه ويراعه ، وهـذا التقويم قاصر على من ادرك بعض الشيء ، كنه الحياة علماً وفنـاً واضطلع بتوجيه الفكر البشري الى النواحي المثلى فيها فكان اديباً لا عالماً .

فاذا كان الاطلاق من طبع الشرقي ، كان الادب الذي هو في الاطلاق اسمى منه في التقييد ، من صفاته المتأصلة في عالمه ، ولهذا نرى الخيال الذي هو اسمى انواع الادب ، نراه في الشرق ارحب افقاً منه في الغرب ، اما العلم الذي ينمو ويسمو بالتخصص فحظ الشرق منه قليل ، وكان من اختصاص الغرب الذي يميل بطبعه الى الحقيقة دون الخيال .

ولدى الامعان في درس حياة الشرقي وحياة الغربي يتبين لك مبلغ هذا القول من الصحة وتعلم انـه ليس من السهل ادراك السبب في نشوء الاديان تحت سماء الشرق دون الغرب ، والاديان في معرض الآداب اسمى وابين منها في معرض العلوم .

واما الشعر فقد تكون على حق في انك تتذوق المطلق منه دون المقيد اي انك لا تلحظ الاقليم فيه ، وبعبارة اصح واوضح انك وانت تقرأ وتسمع الشعر تلحظ الشاعرية سواء كانت ماثلة في فكرة العالم او الاقليم ، ولكني اخالفك واخالف كل مقلد في ان الشعر العالمي اسمى من الشعر الاقليمي .

ان شاعرية الشاعر مقيسة على شعور السامع فقد يتربى ذوق السامع في الاقليم ويستحيل فيه حتى لا يرى غير ادبه ادباً وغير فنه فناً ، فكل ما يشير

الى اصلاح اقليمه او شعبه او امته ، هام فيه وتغنى به ، فاذا تجاوز هـذا كان عنده هراء وهجرا .

فما يعنيني ، وانا ابن العراق المهضوم ، مثلا ، ان يكون فـلان الشاعر عالمياً يسن الانظمة والنواميس ويصور للعالم حياة مثلى ويوجـه الافكار الى المثل العليا بينما نرى كل انسان يعبد اقليمه ويتعصب لعنصره فيرى واجبه في الحياة ان يخدم قومه ويدعم البناء الذي تأوى اليه امته .

لهذا نرى الامم انشط واسبق الى تخليد شعرائها وادبائهـا الاقليميين الذين وقفوا اقلامهم وافكارهم على اصلاح شعوبهم وبلادهم نراها اسبق منها الى تخليد شعراء عالميين ، فهل رأيت في باريس تمثالا لشكسبير مثـلا او في لندن تمثالا لابي العلاء المعري وهمـا شاعران عالميان ، ولكن لندن تخـلد شاعرها لا لعالميته بل لسكسونيته العالية وهكذا نحن نخلد المعري والجاحظ مثلا لعروبتهما العالمية لا لكونهما اديبين او شاعرين عالميين .

اذن فالوزن في العالم اليوم وقبل اليوم انما يقام للعباقرة على اساس القومية والعنصرية لا على اساس الخدمة العالمية في الوجود ، من هنا يتربى الذوق الاقليمي او العنصري في الامم وعليه تنشأ الحياة ، والى الحياة يتوجه الادب اطلاقاً وتقييداً .

ولكم كان بحثك طريفاً عن الحب اذ سألتك ، ولمـا تزل في عرسك ، عن حبك قبله ، فقلت ، واين الحب عندنا ويكاد يكون مفقوداً لشدة الحجر على المرأة والحيلولة بينها وبين الرجل ، وهذا ما يفقدهما معـاً

سعادة الزواج القائمة على الحب » لقد اوحت الي كلمتك هذه البحث في الحب فما شئت ان اختم رسالتي اليك دونما خوض فيه لنترك وراءنا للنشء شيئاً مما تفيض به النفس في مجال الحب الذي يدور على الالسن ويفقهه قليل من الناس ثم لا يميزون فيه بين الحياة والموت ، ولم أغفل الحب العذري والصوفي والافلاطوني في هذا البحث لشدة التماس بين هذه الانواع ،ولجمال ذلك الظبي الذي أهدي اليك ايام زفافك والذي كان يشغلنا احياناً كثيرة ونحن نبترد من حر القيظ وهو يمرح بيننا ، فاسمع يا ضياء .

الحب

مر المجنون على منازل ليلى بنجد فاخذ يقبل الاحجار ويضع جبهته على الاثار فلاموه على ذلك فاقسم انه لا يقبل في ذلك الا وجهها ولا ينظر الا جمالها ثم رؤي بعد ذلك في غير نجد وهو يقبل الآثار ويستلم الاحجار فليم على ذلك وقيل له انها ليست من منازلها فانشد :

لا تقل دارها بشرقي نجد　　　كل نجـد للعامرية دار
فلها منزل على كل ارض　　　وعلى كل دمنـة آثار

ما اشعر العشاق بوحدة الوجود ، وما ادق احساسهم في اكتناه الحياة ، وما اعمق افكارهم في قلب الكون ، انهم هم الشعراء الاول ، واما هؤلاء الذين يمرحون في نعيم العيش ، ويزهدون في الحب الحافل بالالم ثم يعمدون الى الكلم فيلبسونه فكرة الجمال ويبزونه قائم الوزن والروي ، ثم يزعمون انه شعر ، اما هؤلاء فهم شعراء التاريخ والزمن لا شعراء الحياة التي هي اكبر

من الزمن وابعد من التاريخ .

هذا العبقري الخالد الذي يصمونه بالجنون ، والعبقرية جنون ، يكب على الارض فيلثم الاحجار ويعفر جبينه بالتراب يتحسس من حبيبته ، ويحسب ان دمها مجبول بتراب الارض وروحها شائعة في كل ما يحسه مما يحدق به حتى كأن كل دار لها منزل و كل دمنة لها اثر .

كأن الطبيعة قد ألهمت العامري خلود الروح الكلي وفناء الجزئي فيه حتى يصدق على كل جامد انه حي وعلى كل ظاهر انه خفي وعلى كل صامت انه ناطق ، وكأن الطبيعة قد ألهمته ان النور في الظلام وان الحرارة في الماء وان السعادة في الشقاء والسرور في الالم والدمع في الابتسام ، حتى يصدق على الابيض انه اسود وعلى المتحرك انه ساكن وعلى الطيب انه خبيث وعلى الخبيث انه طيب ، وحتى يصدق على كل شيء انه كل شيء ومن كل شيء وفي كل شيء .

من ألهم هذا المجنون ان الروح الكلي المالىء فضاء الكون يتصل بكل شيء ويتصل به كل شيء فراح يناجي حبيبته في الشجر والحجر ويلثم من اجلها التراب والمدر ويضع جبهته على كل اثر ، يزعم ، والحق في زعمه ، ان فيها من كل شيء اثراً وفي كل اثر منها شيء مشيراً بذلك الى وحدة الوجود التي يهيم بها اهل التصوف ويزعمون انها بكر لم يفترعها الا من راض نفسه برياضتهم والا من تجرد للحق تجردهم وجاهد في الله جهادهم .

من ألهم هذا المجنون سر هذا العلم الذي يحار في كنهه العقل ، وكشف

له حقيقة هذا الفن الذي يتردى في صميمه الروح ؟ هل هو الا الحب ؟؟ وهل الحب الا السر الكامن في لب الحياة الشائعة في كيان الوجود ؟؟

يرى العامري مجنون بني عذرة ، يرى شخص حبيبته في كل حجر يلثمه ويشم ريحها في كل تراب يعفر جبينه به ، ويسمع صوتها في همس النسيم ، وهينمة الاغصان ، وخرير الجداول وتغريد الطيور ، وهدير الامواج .

يرى شخصها حقاً ، ويتنسم ريحها حقاً ، ويسمع صوتها حقاً ، لا خيال فيما يحس ، ولا وهم فيما يتخيل ، فان العاشق ، وهو شاعر الطبيعة ، انما يحس بروحه ويشعر بقلبه ، والروح اذ تتجرد من الجوارح ، ترى بعين الله الذي يرى كل شيء ، وتحس بروح الله الذي يتغلغل في صميم الحياة ، فيدرك ان الوجود وحدة لا تتجزأ ، وان ظل الله واحد في هذا الكون .

كيف لا يشم ريحها في التراب وهي من التراب ؟؟ وكيف لا يسمع صوتها في النسيم وهو العنصر الذي تتقوم به ؟؟ وكيف لا يرى شخصها في النور وهي معرض الاشعة الذي ينعكس عليه النور ؟؟

أفما كانت ليلاه تفلي باناملها التراب تبحث عنه في الارض ؟؟ او ما كانت تصغي الى صوت الطبيعة تتحسس منه في همس النسيم وحفيف اوراق الشجر بين يدي الخريف ؟؟ ثم الم تكن تعرض للشمس مصدر النور فتنشد على ضوئها اشعاره ، وتحقق بين يديها الكل شاخص يتحدث اليها عنه ؟؟

فالارض التي تبحث فيها عنه هي الارض التي تحمله اينما كان ، والنسيم الذي تتحسس من صوته فيه هو النسيم الذي يتنشقه حيثما اتجه ، والنور الذي

يفرق بصرها في اشياء تسألها عنه ، انما ينبثق من الشمس التي اشرقت عليها زمنا كانا فيه عشيرين قبل حل التمائم ،

يا لعين الحب ما ابصرها بدقائق الكون ، ويا لسمع الحب ما انفذه في اعماق الطبيعة ، ويا لشعور الحب ما اقواه على اكتناه الحياة في صميم الوجود ، فالحب الافلاطوني يخضع بين يدي الهوى العذري ، والحب الصوفي انما هو ظل لهذا الحب يرى النور ولا يدركه ولو ادركه لاحترق وفني فيه .

ذلك لان الحب الحقيقي لم يسفف به عقل افلاطون ولم تعبث به مرقعة الصوفي ، انه الحب الذي تلمس به يد الله القلب فيخفق بين يدين الحبيب .

يحب الافلاطوني [1] من اجل الحب ، ويحب الصوفي ليتجرد بروحه من عالم المادة ، اذن فلكلا الحبين علة يدركها الحس ويهيمن عليها العقل ، واما الحب العذري فاسمى من ان يدركه العقل ويتغلغل فيه الحس ، انه اسمى من ان يعلل ، انه الجنون الذي يغشي العقل ، والثورة التي تطغى على الحس ، فتضرم القلب وتلهب الشعور ، انه الصلة بين العقل والروح ، انه الحب .

الافلاطونية والصوفية طريق الروح الى الفناء في الحب رمز الوحدة في الكون ، واما الهوى العذري فهو طريق الروح الى الفناء في ذات الله مبدع الكون وباعث الحب فيه .

الحب الافلاطوني او الصوفي عقل يخلقه المجتمع وتربيه الانانية واما

---

١) الحب الافلاطوني هو حب روحاني محض تتغلب فيه الارادة على العاطفة . اعني ان افلاطون احب وحجر الشهوة على نفسه مختارا ، فقد احب اذن من اجل الحب واما العذرى فقد حجر غيره الشهوة على نفسه مضطرا .

الهوى العذري فجنون يطغى على العقل ويكفر بالانانية حتى يمزج الدم في الدم ويحيل الروح في الروح .

ايها العزيز

ما اراني اشفي نفسي معك في هذا البحث لانك ملأت هذه النفس من عواطفك بما لايقنعها ان تناجيك بضع دقائق ولكم اود ان اخاطبك اياماً واعواماً فان النفس اشوق ما تكون الى البحث فيما يوافق مكنون ما تخزن من اسرار الحياة في كهنها الخفي ، وان مخزون هذه النفس التي تهفوا اليك من وراء الف ميل لايحجبها عنك ، ان مخزونها لا يستوعبه فصل من كتاب قد يكون بمجموعه بعض ما تخزن

ولعلي اعود اليك في مستقبل هذه الحياة العارية فاستفيض معك في بحث اسمى من هذا البحث ونقاش اجدى من ذلك النقاش ، لاني رأيت فيك معدناً ينمو على البحث والمناظرة ورأيت اسمى ميزة فيك حب التفكير في البحث ، وبعد النظر في استقاء العلوم والفنون من وراء الجدل والحوار .

افأنت على استعداد لمثل هذا في الزمن القريب الذي سيجمعنا بك في اشرف بقعة واحب ارض الي ، الا وهي ارض الرافدين التي نشم تحت سمائها ريح العروبة الحقة وتشرق علينا فيها شمس المجد العربي التالد ??

فالى اللقاء يا ضياء .....

الرسالة الثانية والعشرون

صقبان

السيد صقبان العبادي زعيم آل فتله في لواء الديوانية ، ومن اعيان الامة العراقية الموسومين بالكرم والشجاعة والغنى ، هو اليوم في بعقوبة من لواء ديالي محجور عليه مغادرتها الى قبيلته ، ويكاد ينهد الى العقد السادس من عمره .

لم لا يكون في الكرم عبقرية وشذوذ كما نرى في غيره من سجايا ومهن عبقرية وشذوذا ؟؟ افلا نرى ذلك في الصحافة والكتابة والخطابة والشعر والادب ، وفي النسيج والخياطة والتجارة ونحوها من العلوم والفنون ؟؟

والعبقري في النوع شاذ يخرج على نوعه فينبذ تقاليده ويتخذ لحياته نهجاً اسمى من نهج زملائه واقرب الى الحياة التي يلهمه طبعه الكشف عنها والاشارة اليها ، فهل في طبيعة الكرم عبقرية وشذوذ كما في غيرها من الطبائع ؟؟

أذكر ان بعض مهاجري العرب في اميركا تحدث اليَّ مرة عن الكرم الاميركي فقال : انهم يفهمون الكرم بخلاف ما نفهمه فليس عندهم شيء من الطعام المبذول جزافاً يقال له كرم ، وانما يطلقون عليه لفظ التبذير ويعزون اليه الكسل في عامة الشعب الذين يتعودون الاكل دونما نصب ينالهم في كسبه .

وذكر لي نبذة من كرم سراتهم فقال : ان فلانا « ولا اذكر اسمه » يقتطع على راس كل عام ثلث ارباحه فيبني به مدرسة او مستشفى او كنيسة في قرية او مدينة تثبت لديه حاجتها الى ذلك ، وكثير من امثاله

ينفقون الاموال الطائلة على مأوى العجزة او الجامعات او المعاهد الصحية او المنتديات الخيرية ، ولعل اكثر الاغنياء يرسلون بعثات علمية من طلبة العلم الفقراء على حسابهم الى الجامعات .

ذلك ما نعده عبقرية في الكرم وخروجاً على التقاليد المتبعة عندنا ، وقد اتيت على هذه النبذة من الكرم الغربي اليوم وهو كرم لم يبدعه ولكنه اخذه عن آبائنا يوم كانت الامة العربية مزدهرة الحضارة اذ كانت الاموال والعقارات ترصد ، بطريق الوقف الشرعي ، للمعاهد العلمية والدينية

اقول انا ساقني للتمثيل بهذا هو ما اتصل بي عن الشيخ صقبان العبادي يوم زرته ورأيت مأدبته التي تقري مائة شخص والاكلة حولها لايتجاوزون بضعة نفر ، فاستغربت هذا فقال لي مرافقي السيد جواد الجصاني : لقد اولم قبل اسابيع وليمة للمستشار الانكليزي تطعم مئتي شخص وكان المدعوون بضعة عشر شخصاً فسأل المستشار مستغرباً عن السبب في كثرة الطعام وقلة الآكلين فقالوا هذه تقاليد العرب في الكرم فلم يعجبه هذا الجواب ودعاهم هو الى وليمة في منزله فكان الطعام على قدر الآكلين او يزيد قليلا ليكون عبرة لهم فيما يولم

فعسى ان ازور العراق في مستقبل ايامي فادخل كربلاء او النجف وأرى اضخم بناء يستقبلني في مطلع المدينتين وعلى بابه لوحة من الرخام كتب عليها : « كلية العلوم وقد انشأها المحسن الكبير الشيخ صقبان العبادي زعيم آل فتله » فيكون كرمه عبقريا في وطنه ويكتب اسمه

واسم اسرته في سجل الحياة الخالدة

ان بلادكم ايها الشيخ النبيل لفي امس الحاجات الى رجال يضطلعون باعباء الزعامة عن طريق الاصلاح ولم ار في العراق ارحب صدرا واسمى خلقاً واندى كفاً واطيب سجية منك ، افلا تعمد الى هذا الفراغ فتسده في شعبك ؟؟ ان شعبك لمفتقر الى من يبذل بسخائك في السبيل الخالدة ، سبيل التأسيس والتثقيف لينشأ على يديك شباب يتولى تحرير المستقبل في العراق من ربقة الجهل والاستعباد

افلا تحب ان يحفر اسمك على ابواب المعاهد والمساجد ، وان يقام لك تماثيل في ساحات العاصمة وردهات الكليات والجوامع ويتغنى النشء باسمك في الاندية والمحافل ؟؟؟

ولقد فهمت ان ريع ما تملك سنوياً يناهز اربعين الفاً من الدنانير ينفق جلها على الولائم التي تقيمها للضيوف والحكام فلو خصصت المعاهد الانسانية بربع هذا الوارد عليك لكنت انساناً كاملا ، ولسخر لك الحق اقلاماً تسجل احسانك في ديوان الخلود .

يا صاحبي !!

لقد طالعت في وجهك كثيراً من معاني النبل والشرف وقرأت على جبينك صفحة من امجاد العروبة يحدق بها اطار من السجايا الغر ، وفاء وكرم واباء ومروءة وشمم ، كل ذلك يتجلى بين عينيك ووراءه قلب يحمل في طياته حماية الجار وصيانة العرض ، أفلا يكون من هذه صفاته ، خليقاً بان يتبوأ

المكان الاسمى في شعبه ؟؟؟

بلى انه لكذلك ولكن المكانة السامية والمنزلة المرموقة في الامـة اليوم قاصرة على الدين والمدنية وكلا هذين يبنى على العلم والاخلاق ، وهما معاهد ومساجد ، فهمّ الزعيم اليوم يجب ان يتناول الدين بتغذية دعاته من العلماء الاعلام وتثبيت دعائمه القائمة في النجف والازهر ، وان يتناول المدنية بتأسيس المعاهد العلمية او تغذيتها وبانشاء المستشفيات او تدعيمها ، واما الطعام والشراب فشيء وراء هذا كله .

لا اكتمك يا اخي اني توسمت فيك الخير وعلى هـذا التوسم بنيت رسالتي هذه اليك نتيجة ساعة واحدة تحدثت بها اليّ عن العراق ونهضتـه الحديثة والشباب القائم على تعزيزها فكنت بهذا الحديث اديبـاً مفكراً بله كونك زعيما محترماً في نفوس شعبك ، ومعدوداً في الطليعة الاولى من رجال الامة العاملين .

ايها الزعيم المحبوب :

ان العرب اليوم تتطلع الى امثالك في وجه مـا ينوبها من محن فالجزيرة العربية مفتقرة في آنها الراهن الى رجال اجتماع فوق افتقارها الى رجال سياسة ، فالسياسيون كثر ولعلهم اكثر مما يلزم الامـة ، ولكن تدعيم سياستهم برجال ذوي قلوب كبيرة وايد بذّالة ونفوس مطمئنـة الى العمل الصالح وضرورة بذره في حقل الحياة ، هؤلاء الرجال قليلون فينـا لذلك لا تزال في وهن من ثقافتنا التي تضمن انا تخريج رجال يعملون على تدعيم تلك السياسة

بتوفر اسباب الحضارة .

وحكومات العرب لا تفتأ تعمل ، رغم ما يعرقل اعمالهم من دسائس دخيلة على ايدي شعوبيين من رجالها ، لا تفتأ حكوماتنا تعمل على انعاش الصناعة والزراعة والعلوم والآداب ، ولكنها مع ذلك تفتقر الى شيوخ الامة واعيانها بتعزيز هذه المشاريع الضخمة وامدادها بالمال والافكار لتتسنى لها النهضة السريعة التي توفر عليها مشقة العناء في طريق استقلالنا السياسي .

ان الولايات المتحدة على ضخامة ميزانيتها العامة التي تسبق خزائن الدول الكبرى في العالم ، لا تزال في حاجة الى كبار المثرين من متموليها ، تستمدهم المعونة في الحرب والسلم ليدعموا السياسة بتعزيز الحضارة ، فالمستشفيات ، والمعاهد العلمية والدينية ، وملاجىء العجزة ، كل ذلك يساهم فيه هذا الصنف من الامة ، فماذا يقوله العرب وميزانية اكبر دولة فيهم لا تعدل ميزانية ولاية واحدة من الولايات المتحدة في اميركا ؟

فاجمع يا اخي زملاءك من مشيخة الامة العربية في هذا القطر الناهض وتفاوضوا في المساعدة المادية على اساس العلم والاخلاق لحكومتكم وأنشئوا لنا معاهد ومصحات ومساجد توفر على الحكومة العراقية كثيراً من مشاق الحياة التي تعترضها في وجه الهدف السياسي الذي تسير اليه بخطى واسعة وبقلوب من حديد .

تسألني يا سيدي عن الشباب العراقي وماذا احدث في نفسي من أثر اثناء تجوالي بين اقاليمه ؟ وقد سألني احد صحافيي ابنان من اسرة مجلة

الاديب الزاهرة ، هذا السؤال بعد عودتي الى بيروت ، فاجبته بما اجبتك من ان العراق اليوم مصدر فن ومورد علم . اي ان الفنون تصدر عن افقها المشرق والعلوم ترد عليه من خارج العراق .

ولقد عللت ذلك في بحثي ادب العراق في عدة رسائل من هذا الكتاب لعلك تقف عليها واما ما احب ان اعلق عليه في هذه الرسالة فهو ان عناصر الادب والشعر كالخيال والعاطفة والذوق الخاص والموسيقى البسيطة ، ان هذه العناصر تتوفر في العراق اكثر من غيره ، لما تحتله طبيعة هذا البلد في عالم الانبثاق الروحي من مكانة تعز على غيره من البلاد العربية الاخرى .

فحرارة الجو وجفاف التربة يلطفان الهواء والنبات وفي هذا التلطيف تأثير بالغ على العاطفة والهابها في صدر الفنان وفيه ايضاً صقل للفكر وحدة الذكاء وهذا جل ما يتطلبه الفن العبقري في الامة ، ثم اذا اضفنا اليه الفكر الوراثي المتحدر الى عراقي اليوم من عراقي الامس السابق ، حق لنا ان نطمئن الى تهذيب هذا الفن بالعلم الموروث حتى لا يأتي الفن قاصراً على الخيال وطغيان العاطفة دونما فكر يوجهها الى حيث تنتج ما هي مسؤولة عنه في طريقها الى الحياة .

ففي العراق اذن معدن يصلح لان يكون مصدراً خصباً للفنون الموجهة من شعر وادب ورسم وموسيقى ، ولكن ضآلة ما يتصل بالعراق من ادب الغرب يجعل هذه الفنون في كفة البساطة ارجح منها في كفة التركيب ، اذ الفن اليوم اصبح عالميا اكثر منه اقليمياً ضرورة هذا الامتزاج الغريب الذي

خلط الغرب بالشرق ومازج بين الشعوب العالمية بفضل التيار الكهربائي الذي يحمل بين اللحظة واللحظة نتائج العلوم والفنون من اقصى العالم الى اقصاه ، فكان من الضرورة ان تتمازج الفنون فتصبح عالمية .

اما العلوم ، وان دخل الفن في عناصرها ولكنه ليس عنصراً اولياً ، فهي تتطلب الافق البارد اكثر من غيره ليستقيم للعقل استمراره في البحث وثباته على التقرير ، وهذا لا يتوفر مع العاطفة الملتهبة التي تضطرب تحت كل خفقة من خفقات الاثير بين يدي شمسه المحرقة وهوائه الجاف ، لذلك كان العراق مورداً للعلوم وسيبقى كذلك مصدراً للفن ومورداً للعلم ، فهو محتاج الى غيره في العلم وغيره يحتاج اليه في الفن .

على ان ازدهار الحياة بالحضارة يرفع من شأن الفنون ويعلي من قيمتها لان الفن حياة فعلى مقدار سمو هذه الحياة يسمو الفن الذي يعكسها على لوحته الحساسة ، وليس في هذا ما يناقض الادب البائس في الدموع والآلام ، لان الدمعة في نعيم الحياة ابلغ اثراً على الروح منها في بؤس الحياة ، وليس الدمع قاصراً على الفقر والانحطاط في العيش فقد تدمع عين الملك البائس وهو على عرشه ، كما يبتسم الصعلوك الهانيء في كوخه وتحت اطماره .

فالدمعة ابلغ ما تكون اثراً في تكوين العاطفة وتلوينها بالوان الخلود ، حيث تكون الحياة المحدقة بالباكي بالغة الرقي في النعيم ، والابتسامة ابلغ ما تكون اثراً على القلب في تكوين الفن العبقري ، حيث تكون الحياة بالغة في الشقاء والفقر والانحطاط ، أترى شيئاً في العالم يعدل جمال الدمعة في

عين الفتاة الرافلة في وشي النعيم ، او جمال الابتسامة الفياضة بالسحر من فم الفتاة المغمورة بالفقر والبؤس ??? دمعة الملك وابتسامة الصعلوك اعمق اثراً في الحياة من دمعة الصعلوك وابتسامة الملوك ...

وبعد فما اذكر ساعة مرت بي وانا مطمئن الى حياة سامية اتوسمها في مستقبل الامة العراقية من الساعة التي مرت بي وانا معك نتبادل حديث الادب والفن الطريف الى جانب آثارك الناطقة بلسان اجدادك وآبائك الكرام

الرسالة الثالثة والعشرون

اليعقوبي

الشيخ محمد علي اليعقوبي من علماء العرب وادبائها وخطبائها المصاقع واحد خريجي جامعة النجف ، يتخصص للخطابة في الذكرى الحسينية في هذه المدينة ويكاد يكون العلم الفرد في هذه المهنة، وهو من الشعراء وفي العقد السادس من عمره ».

انت يا اخي عنصر هام في بناء المجد العراقي من جديد ، وقد يدهش القارىء لاول نظرة يلقيها على هذه الجملة فيستعرض ارباب الالقاب الضخمة والكنى الفارغة في الشعب ثم يقول ليس هذا واحداً منهم فكيف يكون عنصراً هاماً في بناء المجد ؟؟؟

يقول ذلك اذ يقيس الحياة بمقياس قصير النظر من ابناء نوعه ، ولكن الحقيقة من وراء ذلك تلحظ ابناءها البررة امثالك فتدمع عينها حناناً ورحمة ثم تكر هذا اللحظ على ذوي العقوق من ابنائها الذين كانوا سبة عليها ، فتكاد تلفظ من عينيها شرراً يلهب العالم ثم لا تأسف على ما يستحيل من فلذها دخاناً ورماداً .

نعم انك لعنصر هام في بناء هـذا المجد العتيد الذي يتغنى به شباب العراق الناهض ، ولعل البعض يتساءل : كيف يكون هذا عنصراً هاماً ؟ وبماذا يكون ؟ وهل هو كائن بالفعل ام لديه قابلية الكون ونواتـه ؟؟ والجواب عن كل ذلك هو ما يدعوني لان اوجه اليك هذه الرسالة في عداد بناة المجد العراقي الذين اوحوا اليَّ فحوى هذه الرسائل .

لعل من البديهي في البيان ان نرجع الى تعليل الاديان فيما تشرع من نظم تشير الى تهذيب المجتمع ، والى تحليل الحكمة في بناء الهيا كل والمعابد ،

وتفضيل العبادة فيها جماعات على العبادة في المساكن فرادى ، اظن ذلك كله غنياً عن البيان ، اذ يلحظ المفكر ، وهو يرى ذلك ، ان الحكمة فيه هو التعارف والتآلف ثم التضامن والتضافر ، وبين يدي ذلك كله العلم الذي هو غاية كل حي عاقل .

فالله اسمى من ان يسن الجماعة او الجمعة لمجرد الصلاة فحسب ، ولكن السنة من وراء ذلك تشير الى الحكمة التي يملأ بها الامام المرشد ، نفوس المؤتمين به ، عظة وبصيرة تقربهم من اسرار الكون وتشرف بهم على الحياة التي تصلهم بالخالق وتكشف لهم مخبآت علمه في بطون التاريخ .

اذن : فالجماعة والجمعة ثم الحج الاكبر انما سنت هذه لتنمية العقل وانضاج الفكر وصعود الانسان من عالم الحيوان الى عالمه المتصل بالملكوت ، وانما تكون كذلك بمن يتزعم الحج والجمعة والجماعة من رجال حشدوا في صدورهم قلوب الاجيال ، واشرفوا من ورائها على اسرار الكون فعمدوا الى العمل بما علموا وكانوا مناراً للامة تسير على ضوئه في ظلمات الجهل في الحياة

وكم نرى الدين حكيماً في تثبيت هذه النظم عقائد في النفوس لا يزحزحها عن العمل بها عقل ولا علم ، ثم كم نرى الامة تنحدر الى حضيض الحياة وهي تغفل او تتغافل عن اسرار هذه النظم وعن اكتناه الحكمة التي من اجلها وضع الدين وبها يخلد في بطون الاجيال .

من هذا التصدير نصل الى ان انجع وسيلة نتذرع بها الى المجد الذي نسير به والامم الراقية جنباً الى جنب ، هي الثقافة الناشئة عن المجالس التي

تعقد لذكرى الحسين بن علي بن ابي طالب شهيد الحق والانسانية ٠

فليس من السهل على الامـة ان تقرر في نفوس الشعوب وعن طريق العقيدة الصحيحة ، نظاماً اجتماعياً يضمن لها ثقافة عالية وتظافراً روحياً هما كل ما تصبو اليه الامم الراقية من ذريعة تفضي بها الى حيث تعز وترقى

ان ملايين البيوت تعقد فيها ملايين المحافل لهذه الذكرى بدافع العقيدة الدينية ، لأكبر عامل على الثقة بان الدين لم يدع لنا وسيلة تدفعنا الى الحياة دفعاً ، وان الله لم يترك لنا عليه من حجة في تأدية رسالته الينا على الوجـه الاكمل ، وان انحطاطنا انما نشأ عن سوء تدبرنا هذا القانون الحيوي ونكوصنا عن العمل به والاستحالة فيه ٠

من هؤلاء الذين ينتدبهم الشيعة لرئاسة هذه المحافل والقيام على منابرها ثم البحث فيما عقدت له واقيمت في سبيله ؟؟ من هم ؟؟ أهم العلماء والادباء الذين فقهوا الحياة فاقتنعوا بان لها رسالة ربانية عُهد اليهم بتأديتها فسهروا عليها حتى تقرحت اجفانهم وتقوست ظهورهم ؟؟ أهم هؤلاء ؟؟ اذن على الحق ان يؤيدهم وعليه ان يفتح للامة طريق النجاة من ذل الدنيا وعذاب الآخرة ؟

اما اذا تنزّى على تلك المنابر مسوخ تلوك الكلم فلا تستطيع مضغه وان مضغته فلا تقوى على هضمه ، تدعي العلم وهي في صميم الجهـل ، وتنتحل الادب والادب عنها في منجاة ٠ اما اذا كان ارباب تلك المحافل من هـذا السنخ فبشر الامة بانهـا انما تسير بالنشء القهقرى الى حيث تذل بعد عز وتضعف بعد قوة وتموت بعد حياة ٠

انا العالم او الاديب او الشاعر أجلس تحت منبر هـذه الذكرى بدافع العقيدة التي تحملني على هذا الجلوس لاعزز في كياني روحاً قام على تهذيبها العلم وضمن لها الخلود ادب وفن . أأنا اجلس تحت منبر يصعد عليـه جاهل سخيف ؟؟ اني اذن لأجهل منه واسخف .

اطأطيء رأسي بين يدي هـذا الخطيب واصغي الى قوله فانا اخرس ابكم اصم الا بـين يديه ، فما انبس ولا أتحرك ولا اشخص ببصري الى الافق حرصاً على وقار المجلس وهيبة الخطيب واكباراً لصاحب الذكرى ؟ أأفعل ذلك كله لازداد علماً على علم ام لاعود بعد علمي الى جهل فاضح ؟؟

أفيسن هذه الذكرى حكيم عالم من اجل ان يسمع الحكيم العالم تحت منبرها قصيدا من الشعر تافه الفكرة سخيف الديباجة ، وحديثاً رثاً اكل الدهر عليه اجيالا من التاريخ ثم يكون المتحدث الي به كالببغاء يزقه معلمه الكلم زقاً فينقله الينا مشوه القالب ضعيف القلب ، أفيسن لنـا هذا الحكيم تلك الذكرى لشيء مما اذكر ؟؟

اخي اليعقوبي !

ان الحكمة والعلم والعقل والشرع ، كل ذلك بعيد عمن يسن لنا هذه الذكرى تحت منابر يعلوها تماثيل او اشباه رجال يفترون على العلم والادب ثم يزعمون انهم رسل الاصلاح وقادة الفكر في الامة .

لا تشوهوا هذه البدعة الحسنة التي تنحدر عنها كل سنة صالحة في تهذيب المجتمع ، فقد حز في نفسي ، وانا بين اظهركم ، ان اشهد محافـل هذه

الذكرى الشريفـة واسمع من بضعة نفر كانوا يصكون سمعي بالصخب والضجيج ويلأون عيني بالدمع الكاذب فلا اغادر المجلس الا وانفض اذني من غبار تلك المعركة واحمد الله على سلامة نطقي من العجمة وفكري من العقم وعقيدتي من الاختلال .

لقد سمعتك وسمعت السيد الجسام وسمعت قبلكم الحلي والسبتي ، وسمعت معكم بضعة نفر من الشباب فكنت مغتبطاً بما سمعت وقرير العين بما رأيت ووعيت ، وقلت حمداً لله !! فليست محافلنـا قاصرة على الهراء والسخف وليست التعزية رمزاً للتأخر والجهل ، وليس خطباء الذكرى قاصرين على الجهلة من الناس .

على ان الفوضى ، الفوضى يا اخي ، هي التي سادت فحكمت فجارت فكنا ضحاياها دون غيرنا من الامم ، ولماذا ؟؟ ألان الله لم يؤتنـا ما آتى غيرنا من عقل يرشد وحمية تعصم ، وناموس اجتماعي قائم على الهدى ندعوه ديناً ونفاخر به كل دين ؟؟

لماذا لم نتدبر امرنا في كل حكم من احكام ديننا ؟؟ ولماذا لم نتفقه في الدين على اساس الحياة التي تربأ بنا عن الذل والجهل والفقر ؟؟ ولمـاذا لم نعمد الى صلب هذا الدين القويم فنتخذ منـه سلاحاً نقضي به على الفوضى الآخذة بخناق الامة ثم على الجهل الفاشي فينا حتى اصبحنا محط انظار العالم في السخرية والهزء ؟؟ ولماذا بعد هذا كله يقف كل مصلح منا من المصلح الآخر موقف العدو من العدو فلا يضع عليه عيناً ولا يمد اليه يدا ؟؟

أفتقول معي يا اخي انا في امس الحاجات الى تأسيس كلية جامعة من اجل فرع واحد فيها يخرج لنا خطباء لذكرى الحسين بن علي ، وانا زعيم بان يضمن لنا هؤلاء دعوة الى الحق تنشط بنا من ظلمة هذا التأخر الى الفجر الذي نتطلع اليه من وراء العلم والفن ؟؟

انا هكذا ازعم ، ان مدرسة واحدة يتخرج منها علماء يحملون شهادات تخولهم صعود المنابر في مجالس الذكرى ، ان هذه المدرسة خليقة بان تقوم مقام جامعة تخرج لنا اطباء ومحامين ومهندسين وفقهاء ايضاً كالفقهاء الذين يدرسون عشرات الاعوام ثم يجلسون تحت منابر يقوم عليها خطيب معز يسيء الى اللغة والمنطق والدين ، ثم لا نسمع هؤلاء الفقهاء يتذمرون وينشدون اصلاح هذه الناحية الجليلة من نواحي الحياة فينا

فاحفظ عني هذه وارجوك ان تذكر بها من يتذكر ، وحسبي في شفاء نفسي ان ادونها لك في هذه الرسالة وانها ستكون محط انظار كثير من ذوي الحق فيما يقولون اذا قالوا ويكتبون اذا كتبوا .

ولعلي اعود ولو بعد فترة من الزمن فاتغلغل في قلب العراق المحبوب ويفاجئني الحرم فاستمع ، في اقصى لواء العمارة او ادنى لواء الديوانية ، الى خطباء يتخرجون على ايدي اساتذة مهرة في تلقين دروس هذه الذكرى

هل يتحقق هذا الحلم فاراه وانا حي ؟؟ او اسمع به وانا رهين الترب افكر في مصير امتي التي جار عليها الزمن وساعده ابناؤها على ترديها في هوة سحيقة من ظلام الجهل والذل والفقر ؟؟

عزيزي الخطيب المفوّه

اني لأكبر فيك سلامة الذوق وحسن التخير وبراعة الاسترسال في خطابك ثم الروعة كل الروعة في خلوصك من الحكمة الى الفن، اما فصاحتك وبلاغة المنطق فيك فغني عن البيان ان اطريهما وادل عليهما بين فكرك ولسانك

فليس من السهل ان تتوفر في الشخص هذه الخلال، ولعلنا نتصفح ملايين الرجال ثم لا نعثر على الرجل الذي يجمع العلم والادب الى الفن والاريحية كما جمعتها انت في شخصك، علم يدل عليه ذكاؤك وبعد نظرك وجامعتك الكبرى التي تطرفنا منها بما يملأ صدورنا عظة وعبرة، وادب ينم عليه ذوقك وطراز حياتك الطريف فيما تتخير من سير وعبر، وفن يعبر عنه موقفك الخطابي الرائع باسلوبه وتثبيته من نفوس المستمعين اليك

ما اروع ما تسمو به النجف من حلية هي انتم؛ وما اشق على القلم الجبار ان يحرر المنطق الشاعر بكم فيصوره للناس حتى كانهم يرونكم رأي العين ويسمعونكم سماع الاذن، فان مدينة تعقد فيها كل يوم محافل يصعد منابرها خطباء يتجلى الفن على السنتهم وايديهم وادمغتهم، فيرى الناظر ما لم يره من قبل، ويسمع المنصت ما لم يتلقفه فيما غبر من ماضيه، ان مدينة كهذه لخليقة بان تتبوأ المكانة المرموقة في العالم كله لا العالم العربي وحده

وقليل هؤلاء الذين يتصل بهم ما تمتاز به النجف من طراز حياة مادية وادبية، لذلك نراها مجهولة في عالم التدوين الشائع في عالمنا كالقاهرة وبيروت

ودمشق وحتى بغداد ، ذلك لان ما اثبتناه في رسائلنا المشيرة الى الفوضى من هذا الكتاب هو الحائل بين الغري وبين ما يستحقه من تبوء المكان اللائق به تحت سماء العروبة .

أفلا نصل الى يوم ينتظم سلك العلم في النجف ابناءه وتتوجه دواوينه واندية هواة الادب والفن فيه فيتخرج على نظامها قادة فكر يؤدون الى العالم رسالة الغري مطبوعة بطابع العصر الحديث فتحتل بذلك مكانتها المرموقة تحت الشمس ؟؟؟

كم تتبين في هـذه المجالس وتلك الدواوين طرائف ادب وروائع فن خليقة بان ترفع رؤسنا عالية في العالم لو سجلها لنا التاريخ واذاعتها الصحف والكتب ، اما قليل ما يأتينا على لسان الهاتف او العرفان او الغري ، وعلى السنة الرسل الصادرة من وادى السلام ، فهذا على نفاسته مالا ينهض دليلا على ان للنجف مكانة ينحدر عنها كثير من جوامع العلم والادب والفن

فقد شهدت بنفسي ان ما تنتجه قرائح الشعراء وافكار الادباء والعلماء في هذا البلد خلال ايام معدودة لايقوم بنشره في العالم الغري صحيفة عالمية خلال عام كامل ، فكيف بالصحائف الاقليمية التي تلتقط في الشهر او السنة بضع كلمات علمية او ادبية تسربت اليها عرضاً دونما قصد فاذاعتها على الملأ وكان لها هذا الصدى البالغ ؟؟؟

ومهما يكن من امر فان منزلة النجف العلمية مدينة للحلقات التي تعقد في المعاهد والمعابد على غير نظام كامل ، وان منزلتها الادبية والفنية مدينة

للدواوين وحفلات الذكرى الحسينية ، وهـذه الحفلات والدواوين وتلك الحلقات مدينة للحقيقة المتألمة من وراء الفوضى التي تحول بين النجف وبين عالمنا العربي المفتقر الى مثل هذه الحلقات وتلك الدواوين

فعليك يا اخي ، وانت عنوان سام لصحيفة النجف الادبية، ان تتظافر مع زملائك في تنظيم هذه الدروس القيمة التي تلقى عـلى منابركم فتملا السمع والبصر علماً وادباً وفناً ، ثم لا تخترق جدر البيوت ، او سور المدينة واذا تعدت هذه الحدود فالى بيوت معدودة في العراق

اما غير العراق فيكاد النجف الزاخر بعلومـه وآدابه يكاد يكون مجهول الحياة والتي يسرها في نفسه والحقيقة تنشده قول الشاعر :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله   عـلى قومه يُستغن عنه ويذمم

الرسالة الرابعة والعشرون

الخليلي

صاحب جريدتي الراعي والهاتف في النجف ، وهو ايراني الاصل وعراقي المولد والمنشأ ، يمتاز بتجديده في الادب والاصلاح الاجتماعي ، وهو في العقد الخامس من سني حياته .

اي ابا الهاتف !!

اني لجد مشوق اليك بالعاطفة الشيقة التي مارستها في جنبك وانت على مكتبك ، وكأنك من ابناء نويرك اذ تتحرك او تقول او تشير امام هـذه المنضدة والى يمينك المروحـة الكهربائية وبين يديك الكتب والصحف المنسقة في حجرة ، لا اشك وانا معك فيها ، الا اننا تحت سماء باريس او في قلب لندن .

غير أني كنت اخالفك في نظامي الخاص لا اللحية احلقها يومياً مثلك ، ولا الياقة غاية في الاناقة والنظافـة كياقتك ، ولعلي انزعها احيانا فاخترق شوارع النجف وانديتها خليع العذار كالحصان الشامس ، لشدة الحر وكثرة الغبار وقلة الحيطة القائمة على الحضارة في المحيط الزاخر بالمدنية .

« الترسم » في المحيط الجاف والطبيعة القاسية شاق على المدني ما لم يكن سابغ النعم اخي العيش طائل الثروة ليقوى على الحياة القاسية بين وحشية الطبع وركود المجتمع ، لذلك كنت في العراق والحياة فيهـا اشق ما تكون على هواة المدنية والفن ، كنت امـاشي الطبيعة الغالبة واساير المجتمع الساحق ،

كنت ، وانا مهمل اللحية سليب الياقة متهدل الجيوب عـديم الجورب

مشوش الرأس ، كنت اراني ، بين هؤلاء الذين اجالسهم واو كلهم ، مدنيا اول بشذوذ لباسي عن البستهم واختلاف لوني عن الوانهم ، حتى اذا جالستك وسايرتك رأيتني ، وانا ابن النجف اساير « جنتلمان » قد قذفت به امه في حدائق لندن او على شاطىء بحيرة مشغن .

وكم كنت اراك في دواوين النجف تضغط صدرك وتنكمش على نفسك في لباسك الرسمي المزنك لتواسيهم بالجلوس على الطنافس ايام الحر اللاهب فاكاد اختنق عنك ، ثم التفت الى نفسي ، وقد القيت الصدار والسراويل جانباً وتدثرت بالعباءة البيضاء الفضفاضة وسايرت القوم في لباسهم وجلوسهم ، فأتنفس الصعداء اذ لم اكن انا هذا الغائر في المجتمع وهو عار والعائم على الماء وهو مسربل بثياب من حديد .

عزيزي ابا فريد !

لقد غبطتك اذ رأيت ان في طوقك ان تكون المدني البالغ في شكلك وزيك ، في طعامك وشرابك ، في سكنك وتقاليدك ، بينما قُدر لك ان تكون في محيط سبقتَ اهله الى المدنية مائة عام ، اما انا ، فكما كنت تراني ، قد سبقني قومي الى المدنية بمثل ما سبقت قومك ، على بعد الشقة بين قومك وقومي .

أتعلم يا خليلي اني فتشت في شخصك عن عوامل هذه العبقرية فيك ، والعبقرية شذوذ ، فلم اجدها في غير قلبك الكبير الزاخر بالعواطف الملتهبة ؟؟ العواطف يا اخي انها معدن هذا الجوهر الذي نسميه ادبا ، وانها مصدر تلك

الروح التي تخلق في ذيها الفكاهة والنكتة ، ومبعث هذا الفن الحافل بروائع الادب الطاغي على الحكمة والعلم ؟

كم بين من لا يريد ان يدعو صديقه الى طعام او شراب الا وهو على استعداد ان يضع بين يديه اطائب ما يطعم ويشرب ، وبين من يحرص على دعوة صديقه ولو الى كراع ؟؟ انك انت من النوع الاول ، واخوانك في النجف جلهم من النوع الثاني ، أفلا أكبر فيك ان تكون كبيرا في كل شيء ؟.

كنت الحظ وانا اماشيك واجالسك ، واسامرك واواكلك واشاربك ، كنت الحظ انك تحب ان تستعلي في كل ما تأتيه على كل من يزاملك في الحياة ، وهذه خلة قلما يؤتاها الا ذو حظ عظيم ، ثم لا ارى باعثاك على هذه السجية الا العاطفة الثائرة بين جنبيك .

ولعلك لحظت إثارتي هذه العاطفة فيك مراراً، في دار الهاتف عندما حذفت الحديقة بالكتاب، وفي دار العزيز الشيخ علي ثامر عندما صارحتني بأذيتك بما ظلمتك به ، وفي ديوان الشيخ قاسم عندما فضلتُ السماوي على ابي ماضي والحفت بالتفضيل ، لعلك لحظت اني كنت اتعمد اثارة هذه العاطفة فيك ولعلك ادركت اني كنت اذ فارقتك مقتنعاً بانك تكاد تملك عاطفة يتضاءل في افقها تحت سماء نفسك كل فكرة لا ينبض بها قلب .

وعلى هذا بنيت رأيي القائل : انك عنوان الادب السامي في هذا المحيط الزاخر بشتى فنون الادب واسماها الشعر ، الشعر الذي تتدفق به قلوب العراقيين عامة والنجفيين خاصة فتكاد تطغى على الشعر العالمي في بلاد

العرب الآهلة بالحياة والحب المثالي .

وقبل ان اخوض معك في الادب الذي عنونته بك احب ان لايفوتني بحث العاطفة وما اوحته الي صحبتك من فكرة بعيدة في تربية العواطف :

تربية العواطف

قد يسأل السائل : لم خلق الله الذبابـة ؟ ؟ ولو امعن في التفكير اذ يغضب لوقوعها على عينه او انفه وهو يكتب او يقرأ ، لو امعن في التفكير بما تربيه الذبابة اذ ذاك في نفسه من عاطفة الغضب وما تعززه من حرارة الدم لأدرك سر خلق الذبابة في العالم .

العواطف كالجوارح مفتقرة الى التربية والتعزيز من حيث لا نشعر فكما تهيء الطبيعة لكل جارحة عملا ماديا يربيها وينميها ، كذلك تهيء لكل عاطفة عملا معنوياً ينمي فيها الحرارة حتى تثور وتتقوم بها الحيـاة الى جانب العقل ، فالمرء لا يصلح ان يكون عقلا محضاً كما لا يصلح ان يكون عاطفة محضة ، والحياة تتقوم بهما معاً كما تتقوم بالمادة والقوة على السواء اذ لا مادة الا بالقوة ولا قوة الا بالمـادة ثم لاحياة الا بهما معاً .

وهل الحياة الا تفاعل الاثير الذي ينشأ عنـه الاضطراب الكوني المولد للاشعة المختلفة التي ينشأ عنها نظام الوجود المعبر عنه بالحياة ؟ فالحيـاة جذب ودفع ، تتكون بينهما الحركة القائمة في قلب الاثـير وحق على الحيـاة ان تضمن بقاء كليهما بما ينمي ويعزز حرصاً على بقائها مستمرة حتى الغاية التي من اجلها امتلأ الكون بتيار الروح المعجز .

فلا تأس على حياتك ان مُلئت عليك بما يبعث فيك الالم فانما هو للفراغ الذي أحدثه السرور في نفسك او نفس اخيك الحي اذ لا يلزم من تقويم الحياة بالسرور والألم كونهما في كل حي على السواء ، وانما تتقوم بهما في الاحياء جملة لا افراداً فقد يكون الحي الفرد مجموعة من الآلام واللذات على السواء وقد يكون هذا الفرد محض ألم يجاوره آخر هو محض سرور فيكونان معاً مثالا للحياة الكاملة بينما يكون الاول وحده مثالا كاملا لها .

هكذا تُسخر الحياة للعباقرة من يجحد نبوغهم ويحاول الغض منهم فتشتد قلوبهم نبضاً ودماؤهم حرارة وعواطفهم انتاجاً للفن الذي اثار في الخاملين عاطفة الحسد او الغبطة لتستقيم الحياة في الحاسد والمحسود ، وفي الخامل والنابه ثم نجد كليهما ينقم على الطبيعة وجود الآخر وهو في غفلة عن ان وجود كليهما متمم لوجود اخيه الحي .

هكذا يخلق العبقري في نفس الخامل عاطفة الكره والحسد كما ينمي الخامل في نفس العبقري عاطفة الألم والغضب فيكون لكل منهما فضل على الاخر في تنمية عاطفته التي يفتقر اليها ليكون حياً ثم هو يحسب ان اخاه هذا انما خلق عبثاً عليه في الحياة وان وجوده كان عبثاً .

واياك ان تثق ان من ينالك بغير حق هو ضروري الحياة وان له عليك فضلا في النيل منك ليربي فيك العاطفة التي تفتقر اليها في اخراج الفن الذي يضمن لك الخلود ، اياك ان تثق بذاك ولو ان ثقتك هي الحق بعينه ، لانك ان وثقت لم تتأثر بنيله منك فلم تظفر بحظك من حرارة الدم وثورة العاطفة التي يثيرها

فيك بتحامله عليك ونيله منك .

ثق بانه نالك بغير حق وانه ظلمك وان عليك ان تعاقبه، فانك ان تثق بذلك وتعمل به تقم بما يجب عليك تجاه الحياة اذ تنمي عاطفتك بهذه الثقة وعاطفته بهذا العقاب والحياة انما تتقوم بتبادل ابنائها هذا التجاذب القائم على المد والجزر في بحر الكون الزاخر بالعجائب .

غذاء العواطف يا اخي حراة ودم فالدم يغذيه الطعام والشراب واما الحرارة فيربيها الألم واللذة، على أن الدم يربي في النفس حرارة طبيعية لاتبعث العبقرية في العواطف ولكنها تخلق العاطفة خلقاً لا شذوذ فيه ، ومناط العبقرية هو هذا الشذوذ البالغ حد الجنون في الفنان العبقري .

انقم ما شئت ان تنقم على الذبابة وهي تغيظك ثم انتقم منها بالقتل فانما خلقت لتربي فيك هذا الغضب ، وانما اوتيت هي كثرة النسل استعداداً للقتل والتضحية في سبيل تنمية العاطفة فيك ، فللذبابة اذن فضل عليك وأنت تبدع في عالم الفن ابداع الآلهة في عالم التكوين .

ثم انقم على حسودك وانتقم منه بما شئت فانه انما حسدك ليحرضك على كبته وان حسب انه انما يسلبك بحسده حلية البستك الطبيعة اياها وهو منها عاطل ، ولن تستطيع كبته بغير تعزيز هذه الحلية فيك ، فلحسودك اذن فضل عليك بما تتحلى به من عبقرية تضمن لك الخلود .

على انك ، وانت تعمل على كبته بتعزيز فضيلتك، فانما تنمي فيه عاطفة تفتح امامه الطريق الى النقمة عليك فتربي فيه الحذق والدهاء والقدرة على

إلباس الباطل ثوب الحق وليس ذلك بالهين في عالم الادب فانه احد فنونـه الجبارة التي ترتكز الحياة عليها الى جانب الفضيلة الغراء .

فالفضيلة في نفسك تربي او تنمي الرذيلة في غيرك ، والفضيلة في غيرك تربي او تنمي الرذيلة في نفسك ، فانت مدين في فضيلتك الى رذيلة عدوك ، وعدوك مدين في فضيلته الى رذيلتك .

فليس لك ولا له ان تخلصا من الرذيلة او الفضيلة حتى تكونا غير انسانين فان الانسانية الكاملة انما تتقوم بهاتين الخلتين في شخص الانسان ، على ان الانسانية قد تسمو بذيها الى عالم الفضيلة الكامل فيكون في عداد الملكوت وقد تهبط به الى عالم الرذيلة السافل فيكون في عداد الشياطين ، واما هو بين هذين العالمين فانسان ...

وكيف نفسر العالي والسافل ؟؟

العالي هو العالم المهيمن والسافل هو العالم المهيمن عليه ونعود بالتوضيح الى ما مر في بحث الانسان من تحقيق التيار الروحي في هذا الكتاب ، فكلما لطف الاثير كان مهيمناً وكلما كثف كان مهيمناً عليه ، والجرم كلما تكاثف عد سافلا وكلما لطف عد سامياً وهو مجرد اصطلاح درجنا عليه ، والا فالكون واحد لا علو فيه ولا سفل ، وهكذا نصطلح على الفضيلة في جانب الجوهر وهو الروح ، وعلى الرذيلة في جانب العرض وهو الجسم ، ولعل الروح والجسد شيء واحد يبتدىء بالانملة في عالم المادة وينتهي بالوحي في عالم الوعي .

وفي ذلك كله ، اي اصطلاحنا في العالي على كل ما يمس الروح المجرد وفي السافل على كل ما يمس المادة الكثيفة ، في ذلك برهان على اولية اللطف في الكون وآخرية الكثافة فيه حتى اصبح في معتقدنا ان الفضيلة في رقة الانسان ولطفه وان الرذيلة في صلفه وخشونته ·

على انا نفسر آخرية الكثافة في الكون بانها عرض على الجوهر يزول بالتصفية ويعود الجوهر الجزئي الى اصله الكلي ، ونفسر اولية اللطف بانها علة العلل تنفعل بالقوة الخفية المطوية في ظهر الغيب عنا فتتكاثف بهذا الانفعال وتتراءى كالماء الجليد والهواء المتجمد ثم تصفو فتعود الى كنهها الاول ·

وانما نعد ما يصدر عن الروح من الرذائل سقوطاً وخسة لانه فعل يزيد في كثافة اثيرها فتستمر بعيدة عن التطور الكوني المنتظم الذي يسن طبيعة الكثافة ومدتها ، والنفس اذ تفعل ما يزيد هذه الكثافة ويحول دون نصولها وتجردها ، تخالف سنة الطبيعة فنعد عملها سافلا لتربى على الفضيلة التي تسير بها وفق النظام الطبيعي المشروع في الكون ·

ولنعد الان الى العاطفة وكيف تكون عبقرية في انسانها الاول ثم تغادر عبقريتها او تستمر معها في انسانها الاخير ·

انما ندرك هذه الانغام المطربة في الاصوات الرخيمة بواسطة الاذن ، وندرك هذه الاشكال البديعة والالوان الرائعة بواسطة العين ، ثم ندرك هذه العطور الشائقة بواسطة الانف ؛ فهل هنالك اشياء اخرى من بدائع الكون وروائعه لم ندركها لانا لم نؤت الحاسة التي تدرك بها ؟؟

ترى ان من يخلق ضريراً لا يتبين لذة الالوان والاشكال ، ومن يخلق ابكم لا يشعر بلذة الموسيقى ، ومن فقد حاسة الشم لا تستطيع ان تكيف له جمال العطر .

واذا ادركنا جمال الحياة من خلال هذه النوافذ فلم لا ندرك جمالاً اسمى منه لو تسنى لنا نوافذ اخرى غير هذه الحواس ، واذا اطلت على الافق من نوافذ بيتك فليس الافق قاصراً على هذا النور الذي ينفذ اليك منه بواسطة هذه النوافذ ، فكلما فتحت نافذة اطل عليك نور جديد لم تتبينه من غيرها .

وهكذا تجد الحياة لو عزت الطبيعة نوافذ الاحساس في هـذا الجسم القابض على هيولاك والحائل دون تسرب جماع الاصوات والالوان والاشكال الى جزئي الروح فيك ، تجدها اذ ذاك اوسع مما تجد ، وانما تقتصر على هذه الحواس الضئيلة ليبقى هذا الجزئي من الروح على صلة بمادته الاولى كالصلة القائمة بين الحلم واليقظة في الانسان وكالصلة بين عالمي الجنون والعقل في حياته

فالانسان الاول : هو من يتحسس الطبيعة فتشرف عليه من هـذه النوافذ وتملأ نفسه حباً بالحياة ورغبة فيها . والانسان الاخير هو من تربي فيه هذه الحواس ملكة القدرة على الطبيعة فيشرف عليها من تلك النوافذ حتى تتراءى له بين جنبيه كما يراها ماثلة نصب عينيه .

فالعبقرية في الاول هيام بالحياة حتى يستقل عن الروح الكلي بشخصه ، وعبقرية الاخير زهد في الحياة حتى يعود الى الروح فيندمج في كليه العام الذي انفصل عنه كما ينفصل الحالم او المجنون عن عالمي اليقظة والعقل

فكلما ازداد العبقري غراماً بطبيعته الثانية زادته حيويته شذوذاً عن مصدره فكان مثلا للانسان الحي الكامل ، وكلما ازداد نفوراً من هذه الطبيعة وهياماً بطبعه الاول زادته روحيته شذوذا عن تطبعه فكان مثلا للملاك الحائر في عالم يوشك ان يخلص منه الى عالمه الراهن .

فلتكون انساناً يجب ان تكون كالطفل في تربية العاطفة وتنميتها تحت تأثير لذتك وألمك حتى اذا ملات انسانيتك عمدت الى تعليل هذه العواطف وتحليل عللها في نفسك فرأيت الابتسامة في قلب الدمعة والدمعة تفيض على محيا الابتسامة ، فتدرك اذ ذاك انك والانسان والحيوان والنبات والجماد وما وراء ذلك من عوالم ، عالم واحد يتراءى للعين بالشكل الذي تربيه الطبيعة في النفس .

عزيزي جعفر !!

لا شك في انك ، بعد هذه الوثائق ، تعتقد اني مطمئن الى الثقة بان الادب يتقوم بالعاطفة قبل اي عنصر يعتمد عليه في تقويم كيانه ، وعلى هذه العاطفة التي لمستها فيك يقوم ادبك العبقري في القصة والفكاهة والتمثيل ، ولعلي اميل الى انك نسيج وحدك في هذا النوع من الادب بين الرافدين .

على اني اقف احياناً ، والحيرة تذهلني ، بين يدي ثباتك وصلابة عزمك فيما تعتنق من عقيدة لا يعدوها لديك الا خضوع المجتمع لها وسيادتها فيه ، والثبات الصلب لا يتفق مع العاطفة المتقدة لانها تلهب الشعور والشعور نواة الثورة في القلب والتجديد في الفكر .

فما من رجل يثبت على سنة طبيعية او مدنية ويقصر عليها فكره وخياله وعاطفته الا وفي طبعه جمود او شبه جمود، فليس للعبقرية منفذ يشرف عليها العقل او العاطفة من قلب الانسان الا عن طريق الحركة والتطور، ولهذا نرى عباقرة الامم انما كانوا كذلك بما خرقوه من نواميس دينية او مدنية قد اكل الدهر عليها اجيالا من البشر وهم مسربلون بها، ثم انكشفت عنهم الحياة فاذا هم مصدر نواميس جديدة حولوا اليها وجه العالم.

فانت على ما فيك من عاطفة وتجديد اراك تثبت على اشياء لم تشر فيك الى وحي العاطفة والهام الخيال، منها اضطلاعك باعباء السياسة المحلية، فبينما نراك مكبا على طرسك تستلهم ادبك اذا بك تلفظ يراعك وتستظهر وحيك وتقبل على ذي حاجة يتقاضاها على يدك في محكمة او دائرة او متجر.

وبينما ارى الطبيعة القاسية بسمومها الذي يشوي الوجوه تستدعيك لان تتحرر من تقاليد المدنية القاضية على ابنائها في بلاد الغال المكفهرة بالضباب القاتم، وتحت سماء السويد المتلبدة بالغيوم، ووراء بحر كاريليا المتجمد، تقضي عليهم ان يضغطوا بالياقة على العنق، وبالجورب على الارجل وبالصدار وما دونه على الكشح والورك، بينما نرى طبيعة العراق تستدعيك لان تتحرر من كل ذلك اذا بك تظهر تحت هذه السماء المحرقة اشد حرصاً على تقاليد الغرب من ابناء الغرب انفسهم حتى كأنك مولود على الشاطىء الفضي او في شارع الشانزاليزي ...

وما اريد ان انكر عليك هذا ، ولعلي احسدك عليه واتمنى لو ان لي جلداً اقوى به على اعتناقه لما فيه من ضبط النفس والزامها السير وفق نظام يسنه المجتمع الفاضل، فالنظام كان ولا يزال مظهراً من مظاهر الحق في العالم، وهو يشير الى جانب الخير في الحياة ، واما الفوضى في حيز النظام الازلي الذي لا يقوى هذا الفكر المحدود على كشفه ، وانما يتنزل وحيه على العباقرة الذين يلهمون الشذوذ والفوضى ليحوروا النظام المتبع في العالم الى انظمة اسمى وامثل .

لا انكر عليك شيئاً من هذا ولكني انكر ان يكون هذا من عمل العاطفة لانه قاصر على العقل وقد رأيتك عاطفياً اكثر منك حكيما ، وارجو ان تغضي عن هذه، فما اردت انك غير حكيم ولكني اردت انك تتمتع بالعاطفة اكثر مما يتوفر لديك من الحكمة ، وبعبارة ادل على ما في نفسي ، : ان لديك من العصب الحساس الذي هو مناط الفن، فوق ما لديك من الحكمة والعلم ، ولذا كنت اديباً قبل ان تكون عالماً ، كنت الى تذوق الفن اقرب منك الى تذوق الفلسفة والعلوم .

ذلك ما اقف منه موقف المتعجب اذ رأيت فيك غلبة العاطفة على الحكمة حيث تقول، ورأيت منك غلبة الحكمة على العاطفة اذ تفعل ، أليس في ذلك محل عجب، انك اذن ابعبقري في هذا التضارب الخلقي وليس على النجف ام العبقرية في الحكمة والفنون، ليس من الشاق عليها، وقد انجبت كثيراً من الحكماء والادباء ، ان تنجب شخصاً واحداً يجمع بين الحكمة والفن

هــذا ولا اظنك تعتقد في نفسك العصمة وانت واحد منا ، نحن بني الانسان ، فانك ، وانت في سموك هذا قد تتنكر احياناً للحق، اخذتُ هذا من جوابك للسيد المغني في منزل عزيزيّ الشاعرين البحرانيين الخطي والجشي وهما شابان ارجو أن يكونا دعامتين يرتكز عليهما سمك البيت الاول الذي نأوي اليه .

سألك السيد المغني : هل في النجف مدرسة ادبية ؟؟ فقلت لا!! فكان عجبي الك ، وانت خريج هذه المدرسة فوق عجبي للسائل وهو يعتقد سموك في عالم الادب وانك نجفي وعلى ذلك بنى سؤاله ووجهه اليك ؟ ؟ وكيف تنفي الادب عن النجف يا استاذ ؟؟ أفليس الادب ، بانواعه الثلاثة التي هي تصوير حياة مرت فحكاها الاديب، او حضرت فشهدها او لم تكن ولكنه تخيلها فوجه اليها عصره، أفليس هذا الادب مجرد تصوير ينطبع على لوحة القلب الحساسة شعراً او نثراً ؟؟؟

فالاديب ، شاعراً كان او كاتباً ، هو مصور ، فاذا صور حيــاة مرت او حضرت تصويراً محكم الفن كان اديباً فحسب ، واذا صور حياة لم تكن ولكنها خير مما كان وقد ابدعها ليخدم بها نوعه فهو الاديب العبقري والثائر المجدد ، فاذا اردت ان تنكر على النجف مدرسة الادب الشعري فقد ظلمتها وبين يديك الهاتف الذي يحمل للعــالم العربي شخصية الشبيبي والجواهري والشروقي والصافي والسماوي ومحيي الدين وشبر والوائلي والهاشمي والجعفري وغيرهم من خريجي النجف .

واذا شئت ان تنكر على النجف مدرسة الادب الكتابي فما تقول في كاشف الغطاء والشهرستاني والخليلي وصدر الدين ومروه وشراره والصوري والشروقي والحوماني وغيرهم من خريجي النجف ؟؟ فانك ان اخرجت هؤلاء واولئك من المقدرة على تصوير الحياة ولو الى حد له قيمته في المجتمع ، سلمت معك بأن لا مدرسة ادبية في النجف .

ما اريد ان اسفهك فيما تنكر ولا ان اثق من انك تقول ذلك وفي نفسك شيء على النجف او على هؤلاء ، ولكنك كغيرك من ادباء اليوم يرى القذاة في عين اخيه اللاصق به ولا يرى الخشبة في عين عدوه البعيد عنه ، فقد قضي علينا استخفافنا بانفسنا ان نرى الصغار قاصراً على محيطنا ومجتمعنا ثم نرى العزة والسمو قاصرين على المحيط والمجتمع الذي يتأدب ليستغلنا ويتخذ ادبه جسرا يعبر عليه الى حياته ، بينما لا نفقه حدا للادب الا ان نعبر ، وراء هذا الغريب ، على انفسنا .

ما كنت احب ان الومك ، وانت احب الادباء النجفيين الي واكرمهم علي ، لولا انك تتجاهل ادب قومك الرفيع وسمو شعورهم بالحياة حتى كأنك لم تقرأ او لم تنشر روائع المجهول منهم بل المعلوم المشتهر امثال الشبيبي والجوهري والصافي والشروقي ، أفما قرأت لنا قول السماوي الشاعر العراقي النجفي المجهول وهو يداعب الشاعر ابا ماضي رداً على طلاسمه :

سوف عن أحجية العالم ينشق الحجاب

ربما ينفلق القشر ويمتاز اللباب

واذا اشتد شعاع الشمس ينحل الضباب
ويعود الكون وضاحاً على من . .
ليس يدري

لو تخطى معي الكون وجاوزنا الفضاء
وتسلقنا السموات سماء فسماء
وانتهينا حيث ينسد طريق الانتهاء
لالتقطنا شذرات العلم مما . .
ليس يدري

لو تركنا جانب الافق وموجات الاثير
وقصدنا الروضة الغناء والغصن النضير
لرأينا السر مكتوباً على وجه الغدير
بسطور كاد ان يلمسها من . .
ليس يدري

فيك يا نفس كما في الكون نور وظلام
انت حرب وسلام وهو حرب وسلام
كلما ساد نظام فيك يندك نظام
أو ليست وحدة العدل اقتضت ما . .
ليس يدري

لك كالشمس على الكون طلوع وافول

انت نفس الذات ان صح اتحاد وحلول
اشرقت منـك عقول مثلما اربدّت عقول
وعلى قارعة الشك جثا من . .
ليس يدري

انت كالموجـة تنحل باخرى وتـذوب
انت كالمرآة تصدا مثلما تصدا القلوب
لك مثل الدهر عـندي حسنات وذنوب
قد تشكلت فاشكلت على من . .
ليس يدري

لو تخطى معي السجن وكسرنا القيـود
وتنكبنـا الى الحق رواب وسـدود
لنقلنا كلمـات السر عـن لوح الخلود
وكتبناها على اللحد ولكن . .
ليس يدري

كن على الغصن هزاراً وعلى الموجة زورق
واذا ماج ضياء النفس في النفس واشرق
كن اخا الظلماء بدراً كلما اسودت تألق
فعسى ينشق مرج الشك عمن . .
ليس يدري

ان تلك الازهار تبدي العطر من غير اختيار
وسحاب الافق يهمي مكرها فوق القفار
ونبات الروض مدفوعاً بداعي الاضطرار
فمن القاسر؟؟هل يدري بذا ام . .
ليس يدري

سوف اجتاز طريقي بين واحات الخلود
وسيتزو بي كوني من وجـود لو جود
فوجود الجسم لا يبعث في الروح الركود
وهي تدري انها في ما تعـاني . .
ليس يدري

هذا نموذج من شعر العلامة السماوي اسهبت فيه لادلَّ على ان ابا ماضي ليس اسمى شعوراً منه وهي قصيدة طويلة جيدة لا تكاد تميز فيها بيتاً عن بيت وهاك نموذجا آخر لشاعر نجفي مجهول في العالم العربي كـالفه ايضاً وهو العلامة عباس شبر :

نظرة المرء في الحياة هي المقـ ـياس فيما استفاد من عرفان
وكما تقتضيه يؤتى شعوراً في مسراته وفي الاحزان
ذات لون هذي الحياة فريد غـير ان الشعور ذو الوان
لاتكلف من لم يجانسك حساً ان يعاني من امرهـا ما تعاني

*

يخضع الفكر للمزاج ولولا ذاك لم تختلف لنا افكار
ولو ان المزاج لم يتطور فاتنا في بحوثنا الابتكار
قيل لي انظر مجرداً قلت انّى ومزاجي لناظري منظار
واختلاف الافكار اجدى وادعى
ان ترى الحق ما عليه غبار

والاستاذ السيد محمد جمال الهاشمي يحيي المعري بعد الف عام في قصيدة بحترى، منها ما يلي :

اي عقل هذا الذي يتحدى صولة الدهر هازئاً مشمخرا
يلمس الشك في اليقين فيمسي كل سهل في مسلك الفكر وعرا
شامخاً يعبر الاثير الى النور ويجري مع الملائك حرا
قد يرى الشر في المبادىء خيراً ويرى الخير في النتائج شرا
ويعي من مجاهل الغيب لحناً اذن الدهر تشتكي منه وقرا
طلسم حير القرون اختباراً كلما حلته يزداد سرا
يصف الكون مبدعاً حين يملي ك سفر الوجود سطراً فسطرا
ثم يلقي عليه ستراً من الشك فيبدو فضاؤه مكفهرا

***

شاعر الكون قف على ربوة الخلد وحي الاعصار عصراً فعصرا
عبرت هوة التقاليد لما وجدت فيك للحقيقة جسرا
الف عام مضى عليك كأن لم تصطحبك الايام الا شهرا

والاستاذ صالح الجعفري :

عصفورتي حسبك من عـالم ... الاحياء مثل الحلم الزائر
عودي كما جئت ولا تمكثي ... حرصاً على جوهرك الطـاهر
وكفكفي ذيلك فالارض لم ... تطهر الى الان من الغـابر
في كل شبر معهد حافل ... يمثـل الاول لـلآخر

والاستاذ ابراهيم الوائلي وهو يخاطبك :

خذ من يراعك في الحيـاة دليلا ... وانهج من الادب الرفيع سبيـلا
واضف لتـاريخ النوابغ صفحة ... بيضـاء تشرق بكرة واصيلا
دنيـا الاديب محـابر وصحـائف ... فاذا تجـاوز ذاك كان فضولا
قلم الاديب ، وان تجـاهل قدره ... قوم ، اشد من السيوف صليـلا
غرس البيـان وان تقـادم عهـده ، ... هيهـات يخشى في الزمـان أفولا
متع حييت بها ، وحسبك انهـا ... لم تلق غـير الشاعرين كفيلا
فاهتف بفنك لاتصـدك نبوة ... من معشر وجدوا الحياة خمولا
نبذوا الحقـائق في الزوايا وانبروا ... يتتبعون الوهم والتخييـلا
عبدوا الهياكل وهي صنع اكفهم ... يولونهـا التكريم والتبجيـلا

والاستاذ محمد علي اليعقوبي .

اعد نظرا في الشعب حول انتخابنا ... وهيهات يكفيك العيـان سماع
تجد امة عن امة قـد ترشحت ... وافكار قوم تشترى وتبـاع
اذا القوة استعلت فابدت قرارها ... فكن واثقاً من انها ستطـاع

هذا قليل من كثير ما احببت ان اثبت للعالم العربي ان مدرسة النجف تخرج للملأ اسمى ماتخرجه جامعة في الامة العربية ادبا رفيعاً وفنا عبقرياً لا يكاد يشعر به غير ابناء النجف او يتجاوزهم الى العراق فقط ·

اما امثال الصافي والشبيبي والجواهري والشرقي والحبوبي والازري ممن لم يجهلهم اديب عربي فليس في التدليل على ادبهم العالمي برهان ، وتآليفهم تملأ الكتب والصحف شرقية وغربية ·

ارجو ان اسمع منك او عنك انك تعد النجف مدرسة اولى في تخريج العلماء والادباء للعالم العربي ولكنها ، كالشعب الذي تقوده ، قليلة الحظ من الدعايات التي تخلق الشيء من لا شيء كما تعلم ·

الرسالة الخامسة والعشرون

كمال الدين

السيد محمد سعيد كمال الدين قاضي الشرع في لواء الناصرية ، وهو حفيد آل كمال الدين الذين منهم الشاعر الحلي السيد جعفر صاحب ديوان ، سحر بابل وسجع البلابل ، نجفي الاصل والمولد والتخريج . ويكاد ينهد الى العقد السابع من سني حياته .

لا ازال ارى كلمتك في الحجاب والسفور لم يسبقك اليها اديب، وكنت احسب ان حظك قاصر على العلم ، ومن العلم على الفقه فحسب حتى نزلت عليك وكنت جليسك بضع ليال سقتنا المودة خالصة الكأس من شوائب التجمل والرياء ، فاذا انت في نفسي اكبر من فقيه ، وتجاوزت حدود الفقه الى العلم المطلق ثم اخذت قسطك من الادب فكنت اديباً يحمد اليك جليسك حصافة الرأي وبلاغة المنطق

بضع ليال كانت كافية في ان تمدك من اصغائي اليك بالحذق ومن اقبالي عليك بالحجة الدامغة والبرهان الصـادق ، وكم كانت عيناي مأخوذتين بعينيك وهما يصوران تفكيرك الحر ويلونان ادبك الرفيع ، بينما كان لسانك يترجم افكارك باسلوب عريق البيان حتى ليكاد يملي علي معجزة جدك في نهج بلاغته الخالد .

جلست واياك صبيحـة يوم ما على ضفة الفرات المنساب امام قصرك المتواضع ، وكانت جلسة شاعرة النسيم المهيمن علينا ، والشمس لما تزل وراء حجاب كثيف من شجر النخيل والخلاف المنضود على ضفتي النهر الهادىء بين ايدينا ، حقاً لقد قرأت شعر الطبيعة من جديد في هذه الجلسة ، وعلمت من جديد ان الله شاعر الكون وعبقري الحياة الازلية فيه

واذ هيمن علينا سحر الطبيعة وجلال الكون مر بنا سرب من الفتيات معبأ بالحجرالاسود يكاد يرينا اشباحاً تتحرك ثم لا نعلم اهي في الريط أنفر من الانس ام طراز من الجن جديد الشكل واللون ؟؟ قلت لك اذ ذاك : أمن الدين هذا يا استاذ ؟؟ فقلت : لا احسب الدين في هذا ولا في نقيضه ، وانما هو وسط بين الافراط والتفريط »

واستوضحتك اكثر مما قلت فاجبت : ان الحجاب على هـذا الشكل الشائن عجمي والسفور الذي نراه في المتطرفات عجمي ايضاً ، افلا ترى ان الدين يحجر على المرأة ان تتبرج وتخرج سافرة خشية ان لا تعبث بصدور الابرياء من الرجال ، كما لم يسربلها بهذا الستار الكثيف الذي يحجب عنه الشمس والهواء ويحرمها حرية النظر والتفكير في خلق الله ؟؟»

« ان هذا وذاك غير مشروعين في نظري والمشروع هو حجاب النفس المفروض على الرجل والمرأة ، اما ان تخرج المرأة الى المجتمع كالرجل تقول وتفعل ضمن حدود الشرع فذلك من صلب الدين ، افلا ترى معي ان الحجاب على الشكل الذي تراه عندنا ، وهو بالغ التحجير ، وكما اراه عندكم ، وهو بالغ الهتك ، لا يعرف وجهاً للدين ولا يعرف الدين له وجها ؟؟؟ »

« اي دين يفرض على المرأة ان تتدثر بالحجاب حتى تخرج عن شكلها الانساني الذي يميزها عن الحيوان ، كما هو عندنا ، وان تلبس اشف النسيج واخفه حتى يتراءى جسدها من ورائه ، كما هو عندكم ؟؟ واي عقل يتقبل المرأة ان تخرج متبرجة في شكلها الغربي كالدمية بين زينة وزي تعجز معها

فتنة للاعين حتى كانها لم تخلق الا لتدعو الى الفسق وتحول بين الرجل وبين عمله المخلوق له في الحياة ??? في كلا هذين يا صاحبي خرق للدين ، وفيما بينهما من سفور مهذب وحجاب رزين ، تعزيز للانسانية يقرنا عليه الشرف ويحمدنا اليه الدين وتشكرنا عليه الاخلاق » . . .

حقاً ان مسألة السفور والحجاب من مشاكلنا الاجتماعية التي شغلت اقلام كثير من علمائنا وادبائنا في هذا الجيل ولا يزال انصار السفور يتعصبون له وانصار الحجاب يدافعون عنه ، على ان السفور يتمشى يوماً فيوماً الى القضاء على خصمه وها هي سيداتنا يخرجن في المدن الكبرى سوافر على شكل يحسدهن عليه كواكب هوليوود تبرجا وتهتكاً ثم لا يجدن من فتيتهن الا المغضي او المؤيد .

فالقول الفصل في هذه المشكلة هو ما اشرتَ اليه ايها القاضي الفاضل وهو ان الحجاب ينال النفس اكثر مما ينال الوجه واليدين ، والسفور المشروع انما هو سفور الرجال للعمل ، فاذا حجبت المرأة نفسها عن الاختلاط الحر بالرجال وسفرت سفور الرجل العامل في المجتمع لا الشاب المخنث كان حجابها وسفورها من صلب الدين وفي صميم الشرف .

واذا تلفعت بمرطها المزنك والقت على وجهها البرقع الشفاف والبست ساقيها الجورب الفاضح ثم زعمت بعد ذلك انها محجبة ، او اذا برزت من خدرها الى الشارع سافرة الوجه وعقارب الاصداغ تدب على عوارضها وبين شفتيها مثل زهر الجلنار وقد البست اظافرها لون العناب ، وتدعي السفور

الشرعي من وراء ذلك ، فاذا فعلت شيئاً من هذا او ذاك فلا سبيل الى اقرارها على ما تدعيه ، وليس في الشرع الاسلامي وغيره ما يشير الى صحة هذا السفور وذلك الحجاب

فالمسألة لم تعد مسألة حجاب وسفور ولكنها مسألة نقص وكمال ومسألة عفاف وتهتك وبالأخرة مسألة حياة وموت ، فقد رأينا بأم اعيننا في الماضي القريب ان بعض الشعوب ، وقد استرسل في الفسق ، اتخذ اللهو والفجور الى حد اهمل معه الحياة التي تعصمه من قوة اعدائه الذين لم يشغلهم الفسق عن اعداد هذه القوة .

فالتخمة في الحياة اذا لم توجه الى تعزيز الامة بالاخلاق الفاضلة وتثبيت دعائم القوة فيها ، تنقلب الى فسق وفجور يصرف هم الشباب الذين هم بناة مجدها وحماة القومية فيها ؛ الى اللهو والبطر والتخنث فتهدم الشهوات قواهم وتنحدر بهم الى الكسل فالخمول فالموت آخر الامر

فلتسفر المرأة ، اذا شاءت ، ولكن سفور الرجل العامل في الحياة ، لا تبرج ولا تهتك ولا استهواء ، ولتحتجب اذا شاءت ، ولكن حجاب العفائف من امهات المؤمنين اللواتي «يضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ...»

اخي الفاضل السعيد !

رأيتك حريصاً على ان تفكر قبل ان تقول ، ورأيتك احرص على ان تقول ما يرضي جليسك ولو جرت به على رأيك هوناً ما ، وهذا من دهاء

الحاذق الاديب العاري من الدجل والتضليل ، فقد يتنازل الفاضل المفضول عن رأيه في سبيل التفاهم او الابقاء على المودة بين المتناظرين ، واما الدهاء الموصوم بالنفاق فهو تمويه الحقيقة والباس الباطل ثوب الحق ، وهو بعيد عنك .

لقد حمدت فيك هذه الخلة التي تماشي بها مناظرك ثم تكر عليه بالبرهان الدامغ ، فان لحديثك على سطح العزيز ابي الجواد ليلة سمرنا عنده ، اذ ثارت بيننا مشكلة ما ، ان لحديثك ذاك طرازاً جديداً من الاقناع ، وكان لاقتناع العزيزين الطبيب شاكر اسكاف والعلامة القرعلي ، اثر في تعزيز حديثك وتربيته في نفوس شهود هذا الحوار .

ولكم ترك الطبيب شاكر اثراً طيباً في نفسي اذ عالج ابا الجواد وهو راكع بين يديه يسترحمه العمل بما يفرضه عليه الطب ، يا سبحان الله ! ما ارق هذا القلب واندى تلك العاطفة ، لقد آمنت منذ تلك اللحظة ان الطب رفقاً بالمريض اكثر منه علاجاً ، وان العلاج تأثيراً على النفس اكثر منه تأثيراً على الجسد .

قل لي يا اخي !!

هل تحيا الامة بمثل ما تحيا به من طب وقضاء ؟؟ وهل الطب والقضاء يبعثان الحياة في الامة ما لم يعصم الطبيب او الحقوقي عقيدة تربت في نفسه من ابيه ومعلمه تحمله على الاخلاص في علاجه او قضائه ؟؟

تكاد تعد اسوأ الخلال الانسانية اليوم في الطبيب والقاضي ، هذا يعبث بالحقوق وذلك يعبث بالاجسام ، ذلك لان الحقوقي لم يتفقه على يد عالم حق ،

ولم ترسخ في قرارة نفسه عقيدة الايمان بالله ، ولا درس كتاباً يشعر دارسه ، وهو يتصفح اوراقه ، بروح مؤلف اخلص في تأليفه واشربه الروح الخالصة للحق ، ولان الطبيب كذلك مجت في نفسه دراسة الطب الحديث شكوكا عززها استاذه الحديث بشبهات دسها في الطب او جهل طريق الخلاص منها فزقها تلميذه وهو يربيه على عقيدته المتزلزلة و ايمانه القائم على الشك .

اني لأطالع في كل يوم وجهاً من هذه الوجوه التي يركن اليها الطب والقضاء عندنا و عندكم ، فارى نقمة الحق على ذلك الوجه بين عينين زائغتين وفم قاضم ، يفتش الافق عن ستر يهتكه بتينك العينين وحق يزدرده بذلك الفم ، يالله !! كم حادث يقف الحق بين يديه دامي القلب ندي الجبين حياء من طبيب يتذرع بطبه الى شهوات نفسه ، ومن قاضٍ يعتسف بين يدي جشعه في الحياة وتكالبه على الموت ؟؟ ؟

ايها القاضي الفاضل

ان اية امة تحاول الرقي عن غير طريق العدل في القضاء ، لاتبصر وجها للحضارة ينير امامها سبل الحياة ، من اجل ذلك نرى أبقى الدول على الحياة واسبقها الى الخلود منذ اجيال ، دولة السكسون ذلك لانها تحتفظ بالعدل في القضاء ، وتعمد الى كل عمل تصدره فتخلص فيه ، أفلا ترى ان نتاجها يفضل كل نتاج فيثبت على الزمن ويماشي الحياة ؟؟؟

اعمد الى سلسلة التاريخ في الامم فهل تجد امة تقهقرت واضمحلت الا من وراء العبث بالحقوق وعدم الاخلاص في العمل ؟؟ ويكاد يكون هذا

العبث قاصراً على ولاة الامر في الامة الذين هم قدوة السواد ومثال يحتذى فمشى الناس وراءهم وضُرب المثل القائل: الناس على دين ملوكهم »

ما أرى يا اخي ان الدين يجب على العامة وجوبه على الخاصة، لان في مفهوم الخاصة تعاليهم على العامة وفي مفهوم العامة انقيادهم الى الخاصة واقتداؤهم بها، لذلك كانت الخاصة مثلا اعلى للعامة وكان على العامة ان تتأثر الخاصة فيما تقول وتفعل، فاذ استهدفت الخاصة في اعمالها الظلم والعسف كانت العامة تبعاً لها فلم يحل بينها وبين الفساد اذ ذاك قانون ولا شرع، وعز على الخاصة بعدئذ ان تضطلع بالحكم وينقاد لها السواد انقياده الاعمى لاوليائه.

ليس للقائد ان يفلح في الجند ما لم ينقد اليه الجند انقياداً اعمى، ولا ينقاد الجند هذا الانقياد لوليه ما لم يرَ وليه مثلا صالحاً للقيادة، والمثل الصالح في ان يخلص للحق ولا يتبع الهوى، وانما يضمن هذا الاخلاص في القائد عقل نضج حتى فقه الحق، او دين تغلغل في نفسه فعصمه عن الباطل.

ايها السيد المفضال!!

نحن في أمس الحاجات الى النزاهة والعلم في اولي الامر منا، وما دام اولو الامر يرون الدين في جانب والسياسة في جانب آخر، ويرون ان من ضروريات السياسة النفاق والمكر والخدعة والدجل، ما داموا يرون ذلك ضروريا في الحكم فلن نفلح ولن نحلم بالعز الذي فارقنا منذ طغى الباطل على الحق باسم السياسة، وظلنا ننعي على قادتنا الاول الذين يرون السياسة والدين لفظين تحتهما معنى واحد هو الانسانية الكاملة، ظلنا ننعي عليهم

الجهل في السياسة وضرورة فصلها عن الدين ..

لقد كان يعتصم بعض الساسة بالنفاق والخدعة ولكنهم ادركوا اخيراً ان ما يهوي بالامم الى وحشيتها الاولى ويؤديها الى الحضيض الاسفل من الدمار، انما هو الغش والمكر السائدان في السياسة المتبعة منذ عصور، لذلك عمدوا، في سبيل السلام العالمي، الى اعتناق القول بان السياسة الحقة يجب ان تتمشى مع الصراحة والصدق ليعم الخير في البشرية، ويسود السلام بين الامم

ان القضاء في طليعة البنود الاولى من ناموس الوجود القائم على الحق، فما تنهار امة الا بانهيار العدالة فيها، ولا تسود امة الا بتقديس هذا البند وتعزيزه، وما عدا ذلك فانه يأتي في البنود الخاتمة لهذا الناموس.

احببت ان اعود اليك في هذا البحث تعزيزاً للبحث الذي تقرؤه في رسالتي الى السادة آل يس ولانك القاضي الاول الذي ضمني واياه مجلس طال امده وكثر الحوار فيه وكان كلانا مطمئناً الى النتائج الحسنة في عقباه

وبعد فهل تقبل مني خالص الشكر على ان قيضت لي هذا البحث بجرية تسعني في وجه نقاشك الحر وانت الاخ الاكبر الحليم الواسع الصدر بين يدي اخوانه ؟؟؟

الرسالة السادسة والعشرون

الدهوي

عبد النبي دهوي ، ابو عبد العزيز ، يقطن الكاظمية وهو من كبار الملاكين العراقيين ، يمتاز بسمو اخلاقه واحسانه للمشاريع الانسانية علمية ودينية ويكاد ينهد الى العقد السادس من سني حياته .

وانت ابا عبد العزيز !

ماذا كان منك في تلك الفترة القصيرة التي مـلأت عيني واذني من انسانيتك ؟؟ والمسلم اقل الناس حظاً من الانسانية في عصره الحاضر ، وانما خصصت المسلم بهذا لاني مسلم فعلي ان اعالج نفسي قبـل ان اصف العلاج لغيري ، وان اكون صحيحاً لدى معالجتي المرضى من الناس .

الانسانية هي التي حملتني على خط هذه الرسالة اليك ، ولست اعني بها انك كنت معي انسانا ، لانك معي مثلك مع غيري ، فاذا سجلت لك هذه فلمن اسجل والناس على علم بهذه الخـلة فيك ؟؟ ولكني احب ان ادون حديثنا الذي تناول الانسانية المطلقة في منزلك يوم كنت تحاور احد عمالك محـاورة الند للند ، لا يعلو صوتك على صوته ولا يستشعر هو الخضوع بين يديك .

التفت اليَّ اذ ذاك وقلت : متى نستريح من هموم الحياة ؟؟ أفليس من السفه ان يمقت الغني مذهب الشيوعيين ؟؟ يكفي في هذا المذهب انه يهيء للمثرين ، وهم اشد خلق الله نصبا ، حياة هادئة مطمئنة يرتاحون فيها من عناء الكد ونصب الجهاد ثم لا ينالهم مما يكنزون اكثر من طعام وشراب يتوفر عليه كل انسان يدب على الارض »

تعني بذلك ان الثروة بلاء وفتنة ، وان حياة الاغنياء قلقة مضطربة وان الراحة الكبرى في العيش الكفاف الذي يضمن غنى النفس فلا بطر ولا ضجر ، وهذه انما تتوفر في مبادىء الاسلام وقد نص عليها القرآن : انما اموالكم واولادكم فتنة ، ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ، الى كثير من الآيات التي تنص على شقاء الحياة في الغنى وشقائها في الفقر ، ثم تنص على سعادة الحياة في العيش الكفاف ، فالفضيلة ابدا تجدها وسطا بين رذيلتين ، كالشجاعة التي هي وسط بين الجبن والتهور وكالكرم الذي هو وسط بين الاسراف والبخل ، وهكذا تجد الكفاف فضيلة لانه وسط بين الفقر والغنى .

ولو قلت ، اذ تذمرت من عاملك ، ان من السفه ان لا يعتصم الغني بالاسلام ، لكنت اقرب الى الحق بقولك هذا ، فان محاسن الشيوعية كلها بعض من محاسن الاسلام ، افلا ترى يا اخي ان الاسلام ضمن حياة الفقير قبل ان يضمن حياة الغني بقوله : والذين في اموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم ؟ فلو تقيد المسلم باسلامه لما كان في سواد المسلمين فقير بائس ولا غني شقي ، ولرأيت السعادة سائدة في كلا الرجلين ، ولكفانا هذا الاسلام مؤنة الخضوع للاجنبي المسيطر .

ليس في المال شقاء ولا نصب ولكن الشقاء والنصب في سوء استعمال هذا المال ، ولعل المال سبب اول في سعادة الانسان اذا احسن استعماله ، واما اذا اساءه فالفقر ، على ما فيه من بؤس ، اسعد للانسان من الغنى ، وكيف

يكون المال شقاء في ذاته وهو السعادة بعينها ، ومن ذا الذي يطلب السعادة من غير المال ؟؟ أفلسنا نفكر اذ ننشد السعادة في المال ليكون طريقنا اليها؟

وما هي الشيوعية التي يتهالك عليها الناس ؟؟ انها مبنية على المساواة في الحقوق والشخصيات ، وهذا هو اول ركن من اركان الاسلام ، ولكنه لما أهمل نسيه الناس او تناسوه فعمدوا الى تقديس المبادىء التي تشير اليه او تتشبه به وادعوا انها غيره وهي عينه ولكن اللون الذي أسبغ عليها يغاير لون الاسلام المسبغ عليه منذ الف وثلاثمائه عام .

اضرب لك مثلا يطلعك على السبب الذي من اجله يتهافت الناس على الشيوعية ويخرجون من الاسلام ، : ان الشيعة في لبنان يبلغون مئتي الف نسمة وهذا العدد يكاد يشكل ربع سكان هذه البقعة ، واكاد اجزم انه محروم من كل حق مدني ، ولماذا ؟؟ لانه اقل الطوائف الاسلامية اعتصاماً بالاخلاق التي فرضها عليه دينه ومذهبه وتراثه ، واذا عدت الى مأتي عام قبل هذا التاريخ رأيت ان هذه الطائفة كانت عزيزة الجانب بفضل الاخلاق التي كانت تعتصم بها من عروبتها واسلامها

ولقد كان آباؤنا يتحدثون الينا انصرخة واحدةمن شيعي عاملي مظلوم ، كانت كافية لان تدوي في آفاق هذا الجبل فاذا اهله ينهالون على الصارخ من كل حدب وصوب ، واذا هم فوق صعيد واحد يلبون دعوة الداعي بانفسهم واموالهم ، ثم لا يعودون الى دساكرهم قبل ان يدفعوا ظلامة الصارخ ويستردوا حقه المسلوب .

وكان آباؤنا يتحدثون الينا ان زكاة الحبوب توضع في المساجد وتترك المساجد مفتحة الابواب ليأتي الفقير تحت ستار الليل فيأخذ حاجته من الحب حرصاً على كرامته وابقاء على عزة نفسه ، وكان هذا الفقير يستوفي قسطه من الزكاة ويترك ما ليس له فيه حق ، وقد يبقى فضل الحبوب في المساجد حتى يحول الحول وتخيس ثم لا يشعر احد في القرية ان بين سكانها من هو مستحق للزكاة

اما اليوم ، فالمظالم التي يرتكبها ابناء الطائفة انفسهم بعضاً لبعض فضلا عمن يسيطر عليهم او يشاركهم في الحقوق والسياسة ، يكاد يضيق عن حصرها نطاق الكاتب الحر ، والفقر المدقع في المال والعلوم والآداب ، يكاد يستعصى علاجه على لسان الخطيب المصقع ، وقلم الكاتب العبقري ، وخيال الشاعر الملهم .

ذلك لماذا ؟؟ لان الدين في هذه البقعة اصبح مضغة في الافواه ، ولان الخلق العربي قد ودع اهلها منذ خلف السلف الصالح خلف اضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات ، فالزعيم الذي كان يحرس الشعب ، خلفه زعيم يريد من الشعب ان يحرسه ، والعالم الذي كان يرشد الامة ، خلفه عالم يريد من الامة ان ترشده

اما المثل الذي اردت ان اضربه لك ايها الاخ الصالح فهو : ان عندنا رجلا واحداً غنم في هذه الحرب من التجارة خمسة عشر مليوناً فيها الله من الحقوق ثلاثة ملايين فلو نهج على سنن آبائه الذين كانوا يستودعون بيوت الله حقوقه

لكفانا هذا القدر مؤنة الصراخ والنواح من ظـلامات المسيطر والمواطن القوي ، ولكنه امسك ولم ينفق حقوق الله فلهذا وامثاله يمد الفقراء اعناقهم الى المبادىء الشيوعية ويتغنون بها ، والشيوعية في صلب دينهم لو فقهوا هذا الدين او تفقهوا فيه

ان قولك الذي بادهتني به ، والعامل يرهقك بجواره ، اذ تقول : من السفه ان يمقت الغني مبادىء الشيوعية ، ان هذا القول يجب ان يوجـه من غير المسلم الى غير المسلم واما القول الخليق بك فهو ان تقول : ان من السفه ان ندعي الاسلام وفينا الغني الجشع والفقير المدقع ، فلنعتصم بالاخـلاق التي فرضتها الشرائع الالهية واقرها العقل ، ودعا اليها العرف ، يكفينا ذلك مؤنة السخط على العامل والخشية من الجاهل .

ان في العالم شعباً لا يتجاوز بضعة عشر مليونـاً ، فرضوا سيطرتهم على العالم اذ هيمنوا على التجـارة والصيارف والصحافة العالميـة ، وهذه تكاد تكون الشريان المتغلغل في كيان الوجود ، ذلك الشعب هو الشعب الموسوي الذي شغل العالم باسره في قضية ارادها وليس له فيها حق

باذا كان غنياً عن كل حكومة تذود عنـه وعن كل قطر يؤيه ، وعن كل قوي يحميه ؟؟ وليس لديه من العدة والعدد مايخوله هذه المنزلة المرموقة في عالمي المادة والادب ، الا انه يعتصم بدينه ويستمسك بعقيدته ويحتفظ بجامعته القائمة على العصبية للعنصر والقومية .

ايها الانسان الخلوق .

لقد كنت معجباً بانسانيتك هذه لا لانهافضيلة بذاتها بل لان الاتصاف

بها من غني مثلك فضيلة مافوقها فضيلة ، لقد ألجأنا صلف الاغنياء منا وغطرستهم وطغيانهم الى ان نفتش على الانسانية في واحد منهم لنقدسه ونقيم له التماثيل فكم اصبح عزيزاً علينا ان نعثر بتمول يحسب المال وسيلة يتذرع بها الى الفضيلة التي تسمو به عن الجشع والظلم والانانية .

المال سلم يصعد عليه الوضيع او ينحدر عنه الرفيع ، فاذا اتخذه الغني اداة للفضيلة كان مرقاة له واذا حرص عليه او استرسل به في الشهوات كان مهبطاً ينحدر عنه الى حضيض الهون ، وميزان هذا الهبوط وذلك الصعود هو حجر المال او انفاقه في السبيل التي من اجلها كان ، وهذه السبيل تكاد تنحصر في ان يسيطر الغني على ماله لا ان يسيطر ماله عليه .

ليست الفضيلة في الغنى ولا هي في الفقر ، ولكنها في الصبر على الفقر والشكر على الغنى ، وقد يكون الفقر كفراً اذا لم يطق الفقير صبراً عليه كما قد يكون الغنى بطراً يتردى الغني به في حمأة الرذيلة .

كم عدد هؤلاء الاغنياء الذين يتقون الله في الثروة التي ورثوها عن آبائهم او احرزوها بجدهم او قيضها لهم الحظ فعملوا على تزكيتها وتنميتها وحرصوا عليها ان تنفد او تبور ، ثم اشبعوا الحياة فضلا منها فكانوا مثالا صالحاً لمن شاء ان يحرز الثروة بجده او يستلهم لها الحظ او يحمد اليها الاباء والاجداد ؟؟

ان هؤلاء قليلون يا ابا عبد العزيز وانك لمن هذا النفر القليل الذي احرز هذه الثروة بجده حتى تغضن جبينه وسهمت عيناه ثم لم يغفل عن حق الله فيها فاقام النصاب الشرعي وتعهد المساجد والمعاهد وفتح بيته للطارق ، وبسط

يده لذوي الحاجات من اهل الفاقة .

فلم نكن لنخشى مبادىء الاشتراكية الهدامة ولا طغيان الشذاذ في الآفاق ، ولا جشع العنصر الفاسد من ارباب المطامع ، لم نكن نخاف شيئاً من هذا لو نهج نهجك من احرز مثل ما الك فسخت يده واتسع صدره وزوى النفس عما لله في ماله من حق فلم يمنعه اهله ولا حجره على مستحقيه .

يقص علينا التاريخ ان العلامة الشيرازي منذ مئة عام حول بعض الطلبة على المثري البغدادي المحسن الحاج مصطفى كبة بثلاثة دنانير ، ولما دخل الطالب على الحاج وجده يحاسب الخادم ويمعن في نقاشه وربما اخذه بالدانق ، فاستصغره واستعظم حسابه ويئس مما جاء له ، ولكنه دهش اذ لبى طلبه ووفاه حقه واحسن اليه ، فشكره الطالب واستغفره لسوء ظنه ثم كاشفه هذا الظن الناشىء عن دقة حسابه الخادم على الدانق بينما يسخو له بالدنانير فاجابه المحسن : انا لا نحاسب على حق الله ولكنا ناخذ بالحساب على حقنا وما اعطيناك انما هو من مال الله لا مالنا والمسؤل عنه خليفة الله على الارض وهو الذي حولك علينا .

كم تفتقر الامة اليوم الى مثل هذا الغني المحسن الذي يعرف حق الله في ماله فيميزه ويبذله لطلبة العلم او ينفقه على المساجد والمدارس ؟؟ وكم يفتقر العالم الى قانون الهي تتمشى عليه حكومات الارض فيحول بينهم وبين ما يغشى العالم اليوم من دمار وهلاك ولولا جور القوانين المتبعة لعم السلام وامن الانسان الانسان ؟

ولعلي اذكر ان هذا المحسن الكبي قد طلب منه خواصه وبطانتــه بناء قصر فخم على شاطىء دجلة يستقبل فيه الحكام والاعيــان من وطنيين واجانب فحاول ان يقنع المقترحين بعدم ضروروة هذا البنا ولكنهم اصروا عليه ، فاحضر من غده المهندسين والبنائين والنجارين والمزخرفــين وباعة السجاد والرياش وعرض عليهم خلق هذا القصر وتخريجــه احسن تخريج ثم سألهم قدر المال الذي يحتاج اليه في انشائه فكان عشرة الآف دينار فصرفهم ثم اخرج المال وانفقه على المعاهد العلمية وكان جوابه لحاشيته اذ سألوه عنه : لقد بنينا قصرا فخما في دار البقاء ...

هل في زمرة المثرين اليوم من يفكر تفكير هذا الرجل ؟؟ وهل فيهم من يحسن احسانه ؟؟ وهل فيهم من يصلح للحياة صلاحه فتصلح الامة به ؟ كلا ولكن في الامة كثيراً من ذوي الــثراء لا ينفقون اموالهم في السبيل التي تشرفهم ولا يعرفون وجها لله في الكسب ولا في الانفاق ، من اجل ذلك عمرت بهم وبانسالهم مواخير الفسق وامكنة الدعــارة ، وكثر الفساد بهم فعم الامة البلاء .

اعمل يا اخي ، فان في المال اكبر فضيلة اذا حسن استعماله وان فيــه اخس رذيلة اذا ساء هذا الاستعمال ، فهو كالعلم يرفع صاحبه اذا عمل بــه للنفع الانساني ويحطه اذا اهمله او أعمله فيما يسيء الى انسانيته ، ولعل الوصول الى المال اشق على الكاسب من الوصول الى العلم ، من اجل هذا نرى تقدير الناس للمثري المحسن فوق تقديرهم للعالم العامل

كم في زوايا البؤس من عالم يذيب نفسه كالشمعة لينير سبيل الرشد في في امته ، بينما نجد الغني حافل الجناب بكل ما يشير الى عزه وتعاليه من عبيد وخول وحاشية وبطانة وسائل ومتملق ، وحسب المال فخراً ان تكون له الميزة على العلم وان تشدق المتشدقون بتفضيل العلم على المال

لقد رأيت اقرب العلماء من نفوس الشعب واحفلهم باحترام هذه النفوس وتقديرها هو من يبذل المال ، ففي النجف اليوم مئات من العلماء الاعـلام ونكاد لا نشعر بوجود احد منهم اللهم الا من بذل وازدحمت ابوابه بعبيد المال ، وحسب المال تعالياً على العلم ان الغني البخيل والذي يسيء استعمال ماله هو اكثر تقديراً في الشعب من العالم الفقير الذي لم يعمل بعلمه ، فما بالك بالغني الكريم المحسن في جنب العالم غير العامل ؟؟

وبعد فانك انسان يا اخي وفي عقيدتي انك حققت ان الانسان مشتق من الانس لا من النسيان لما يؤنس بك، فقد رأيت ان الد اعدائك لايستطيع ان يصمك بما تبرأ منه الانسانية ، ولكنه يتذرع الى مناصبتك العداء بانك غني وهو فقير وانك قوي وهو ضعيف وبالتالي انك انسان وهو غير انسان

أفلا يكون انساناً من يجاور عامله كانه نظيره ويخاطبه ، وهو يخفض له جناح الذل من الرحمة ثم يقول له : لا اعدك اذ لا اثق من اني استطيـع الوفاء ، ومن قال ولم يفعل فقد كذب مرتين »

انك يا اخي انسان ولعلك فوق الانسان بما تحمل في قلبك الكبـير من حنان ورحمة تغيث بهما الضعيف وتسبغهما على الفقراء والمساكين ، ثم

لا تلحظ من هو فوقك بالعين التي تلحظ بها من هو دونك ، انك تحنو على الصغير بقلب يكاد يتضاءل من العطف الانساني ، بينما نجدك تخاطب الكبير بلسان يترجم عن قلب يسع الافق المحدق بك .

فاعمل واذع برك واحسانك لضعفاء شعبك فإننا في امس الحاجات الى مثلك اغنياء يتخذون الغنى سبيلا للاحسان ، واقوياء يتذرعون بقواهم لدفع البؤس عن ابناء جلدتهم ويرفهون بها عن نفوس البؤساء من بني الانسان ..

الرسالة السابعة والعشرون

منتدى النشر

المؤسسة العلمية الحديثة في النجف ، وتضم نخبة من علماء وادباء الشيعة الامامية اذكر منهم الشيخ محمد حسين المظفر والشيخ محمد شريعه والشيخ محمد رضا فرج الله والشيخ علي تامر والسيد محمد جمال الهاشمي والشيخ محمد رضا المظفر والسيد هادي فياض والشيخ عبد الوهاب راضي والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ عبدالمهدي مطر

اخواني اعضاء هذا المنتدى !!

منذ عشرين سنة وانا افكر واحلم او احلم وافكر في ضرورة مؤسسة قوامها العلم والاخلاق او المدنية والدين ومصدرها النجف تحمي النشء من الشذوذ وتحول بين الشيوخ وبين الرجعية التي يتمرد معها الشباب فيستقبلون المدنية عارين من الدين على ايدي معلمين انما امتهنوا حرفة التعليم ليفسدوا الاخلاق .

ولقد عملت جهدي على تحقيق هذه الفكرة في بيروت ولكن بيروت ليست بلداً شيعياً ولا مطمع للشيعي البعيد عنه في ان يعضد مؤسسة لايطمئن الى نموها النمو المرجو في محيط اجنبي عنه وعلى ايدي رجال لا يحملون ثقة العلماء الاعلام امثال الحوماني ومن نهج نهجه في النقد اللاذع والاصلاح المبني على العنت والاحراج

عملت جهدي فلم افلح في تحقيق هذه الفكرة واجتزأت بمؤسسة تعمل في نواحي أخر من حياة هذا الشعب البائس المنكود ووجهت افكاري شطر النجف فعمدت الى القلم محاولا توجيه الفكرة وتدوينها ثم عرضها على الحجة الاكبر مرجع الطائفة اليوم ، ثم بدالي ان زيارته انجع في تحقيق هذا الامل البكر فزممت اليه رحلي في ربيع السنة الغابرة .

ولشد ما كنت مبتهجاً اذ وصلت بغداد وزرت الكاظمية فاجتمعت الى اعلامها والشباب الناهض فيها فعلمت ان هناك مؤسسة جديـدة هي صلة القديم بالحديث تعنى بتهذيب النش. تهذيباً يرضى عنه الشيوخ ويعتنقه الشباب، وان الحجة الاكبر يرعاها بعينه التي لا تنام وان مصدر التفكير في انشائها هو منتدى النشر وان لها اختين في كربلاء والنجف وان في نية هذا المنتدى تصميماً على تعميم هذه المؤسسات في سائر مدن العراق .

هنالك تنفست الصعداء وقلت : احمد الله اليكم ان وفرتم علي عنـاء الخوض في هذا السبيل وكنت جد مغتبط بتنفيذ فكرتي على ايديكم لان فيكم من المؤهلات لتحقيق هذه المشاريع اضعاف ما يتوفر لدي، لقربكم من المرجع الاكبر ولثقته البالغة فيما ترون من عمل ولانكم اقرب مني الى الشيوخ الذين لم اكن معهم هادىء النفس حكيم الفكر والنقـد في سبيل الاصلاح المنشود .

وكنت اذ دخلت النجف عالي الرأس منشرح الصدر مطمئناً الى عمل يكفيني مؤنة التفكير بعد، في اصلاح هذه الطائفة التي مر بها الف عام ولا تزال مفتقرة الى يد تنشط بها من وهدة التردي، الى المستوى الذي يجعلها الى جنب اخواتها من طوائف المحمديين في شرق الامة وغربها، أفليس لهـا حظ من الرقي في العالم ؟؟ أو ليست على نصيب من العلم والدين يؤهلها لان تأخذ مكانها تحت الشمس ؟؟ أفحتماً علينا ان نبقى قروناً نتكتم وننكمش على انفسنا كان في ديننا او مذهبنا عوجاً لا نطمئن معه الى الجهر بالحق والاخـذ

بظاهر الحياة حتى اصبحت التقية ديناً لنا من دون الله ؟؟؟

وما هو هذا المذهب الذي نتمشى معه اذلاء صاغرين منبوذين متكتمين الى يوم القيمة ؟؟ كانا لسنا من حملة القرآن وعبـدة الديان ، وكانا نصر في هياكلنا اصناماً نخضع لها ونخشع امامها بيننا وبين انفسنا حتى تأول المتأول وتقول المتقول وكثرت الظنون بنا والنقمة علينا وحتى جهلنـا كل شعب وتنكرت لنا كل امة

هذا السيد باقر الكاظمي ينقل لي ما سمع من غرائب ما ينسبون للشيعة في مصر على السنة اعلامها ، مما يثبت لنا ان القوم لم يحيطوا بشيء مما نعتصم به في ديننا منذ الف عام ، وكان النجف وما انتجته ادمغة علمائها منذ قرون لا يزال في عالم الغيب ، وكان شريعة جعفر بن محمد الصادق شيخ الائمة لاتزال مطوية لم يطلع على غيبها احد ، وكانا نعيش في جزيرة احاط بها الماء وحجب عنها كل شاخص ؟؟

ألهذا خلقنـا ؟؟ وعلى ذلك يجب ان نستمر حتى تتبدل الارض غير الارض ؟؟ وفي يقيني ان شيئاً ينقم عليه واحد منصف في العالم ، لا يقره لنـا مذهب ولا يقوم عليه رأي ، ولكن بعض الجهلة ممن يتسترون بنا شوهوا وجه الحياة السامية التي يشير اليها مذهبنا ويحملنا عليها ديننا .

ومالنا لانتخذ لانفسنا دار طباعة حديثة وصحيفة عالمية تعنى بنشر هذه المحجوبات في العالم ، اقول محجوبات لا اننا نحن حجبناها ولكن سوء الطباعة وسوء الدعاية لها حالا بينها وبين ان يتبينها علماء وادباء الغرب والشرق ، فما

استطاعوا ان يتبينوها وان يكتنهوا جوهرها فمشوا على غرار من تقدمهم من مؤرخي العصور السابقة في عهد الظلم والتعصب والارهاق ، فنسبوا لنا البدع والضلالات بينما يأبى دين محمد واهل بيته الذين سنوا لنا هذا الشرع ، ان تقوم عليه بدعة او تحيق به ضلالة

فعليكم ايها النفر المجاهد اليوم تقع تبعة هذا المذهب في كل ما يعزى اليه ، وبكم يعتصم الشرع المحمدي على لسان الامام الصادق ، واليكم تُرد هذه الشبه التي وصم بها اعداء الدين دينكم ، عليكم وحدكم اليوم جهاد الزمن وابنائه في وجه ما ينالنا من ظلم ، فاعملوا فوق ما تستطيعون لاخراج هذه المخبآت واعلانها في العالم حتى لا ننسب الى التكتم والتستر كأنا جناة على الانسانية نحاذر ان نظهر خشية العقاب .

نعم عليكم ايها السادة ، ومن ورائكم علمنا الاكبر والقادة والهداة من علماء الشعب ، عليكم ان تباشروا قبل كل شيء بناء دار فخمة تليق بهيئتكم خارج النجف القديمة وان تشتمل على ناد رحب ومكتبة قيمة ومدرسة حديثة الطراز لتدل على ان وجهتنا في الحياة هى الوجهة الاولى التي يطمئن اليها الفكر الانساني الحديث

وعليكم بعد هذا ان تنشئوا دار طباعة حديثة وتؤلفوا لجنة من خيرة علمائكم لدرس الكتب الامامية فقهية واصولية ، تتخير اصلحها للدرس واقومها للشيوع ، واحكمها لاصول الدين وفروعه ، ثم تجددوا طبعها وتخريجها على ايدي اناس حذقوا فن الطباعة والتخريج الحديث .

وعليكم ان تنشئوا صحيفة تنوه بعملكم وتعلنه على الملأ الخاص والعام ثم تهدوا الى المكاتب الكبرى في العالم القديم والجديد نسخاً من مطبوعاتكم وصحيفتكم ليكونوا على بينة من امرنا كما اصبحوا على بينات من امور المذاهب الزائفة امثال البهائية والقاديانية ومن اليهما من بدع الاستعمار السياسي في عصرنا هذا والذي سبقه وما سيليه

ولقد اتيت على شيء من هذا الاقتراح في احدى رسائل هذا الكتاب ولكني احب ان اقرره الآن وآخذكم به لاني لا ارى المسؤلية تجدي فيما اذا اختص بها فرد ، اما انتم فجماعة منظمة نعول عليها في مثل هذه النظم وتلك الخطط ، وهل يقوم بالاعمال الشاقة فيضطلع بها غير الجماعات ، والجماعات التي تضم رجال الامة من علماء وادباء ؟؟ وهل يتحقق مثل هذه الجماعات في غير داركم ؟؟ اللهم لا ... الا ان تقروا بالوهن والعجز وذلك ما لا احسبه فيكم ، وفيكم الهمم التي لو اعملتموها في دك الجبال لكانت اضخم من الجبال .

اي اعزائي الاعلام

ان الحياة لشاقة علينا واشق منها اصلاح الحي واشق من هذا الاصلاح توفر اسبابه من اموال ورجال ، واشق من هذا وذاك ان يؤلف بين رجال الاصلاح تضامن يضم القلب الى القلب ويحيل الروح في الروح .

على ان من السهل ان نجد هذا التضامن بعد احرازنا الدين ولكن ليس من السهل علينا ان نوجد الفكر الذي يكشف لنا كيفية هذا التضامن

واستغلاله في سبيل الحيـاة التي عليها قامت اسس الدين ولهـا كنا قبل ان نكون للدين ، افلا يكون فيكم من يدرك هذا كله ويعمل له ويضطلع به؟

نعم لقد رأيت فيكم العالم الفهامة ، والاديب المفكر ، والشاعر الحر والحكيم المخلص ، والتقي البار ، وهل يتطلب العمل في الحياة رجالا اكثر من عالم واديب وشاعر وحكيم ؟؟ انكم رهط توفرت لديه العـدة الاولى التي هي العلم والاخلاص فلم يبق لديكم الا العمـل والاستقامة والثبات وهذه تكاد تكون وقفاً على التفكير والاخلاص ولستم « فيما ارى » بحاجة الى من يحملكم على الاخـلاص او يعينكم على التفكير ، نعم قد يرى الناقد البصير البعيد عنكم مـا لا ترون مما خبر وزاول واغترب ، قد يرى ما يلفتكم اليه وانتم في معزل عنه على غير جهالة ، فيكون مذكراً لا حاملا وشريكاً لا مؤسساً .

قد يعوزكم المال العتيد لما تودون القيام به وليس بوسعكم الحصول عليه في الوقت الراهن ، على انكم لو وضعتم نصب اعينكم ما اقترحتـه عليكم ايام وجودي بين اظهركم لكان وشيكاً ان تقبضوا على هذا المال وكان اوشك ان تضعوا ايديكم على اركان البنيان الذي تخيلتموه ولمـا يتحقق بعد .

ان بضعة ايام او اسابيع او اشهر تشبعونها دعاية في الصحف لمشروعكم هذا ، ونشرات توزع في الالوية على اعيان وعلماء الامة ، وتأليف وفد من كبار العلماء والادباء والخطباء يطوفون المناطق مزودين برسائل الحجة الاكبر

واركان الدولة الى اعلام القبائل وشيوخها ، ان هذا الوقت القصير يعود عليكم بطائل ما فوقه طائل ثم يعقبه الزمن الذي تشرعون فيه بالتأسيس في النجف الجديدة

فلا يمر بكم اكثر من عام حتى نرى علماءنا وادباءنا ووجهاءنا وعلى رأس الجميع الحجة الاكبر وزملاؤه من اقطاب الامة يؤمون منتداكم الفخم الذي يسع مئات من المقاعد بين يدي منبر الامام علي ، يستمعون الى خطيب مفوه يتلو عليهم نظام العمل ،وخطباء آخر يعيدون الى القلوب حنينها البالغ بترتيل آي الذكر الحكيم وجوامع الكلم من اقوال سيد الرسل ووصيه المرتقى في نهج بلاغته البالغ حد الاعجاز

وبعد ذلك ينصرفون الى تفقد الغرف المعدة للدراسة الحديثة والقديمة والى تعهدها بالعواطف السامية والخلق المحمدي في الانسانية الكاملة ، فيعيدون الينا ذكرى جامعات اوروبا واميركا التي تزخر بشباب العصر بين كاهن وطبيب وقاض ومهندس ، وغير ذلك من اوتاد الارض واقطاب المدنية في الحياة والجديرة بالخلود ٠

ليس في ذلك ما يعجز الحكيم المفكر والرجل المؤمن وهو فيكم ومنكم ايها السادة ، وليس في عداد المستحيلات ان يعمل العالم ويصلح الحكيم ، وقد كان العلم للعمل وكانت الحكمة للاصلاح ، ليس مما يستحيل على المؤمن ان يصلح وقد وجب عليه هذا الاصلاح فكان العنصر الاول في تقويم ايمانه

انكم في النجف ، والنجف اليوم مرجع ستين مليونا من العالم ، ومهبط وحي الآلاف من هواة العلم وحماة الاخلاق ، والنجف محط آمال تلك الملايين وموضع ثقتهم بالحق الذي ينشده المجموع البشري ، على ايدي رجاله الموهوبين والنجف اليوم هي مصدر التجديد في الدين المعبر عنه «بالاجتهاد» وهل الاجتهاد الا رمز للتجديد والتطور القائم على اساس العلم الصحيح والتفكير الحر ؟؟ النجف اليوم هي البقعة التي يسكنها علم الاعلام ابو الحسن الاصفهاني الذي ينفق كل يوم الف دينار في سبيل الحياة القائمة على العلم والدين .

أفكان مستحيلا عليكم ، وانتم في هذه المدينة ومن اعلامها وبين ايديكم قبة سيد الاوصياء، تنذركم كل يوم فتعيدكم بالذكرى الى الجهاد المقدس الذي سنه لكم باب مدينة العلم الراقد تحتها في حظيرة الخلود ، وعلى رؤسكم خليفته ابو الحسن الثاني يحمل اليكم قلوب الملايين من البشر واموالهم لتنفق في السبيل الذي تعملون له وتقومون عليه ، أفكان مستحيلا عليكم بعد هذا كله ان تقوموا بعمل تتسع لانجازه بضعة آلاف من الدنانير وهذه الآلاف تنفق في كل اسبوع عندكم على عمل دون عملكم ورجال لستم دونهم في استحقاق هذا المال ؟

انا زعيم لكم ايها السادة في ان العمل الصالح يخدم نفسه ويقوم على نفسه والاستحالة فيه هي المستحيل الاول ، وهل يوجب الله على عبده المخلص ما هو مستحيل ؟ انا زعيم لكم بان تضامنكم واخلاصكم وثباتكم ، الى عملكم وتفكيركم هو وحده الضامن لما اقترحه عليكم ، فمن الآن ، من

هذه الساعة التي تقرؤن فيها رسالتي ، اتقدم اليكم باسم الخذلان الذي فرضه علينا الجهل والفقر والتنابذ ، ان تنهضوا وتشمروا عن سواعدكم للعمل واذا شئتم ان اكون واحداً منكم فسترون مني عضدا متفانياً في كل عمل تستهدفون من ورائه الحق وهو يشير اليكم ويهتف بكم للاخذ بناصره في في وجه الباطل ...

اي اخواني الاعزاء .

لا تلوموني فيما الحف به عليكم واصر، ولا تحسبوا من الفضول اسرافي على نفسي بالقول بين ايديكم ، فاني رأيت اكثر مما رأيتم وسمعت اكثر مما سمعتم فلمست الحاجة الى الحياة اكثر مما لمستم وشعرت بالالم الذي يحز الجنب ويضغط الصدر فوق شعوركم ، ثم أوتيت من البلاء في معالجة هذا الداء فوق ما اوتيتم ، لهذا او ذاك اجدني حريصاً على الالحاف والاصرار بين يدي كل نسمة اتحسس في قلبها بقية من امل وبصيصاً من نور

لا تؤاخذوني بما ارهق في القول فما يحلو لي ان اقول واقول حتى يصدأ منطقي، وان اكتب واكتب حتى يكل ساعدي، ثم ان ابكي وابكي حتى يتحجر الدمع في قلبي ، كل ذلك في سبيل امة عرفت فيها الحق وهو ضائع، ولمست فيها النور وهو مكبوت، واشرفت منها على الجوهر وهو مكنون، ثم لم ار من اعلامها من يقول بفمي، ويكتب بيدي ويبكي بهاتين العينين اللتين مرتا بنعيم الحياة في شرق الارض وغربها فلم يزده امعاناً في غير البؤس

الذي يشمل قومه ويغشى افق بلاده

أفلا تتحجر هذه الدموع وتلك الكلمات في النجف وعلى ايديكم ، جامعة كبرى تثقف النشء ، وناديا فخماً يهذب العقول ، ومستشفى رحباً يرفه عن البؤساء في امراضهم المستعصية ، فأطمئن اذ ذاك الى ان رسالتي في الحياة قد انتهت واملي في الخلود قد تحقق ؟؟؟ واني لعلى ثقة بان تنزلوا هذه الكلمات من نفوسكم منزلة الحق الذي تشيدون به وتتنادون له وتحملون الامة عليه .

واني لعلى ثقة بان تعدوني شريكاً لكم في كل عمل تفكرون به وتنشطون له وتضطلعون بعبئه مستهدفين به الانسانية في قومكم فتدفعون الباطل بالحق والشر بالخير مهما بعدت بيننا الشقة واتسع الافق ، لاشارككم في النتائج المرموقة بعين الله والتاريخ الذي سخره الله لتسجيل العمل الصالح في ديوان الحق الخالد .

جامعة : تجمع الدين الى المدنيـة في قلب النشء ، ومستشفى يحمي النجف من اعراض الحياة . وناد تعالج على منبره ادواؤنا ، ومكتبة تضم اروع الكتب واقوم الصحف ، ودار طباعة تكفل لنا طبع الكتب القيمة علمية وادبية للتدريس والتأدب على اتم تخريج فني ، وصحيفة تعنى بالدعاية لكل ذلك . هذا هو الهدف الذي اشارككم فيه ، وهذه هي الغاية التي يستهدفها كل حر ، وهذا هو الحد الذي يجب على الطائفة ان تعمل له وتقف عنده .

ايها النفر المجاهد الحر

لقد لقيت من حفاوتكم بي يوم زرتكم ما اخشى على القلم ان تلهبه العاطفة فيحترق ثم لا يكون رائداً للحق على يدي ، ان هذه الحفاوة التي لقيتها في بهو معهدكم الذي ارجو ان ازوركم ثانياً وقد ودعتموه غير آسفين الى ارحب منه وافخم ، ان هذه الحفاوات لا تتناول شيئاً من كلماتي هذه ولم يكن ليدور في خلدكم اني اقابل عطفكم ولطفكم بمثل هذا الفضول الذي لمستموه في جملي الصاخبة بين يدي الاصلاح .

اني لواثق من ان النجف غني بالعلم والادب والفن ولكن الذي آسف له ان لا يتمشى مع الحياة الصحيحة بهذا العلم ، ولقد كان بيني وبين احدكم العلامة الشيخ محمد حسين مظفر نقاش مسهب في مكتب منتداكم حول هذا كله ، وقد اتينا فيه على الاجتهاد والتقليد ، وكنا مطمئنين الى ان مآل الاجتهاد التطور والتجديد ومآل التقليد الركود والجمود ، ولما عدنا الى التطبيق رأينا الامر بالعكس اذ الفينا المجتهد جامداً والمقلد مجدداً وتحرينا السبب فعلمنا ان المجتهد لا يعمل باجتهاده والمقلد لا يعمل بتقليده فوقف ذاك ومشى هذا .

افلا تدلوني على السبب الذي من اجله اهملنا جواز تقليد الميت ابتداء ، وفيكم العالم والمفكر ؟؟ انا لا افهم سبباً غير الاجتهاد كيلا يقف تقليد الحي للميت في وجه تجديد المجتهد فنؤول الى الجمود ، فلنعد اذن الى هذا التقليد وانا الضامن لكم ان فيه تجديداً لنا واقلاعاً عما نحن فيه من تقهقر وتخاذل

الى حياة يغبطنا عليها كل من رأى الحياة مع الدين ضرورة للاحياء .

ان كثيراً من الاحكام التي توجب فينا الجمود والتأخير اليوم ينعى عليها كثير من علمائنا الماضين ، وكثيراً من الاحكام التي كان اولئك يرونها ضرورية لحياتنا ينعى عليها هؤلاء. فلو تخلصنا من قيود التقليد القاصر على الحي والجناه في الحي والميت، لكان لنا بفضل ذلك مجال واسع في التوفيق بين المدنية والدين

ومهما يكن من امر فاننا في حاجة ملحة للتفكير في اصلاح النشء وهذا الاصلاح قائم على التبصر والامعان في الشكل الذي يوفق بين المدنية والدين ، لانا في حاجة ماسة الى ان نتخلق ، ونحن في الحكم ، باسمى خلال الانسانية التي تذوب فيها الشخصيات وتضمحل معها الانانية ، وانما يضمن لنا هذه الخلال تعزيز الدين والامعان في تدعيمه وتثبيته حتى يتحول في صدورنا الناشئة قلوبا تنبعث منها العواطف وترسخ فيها عقيدة من ورائها ايمان بالحق وكفر بالباطل .

اني لجد متفائل بمؤسستكم التي يرمز النفر القائم عليها ، الى العلم اكثر مما يرمز الى شيء آخر ، فقد رأيت الغلبة في رجالها للعلم والدين على الادب والفن ، ونحن الى العلوم في العراق عامة والنجف خاصة ، احوج منا الى الفنون لان العراق مطبوع على الفن فليس بمفتقر الى من يعمل على تعزيزه .

وتمتع منتداكم بثقة المرجع الاكبر في عملكم هو عربون قيم على النجاح الذي يستقبلكم في الزمن القريب اذا احسنتم استغلال هذه الثقة في نفوس

الشيوخ والشباب من رجال الامة الذين لا يزالون يلحظون الدين بعين لا ترى الحياة الا من وراء مجهره البصير النافذ .

ولقد رأيت من نشاطكم وغيرتكم على الحق واندفاعكم في سبيله، خلال الابحاث التي دارت بيني وبين الاخوين الشيخ محمد شريعه والشيخ محمد رضا المظفر في منزلي الصديقين الكريمين الشيخ علي تامر والسيد محمد جمال ، لقد رأيت فيكم ايماناً بالعمل لا يتزلزل بين يدي ارجاف من يرى فيكم هذه الخلة فيحسدكم عليها .

فاستقيموا كما امرتم وانهضوا بما انتم له ، فوالله ما اصر امرؤ في نفسه خدمة الحق الا خوله الله نصره واعانه عليه، وما اصر في نفسه خدمة الباطل الا وكله الله الى باطله فخذله وكانت الفضيحة والندامة عقباه ، ولقد جربت كلتا الخلتين مراراً اكاد لا احصيها فما كَذبت ولا كُذبت ولكنها الحقيقة خليقة بان تتحصحص ويظهر الصبح لذي عينين .

وبعد فهل تسمحون لي ايها النفر الصالح ، ان اقول لكم : ان العمل على قدر العامل ، وان الخدمة انما تستوجب الشكر على قدر استيفائها حق المخدوم ، الا وان عملكم بالنسبة اليكم لا يزال شديد الفقر الى التعزيز والتنمية ، وان خدماتكم ، على جلالتها ، بالنسبة الى امتكم وبلادكم ضئيلة فاترة ، لان فيكم من المؤهلات للاصلاح ، بين علم جم ، وادب رفيع ، وحكمة بالغة ، ما لا ينهض به عملكم هذا دليلا على انكم اديتم الرسالة التي عهد اليكم بها الحق امام هذا التيار الزاخر بالاعمال .

وان في امتكم وبلادكم من البدع والضـلالات ومن الجهل والفقر والذل ، ومن الجمود والركود والتقهقر ، ما لا يقوم بدفعه اضعاف هـذه الخدمات القاصرة فيكم على مدرسة او مدرستين يترعرع في حجراتها بضع مئات من ابنائكم ، ولعل جامعة تكبر جوامع الغرب وتشتمل على عشرات الالوف من الطلاب ، لعل هذه تعجز عن ان تقوم بدفع تلك الغوائل الـتي تمسنا في كياننا وتكاد تطغى على البقية الباقية من تراثنا ، الذي نتجمل به به في معرض الرياء والتجمل .

وبعد ، فهل تتقبلون شكر اخيكم هذا ، وتصفحون عن شقشقته ثم تتوقعون اجتماعاً آخر به يستوحي منه رسالة اخرى تقوم على الاشادة بما عملتم لا الحث على ما يجب ان تعملوا ؟؟ انكم ان توقعتم ذلك غنمـتم شكره وحمده فالى اللقاء ...

الرسالة الثامنة والعشرون

الرابطة الادبية

السادة محمود الحبوبي ومحمد علي اليعقوبي وصالح الجعفري وعبدالله الصراف ، ومحمد علي البلاغي وعبد الغني الخضري وعلي الخالدي ، وعبد المنعم فرطوسي ، وعلي الصغير وعمار سميسم ، ومرتضى فرج الله الخ ..

وانتم ايها النفر الهادى.

ماذا فعلتم خلال سنين عشر مرت بكم وانتم تتمتعون بثقة الشعب واقبال عامائه واعيانه على مؤسستكم والعطف الشامل الذي نالكم من الامة حكومة وشعباً ???

ما اجملها ساعات كنت اقطعهـا بينكم وللفن العبقري بيننا مجال يضيق عنه الافق ويتسع له حذق الحبوبي ودعاب اليعقوبي ودها. الجعفري، اما هدو. الخالدي الباسم بين يـدي نقاش الخضري المتواضع وحوار فرج‌الله الصاخب فذلك ما لا استطيع حد اثره البالغ في نفسي هذه التي لا تطمئن الى مجلس ليس فيه ما يلفتني بالذكرى اليكم

انها لساعات ما كنت احسب ان تكون كالاحلام العذبة تمر سراعاً فلا اظفر منها بغير الحنين والشوق الممض ثم لم امسك عليها غير قلب يخفق لها ودموع تتهالك على ذكراها، أفكنا حالمين لا نرفق بهذه الاكباد ان يفجعها الفراق فيضغطها الالم وتفجرها الذكريات الحلوة بين يدي بؤسها المرير ???

انا لا انسى الساعة التي كنا نوزع فيها قلوبنا على تلحين اليعقوبي في حواء وتعليق الحبوبي على ما نضج له من طريف الادب وبديع التحليل

بين فكاهة نادرة ونكتة سائرة ، لا انسى النشوة التي كانت تعتريني مما اسمع وابصر أيان ذاك ، أفينسى المرء غـذاء روحه ؟؟ ولو نسيه اذن لنسي نفسه ...

تعالوا بنا نذكر هـذا الادب الرفيع بينكم ونتساءل عن السبب الذي من اجله ينشأ حتى يبلغ القمة ثم يموت دون ان يخترق تلك الجدر فيشرف على العالم من افق الفري ، لماذا ينحصر هـذا الادب فيكم ثم لا يتجاوزكم الى الملأ الشامل في المجموع البشري كما يخترق ادب القروي وابي ماضي ومعلوف وجبران آفاق العالم الجديد الينا حتى يتصل بكم وانتم في ذلك العرج الذي يكاد يحجب عنكم ضوء الشمس ؟؟

أفكان ادب هؤلاء اسمى من ادبكم ؟؟ او كان فنهم اروع من فنكم ، وفطرتهم اكرم من فطرتكم وذوقهم اسلم من ذوقكم ؟؟ كلا ! ! ان لديكم من الاداب والفنون ما يحسدكم عليه ، لو شاع ، كل اولئك ولكن استغلال روابط المجتمع التي هي بين سمعكم وبصركم من اذاعات وصحف ، لادبكم هذا ثم توجيهكم هذا الادب توجيهاً يحمده اليكم عصر يباهي العصور بادب ابنـائه ، كل ذلك وقف سداً حائلا بينكم وبين ان تدلوا على العالم العربي بما وهبتكم الطبيعة من عبقرية في العلوم والاداب والفنون .

ان بعض الادباء الاعلام ، وقد وقعت في يده نسخة من ديوان العلامة العلامة سعيد الحبوبي ، قال : أين كان هذا الادب مختبأ منذ عشرات السنين

وعمر الادب العربي الرفيع لايتجاوز عشرا ؟ ! ثم يقول : « ان في اسلوب هذا الشاعر من رقة اللفظ وسهولة المعنى ودقة التصوير وسحر الخيال ما يشهد له بالتفوق في عالم الادب لولا ما يشوب هذا الاسلوب من هنات قديمة في حقيقة او مجاز مشى فيها السيد مقلداً غير مجدد » . .

بيد انه لو فهم ان السيد لم يشرف على شيء جـديد من حضارة العصر وانه في محيط بعيد عن جمال هذه الحضارة ، وان الافق الذي يحدق به مسربل بالتقاليد التي لا يستطيع ان ينهض معها الى ما يسمو به من صراحـه الرأي وحرية التفكير ، لو فهم هذا ثم قرأ للسيد قوله :

طرز خديـه العـذاران   تطريزة الورد بريحان
يا من رأى في الارض بدر السما   أفرغ في قـالب انسان
الراح في وجنتـه جمرة   تؤجج الليـل بنـيران
خفف طبعي شربها مثلما   دبيبهـا ثقل اجفـاني

لساءل نفسه أيشعر السيد بمثل هذا وهو بعيد عن جمـال الحضارة ؟؟ : اذن ما يقول لو ضمه مجلس يجمـع بين الكؤوس والثغور وتلتهم العين فيه اضعـاف ما تتلقف الاذن من روائع الفن الالهي المسبغ على الاحـداق والاقداح ؟ ؟؟»

ان في نواة الادب عندكم ايها النفر الملهم ، فطرة تنحط عنها كل فطرة في الاقطار العربية ، وهي هذه الروح الوثابة المرحة التي لايقف في طريقها ، وهي تنساب في جداول الالفاظ ، تعقيد في المعنى او قلق في التركيب ، وهذا

اي لتعقيد والقلق ، انما يتصل بالشاعر من الحضارة المضطربة بين يدي التشويش القائم على الصراع بين العلوم والفنون في الامة .

عزيزي السيد محمود :

ان رابطتكم هذه معنية قبل كل شيء بتوجيه هذه النواة الحيـــة في تربتكم الخصبة وتنميتها بالنظام والتهذيب والدعايات ، والنشاط هو العامل الاول في تعزيزها واذاعتها على العالم ، فقد رأيت العراق ينفخ في بعض نباته الحياة الوثابة الى حد البرق الخـــاطف ، ويلقي على البعض الآخر كابوساً من الكســل الى حد الخمول ، ولا بدع فالعراق ام الغرائب في طبائعها وغرائزها منذ الازل كما يحدثنا التاريخ .

لقد رأيتك ايها السيد مطاعاً في عصبتك وتكاد تكون وحـــدك هذه الرابطة ويكاد كل من اعضائها يستحيل فيك لساناً مرناً ودماً فائراً وعاطفة ملتهبة ، فانت اذن وحدك المسؤول عن توجيه الرابطة وتخصيبها وتعزيز نتاجها وتنمية النشاط فيها لتلد لنا جديداً كل يوم ، أفلستم حماة الادب والفن في النجف مصدر العلم والفن لستين مليوناً من خلق الله ؟ ؟ اذن فعليكم تقع التبعة في الفوضى السائدة بين مجموعكم والقابضة على زمام الفريق الاغلب من رجالكم .

ولقد لمست فكم عصبية ، احببت ان لاتعيش طويلا بينكم ، شممتها من حديثك انت اذ قلت : « اني اكره كل وجه غير عربي » ثم نسبت لي اذ عارضتك في هذا ، الرياء لحاجة ما ، ولم اشأ ان اناقشك اذ ذاك لاني اردت

ان تبقى ، كما انت ، في اخوانك عزيز الراي ثابت الفكر .

على اني دللتك من حيث تشعر ، وانت حاذق في اكتنـاه الخفي ، ان الحوماني مهما فهمته من ادبه الذي يتصل بك فلن تستطيع ان تفهمه من ادبه البعيد عنك ، ان الحوماني وهو صاحب العروبـة ، لا يرى للادب المطلق وطناً خاصاً ولا للعلم افقاً يختص به او عنصراً يرجع اليه

فالادب وان تلون بالطبيعة والبيئة هو كالعلم يشترك في اقتسام الشعور الانساني بين افراد المجموع البشري ، والاديب انما يسمو على كل صفـة شخصية ، اذا كان عالمياً ولن يكون كذلك ما لم يخلع لونه الاقليمي ويلبس لوناً واحداً هو لون العبقرية الخالد بين يدي مبدع الكون وشاعره الاول

ما الذي يميزني عن اللاتيني او السكسوني او الصيني او الهنـدي اذا تجردت من شخصيتي الى انسانيتي او من انانيتي الى غيريتي ؟؟ فتش في ادب اي عبقري اقليمي هل خلد الا بإنسانيته التي يشرف منهـا على آلام غيره فيبكي ثم يأمس سعادة هذا الغير فيبسم ؟؟ وهل الغيرية قاصرة على القومية او العنصر او المحيط ؟؟

اني لاشعر ، وانا في قلب لبنان العربي ، بآلام الافرنسي الذي يئن تحت نير الالمان ، ولم انس بعد جراحي الدامية من ظلم هذا الافرنسي يوم كنت ائن تحت نيره ، أفأكون غير شاعر وغير اديب ، أم اكون عاقاً لامتي وبلادي اذ كنت انا ذاك ؟؟

ولماذا اكره غير العربي لانه غير عربي ؟؟ ألأني ارقى منـه ؟؟ ام لان

الله خلقني اولاً وخلقه ثانياً ؟؟ ان في مفهوم الحقيقة ان يكره المظلوم الظالم والمحق المبطل والمستقيم الاعوج ، ألهذا اكره انا وانت هـذا الغير ؟؟ كلا يا صاحبي لو كنا حريصين على الحياة التي تصعد بنا وكان الكره مقدراً لنا لوجب علينا ان يكره بعضنا بعضاً لان الظالم لنا هو منا ، والداء الذي يتأكلنا هو في انفسنا .

لقد ضمن لنا التاريخ المجيد الذي نتبجح به والدين القويم الذي نزعم انا معتنقوه ، والسجايا المثلى التي نتخلق بها ، لقد ضمن لنا ذلك ان نعز ونسمو ، وكل هذا يدعونا ان نتكاتف ونتضامن وان نرحم ولا نظلم وان نعلم العالم اسمى خلال الانسانية بما وهبتنا الطبيعة من خلق وانزل علينا الخـالق من نظم ، ان اكرمكم عندالله اتقاكم ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى .

اين تاريخنا الذي نتغنى به ، ونحن نئن تحت نير العبودية ؟؟ واين ديننا الذي ندعيه ونحن ابعد الناس عنه علماً وعمـلا ؟؟ ثم اين تلك السجايا التي كفلت لآبائنا العزة والنبل والكرامة فلم يقروا على ضيم ولم يستخذوا لظالم فتحاماهم كل طامع فيهم وعـادٍ عليهم حتى رأوا ان ظلم القريب هو الظلم وحده اذ لم يشعروا بظلم البعيد عنهم الى ان قال قائلهم :

وظلم ذوي القربى اشـد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

والا فان اكل الاخ لحم اخيه اهون على الحر من ان يظلمه الاجنبي في شعرة واحدة يقتلعها من جلده ، فاين نحن من اولئك واين هم منا ؟؟؟

اكره الاجنبي ؟ ولماذا ؟ ألانه يخدم امته وبلاده في بلادي ؟ ثم لا اكره

العربي وهو يخون بلاده وامته في بلاده ويظـاهر الاجنبي عليها ؟ ان العرب الذين بسطوا ملكهم على رقعة العالم ، والذين فرضوا نظمهم على المجموعـة البشرية ، والذين سنوا للامم نواميس تفخر بها الانسانية ، ان هؤلاء العرب هم الذين يحق لهم ان يعتصموا بعروبتهم عن كل عنصر اجنبي كما يعتصـم السكسوني اليوم بسكسونيته عن غيره ويتحامى الاختلاط في غير عنصره.

اما نحن اليوم فبعيدون عن الخلال التي اهلت اولئك لان يعتزوا بعروبتهم الخالصة من اوضار المجتمع الفاسد ، فقد كانوا يعتزون بإبائهم للضيم ، واين منا هذا الاباء ؟ وقد كانوا يعتزون بالتضحية حتى الموت ، واين منا هـذه التضحية ولو بالمال ؟ وقد كانوا يعتزون بالعلوم والفنون التي مدينوا بها العالم ، واين منا هذه كلها ؟ ثم اولئك قد كانوا يعتزون بالخلق المحمدي الذي اخضع لهم الشعوب فكانوا قدوة لها بالاخلاق السامية والنظم الحكيمة ، واين منا هذه النظم وتلك الاخلاق ؟

أفبعد هذا كله ، وبعد ان اصبحنا لا نستغني عن الاجنبي في الثوب الذي نلبسه والطعام الذي ناكله ، والبيت الذي نسكنه ، في القلم والقرطاس ، في الساعة والسكين ، في الابرة والدبوس ، في كل دقيقة وجليلة ، أفبعد هذا كله نكره او نحاول ان نكره الاجنبي الذي تغلغل في كياننا فهو منا بمنزلة اللحم والدم والعظم ؟

أفلا نخجل من انفسنا ان نجهر بكرهنا للاجنبي ثم لا نستطيع ان نستغني عنه ؟؟ ولعلك معي في انا نحتاج اليه ليرشدنا في ديننا الذي نمتاز به عليه ؟؟

أفلا ترى كيف يأكل بعضنا بعضاً ؟؟ أو لا ترى ان الاخلاق تكاد تكون معدومة في الخاصة منا ؟؟ أو لا ترى معي انا اصبحنا في حالة نفضل معها الاستعباد على الحرية والاستقلال ؟؟

ذلك لماذا يا اخي ؟؟ ألانا نكره الحياة الحرة ؟؟ ام لأنا نحب الاجنبي اكثر مما نحب انفسنا ؟؟ ام لأنا لا نميز الحق من الباطل والطيب من الخبيث؟؟ لا لا ... بل لانا نبذنا الخلق العربي والقانون الالهي وراءنا ثم عولنا على كل ما يتخلق به الاجنبي مما يفسد علينا هذا التراث الذي سيطرنا به على العالم من قبل .

ولعلك معي ايضاً ؛ في انا نزدري الثوب الذي يحوكه الوطني ونجتوي المطعم والمقهى والفندق اذا لم يقم على ادارتها اجنبي . ثم نزدري من يلبس هذا اللباس ويتخلق باخلاق آبائنا واجدادنا وبالأخرة لعلنا نحتقر من يتكلم على الموائد في بيروت ودمشق وبغداد اذا لم تكن لغته اجنبية او مزيجة منها ومن لغتنا .

أفبعد هـذا كله تقول : اني اكره الاجنبي ؟؟ ولو دخلت معي الى الحضرات المقدسة بعد منتصف الليل او مع الفجر لما شعرت بغير هذا الغريب عن عنصرك يعزز دينك ويقلدك في مذهبك ويقدس مبادئك ؟؟

احمد الى صلب هذا الدين ثم اعرض جوهره على من دانوا به لله هل هم في الجزيرة العربية ام تجاوزوها الى الهند والصين وجاوه وايران والافغان وتركستان ثم الى البانيا وصربيا وفنلندا ومراكش والسودان ؟؟

نعم ان هذا الدين قد انبثق من جزيرة العرب ولكنه فر منها واستقر في اقصى الشرق والغرب والشمال والجنوب من رقعة هذه الارض الحافلة بشتى العناصر والاديان ، نعم لقد فر هذا الدين من مهبط وحيه بعد ان خول اهله الاول ملك العالم فرآهم لا يستحقون هذا الملك بما كان منهم في الانـدلس وبغداد من تنابذ وتقـاطع خرجوا بهما على الدين واستكانوا لهوى النفس الامارة بالسوء فاصبحوا كما ترى واري شيعاً تتقاذفهم الاهواء ويحيق بهم الكفر ويهيمن عليهم الطاغوت .

أفبعد هـذا كله تقول : اني اكره كل اجنبي وانت شاعر والشاعر انسان قبل ان تعصف به العناصر ؟؟؟ ثم تنسب لي اني اداري واحابي . وانت تعلم اني منذ قرأت لي نقد السائس والمسوس والعروبة حتى حواء ، صريح فيما اقول وافعل ...

عزيزي الحبوبي

ان لك اخواناً يقولون بقولك ويقرونك على ما تفعل فهل عززت هذه الرابطة بما يضمن لها الخلود ؟؟ انكم على العكس من اخوانكم اعضاء منتدى النشر ، الى الادب اقرب منكم الى العلم فكان عليكم ان تعززوا دولة الادب اذ كان عليهم ان يعززوا دولة العـلم فتقوم على ايديكم جميعاً نهضة تجمع بين العلوم والآداب في محيط يفتقر بكل ما فيه من نبات وحيوان وانسان الى مثل هذه النهضة على ايدي امثالكم من علماء وادباء .

فليست حاجة الغري في الاداب قاصرة على غرفة للقراءة وحسب وانما هي في حاجة ملحة الى مدرسة تخرج الادباء وصحيفة تطلع على العالم العربي ومكاتب العالم حافلة بآثار خريجي هذه المدرسة ، والى دار طباعة تنشر القيم من دواوين وكتب هي من تراثنا المجهول الذي لا يزال مطوياً في الزوايا او منشوراً بحروف يحجبها سوء الفن في الطباعة عن ان تذيع فتنم على ادب مجهول .

ان فيكم ادباً رفيعاً وفناً سامياً ولكنه قاصر على انفسكم ومحصور فيكم وليس هذا من الامجاد التي يعتز بها اعقابكم وتكون لهم تراثا يفاخرون به الامم بعدكم ، ولكم ابرهتم باخراجكم ديوان الشبيبي الى الملأ ، عن نشاط وعبقرية بشرتنا باستمراركم في هذا الحقل ، نشروتأليف ودعاية ، ثم ما لبثت هذه الجذوة ان خبت ووقف العمل عند هذا الحد .

ان في النجف دواوين لم تنشر ، هي آثار الشعراء الفحول المغمورين لو اتيح لهم ان يظهروا لكان للنجف تاريخ عبقري في عالمي الادب والفن كما له تاريخه المجيد في علمي الكلام والفقه ، فتبعة هذا المجد المفقود انما تقع على الادباء انفسهم ، وشمل هؤلاء يلتئم اليوم في نادي الرابطة الادبية ، فعلى الرابطة اذن ان تضطلع بهذا العبء فتؤدي رسالتها الفنية في عالم الادب ، كيلا تسأل عن اهمالها بين يدي الحق .

عزيزي الشاعر الحبوبي

عوداً على بدء : هل تسمح لي ان اهمس في اذنك كلمة واحدة ؟؟ ان

رابطة الادب النجفية ، لاتعني ادب النجف العربي فحسب ، ولكنها تتجاوزه الى الادب الشيعي الذي تكوّن منه النجف ، فالنجف مجموعة آلاف من علماء وادباء وشعراء الشيعة الامامية عرباً كانوا او غير عرب ، وانما كانت هذه الفنون على شيء من العبقرية للخليط المتغلغل في كيان اعيانها فلا يسوغ لنا اذن ان نقصر هذا الادب على العروبة الخالصة فنتعصب لها ونعلن المقت لغيرها ، ولعل قيام النهضة في النجف علمية وادبية يتقوم بالعنصر الدخيل اكثر مما يتقوم بالعنصر العربي فيها ، شأن الامة العربية في العهد العباسي .

افلا تعلم انا في لبنان ومصر مدينون للغريب ايضاً بعلومنا وآدابنا ؟؟ وان المصري واللبناني لم يكن مكانه المرموق في العالم العربي الا بفضل هذا الادب الدخيل الذي اسبغ على ادبنا العربي لوناً غريباً توفر لدينا منه ومن ادبنا ادب جديد سام كان لنا به ميزة على غيرنا من الشعوب ؟؟

وهمسة ثانية : العصبية العنصرية في الامة انما تجمل من المتعصب في معرض القومية والحرص على كيان الشعب ، أما العلوم والآداب فأبعد ما تكون عن هذه العصبيات لئلا تحرم الامة في علومها من الرقي وفي آدابها من التجديد .

ولهذا جعلوا العالم او الاديب العالميين في منزلة اسمى من منزلة العالم والاديب الاقليميين لاتساع الافق الذي يشرفان منه على الحياة ، وللنفع العام الذي يخدمان به الانسانية التي تشتمل على امتهم وغيرها من الامم .

وهمسة ثالثة يامحمود : ان دار الرابطة لا تليق باهلها ، أتريدون ان يزوركم

الاديب او العالم الغريب مجتازاً اليكم تلك الازقة الحافلة بالحوانيت والمتاجر التي تعود بمجتازها الى الف عام خلت من حياة العراق ؟ ؟

ان داركم هذه لا تصلح منتدى للادباء ولا مزاراً للسائحين ، فاعملوا على تجديدها خارج النجف القديمة ، وعلى طراز حديث ينم عن الذوق الذي لمسته في ارواحكم ايام زرتكم وكنت حريصاً على درس مجالسكم ونقاشكم وعلى ادب النكتة المطبوع فيكم .

لعلي اعود اليكم مسوقاً بالشوق الذي رباه في نفسي تفضلكم علي بما كنت له شاكراً من لطف وعطف . سلمتم لاخيكم صاحب العروبة

الحوماني

من اجل هذا :

وضع كتاب « وحي الرافدين » !

الموضوع	الرسالة
العروبة	الاولى
النظام	الثانية
الادب والموسيقى	الثالثة
ادب الفقه	الرابعة
الارادة الجبارة	الخامسة
القضاء الشرعي	السادسة
فكرة الشاعر	السابعة
الخيال الحقيقة	الثامنة
الله والروح	التاسعة
الطبقة العليا	العاشرة
الشعر	الحادية عشر
متحف الامام	الثانية «
الادب	الرابعة «

الموضوع	الرسالة
القصة	الخامسة عشر
بطانة الملك	السادسة «
القلم والفكر	السابعة «
الادب الصالوني	الثامنة «
الخيانة في الادب والقومية	التاسعة «
اصلاح المجتمع	العشرون
الادب والحب	الحادية والعشرون
فلسفة الكرم	الثانية «
ذكرى الحسين	الثالثة «
العواطف	الرابعة «
الحجاب والسفور	الخامسة «
الاصلاح الديني	السادسة «
الاصلاح الادبي	الثامنة «

اعيـــان الكتاب

انتهى طبع الجزء الاول من كتاب

« وحي الرافدين » على

مطابع الكشاف

وسيعاد طبعه بجزئيه في السنة المقبلة على ورق

ممتاز مزدانا برسوم اعيانه

١٥/١١/١٩٤٤/١٣٦٣

DATE DUE


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

